رسالة الأصول الثلاثة

رؤوس الشيطان في علاقة الفقيه بالسلطان

صدر المتألهين الشيرازي

دراسة وتحقيق: أحمد ماجد





رسالة الأصول الثلاثة

رؤوس الشيطان

في علاقة الفقيه بالسلطان

رسالة الأصول الثلاثة

رؤوس الشيطان

في علاقة الفقيه بالسلطان

صدر المتألهين الشيرازي

دراسة وتحقيق: أحمد ماجد

اسم الكتاب: رسالة الأصول الثلاثة

رؤوس الشيطان في علاقة الفقيه بالسلطان

المؤلف: صدر المتألهين الشيرازي

دراسة وتحقيق: أحمد ماجد

الناشر: دار المعارف الحكمية (للدراسات الدينية والفلسفية)

إخراج الكتاب: Fadel Graphic

تصميم الغلاف: Idea Creation

عدد الصفحات: 341

القياس: 24.5x17.5

تاريخ الطبع: حزيران ٢٠٠٨


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

[١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م]



دار المعارف الحكمية

Dar Al maaref Alhikmiah

العنوان: حارة حريك - الشارع العريض - سنتر صولي - ط٢ شمالي

تلفاكس: ٠١-٥٤٤٦٢٢ - Email: almaaref@shurouk.org

الإهداء

هذا الكتاب نتاج فكري لفيلسوف أصيل

يحفر بالكلمة العقول

وهو يعبر الزمان، ليقف على أبوابنا ليسألنا عن دورنا، عن عقلنا،

فهو أظهر فعالية المثقف الديني في مجتمعه

حيث واجه بالكلمة المقتدرة الاستبداد والظلامية والتقليد

وهو يتحدث عن زمان ابتدأ ومازال يمتد إلى الراهن

حيث يستمر الصراع بين علماء السلطان في مقابل علماء النهضة؛ لذلك

أهدي هذا الكتاب إلى عالم من علماء العقل والمعرفة إلى

سماحة الشيخ شفيق جرادي

شكر وتقدير

أتوجّه بالشكر الجزيل، المقترن بالاعتراف بالجميل للأستاذ، الدكتور المعلّم علي زيعور الذي وجّهني إلى هذا الكتاب، وأشار إلى أهميته في المجال الفلسفي الإسلامي، وجعل تجربته الفكرية جسرا أعبر من خلاله.

وأشكر الشيخ محمد زراقط على إشرافه وتوجيهه وتصويب هذا العمل.

وأشّكر الدكتور خنجر حمية الذي راجع الدراسات المرافقة.

وأشكر السّيد محمد نور الدين، الذي قام بتأمين النسخة الفارسية لهذا الكتاب، وواجه الكثير من الصعوبات من أجل هذه الغاية.

وأشكر الأستاذ طارق عسيلي على مراجعته للنص العربي، وتقديم النصائح.

وإلى كل من ساهم بتقديم ملاحظاته على الكتاب لاسيما سماحة الشيخ علي جابر والشيخ سمير خير الدين، وجميع الأخوة في معهد المعارف الحكمية (للدراسات الدينية والفلسفية).

فهرس

المحتويات

الكتيب الأول
الأبحاث والدراسات

الفصل الأول
بيبلوغرافيا صدر الدين الشيرازي

الفصل الثاني
دراسة تحليلية للأصول الثلاثة

الكتيب الثاني
نص رسالة الأصول الثلاثة

الفهارس

تقديم

بات الفيلسوف الإسلامي صدر الدين الشيرازي معروفاً على نطاق واسع؛ كمفكر شديد الأصالة، غزير الإنتاج، وكفيلسوف متميز ترك أثراً بارزا في تحولات المعرفة الفلسفية في زمانه وفي ما تلاه من أزمان، ودفع بالانشغال العقلي في الحواضر الشيعية بوجه خاص إلى دائرة الاهتمام والعناية، ورسخ تقليداً قام على الاحتضان الدؤوب للموروث الفلسفي في بلاد فارس لازال مستمرا حتى يومنا.

ولقد تكثف في العربية خلال العقود الأخيرة جهد التعريف به وبآثاره، فمعظم نتاجه أصبح في أيدي الدارسين منشوراً ومحققاً... لكن مكانته المتميزة في تاريخ الفكر في الإسلام كانت قد ترسّخت منذ مطلع هذا القرن، وفي سياق الاستشراق الألماني أولاً، ثم من خلال جهود باحثين كبار مثل كوربان، وسيد حسين نصر، ومحمد خواجوي، وأبو عبد الله الزنجاني، وفضل الرحمن، ... وجعفر آل ياسين، وجلال أشتياني... وغيرهم الكثير... ومع ذلك فإن ثمة مفاصل كثيرة في تراثه ونتاجه مازالت تحتاج إلى فحص وإعادة تقويم، وإلى سبر أغوارها القصية والبعيدة واكتناه مقاصدها ودلالاتها... لتتحدد على ضوئها بدقة مساهمات الشيرازي وتقديماته، ومواطن إبداعه وابتكاره، ولتبين من خلالها قيمته في دائرة الانشغال الفلسفي والعقلي في الإسلام.

وقد يكتشف الباحث المتأمل في نتاج هذا المفكر جوانب من فكره، ونواحي من تأمله، كما تعطي الدراسة الفيلسوف ما يستحقه من عناية واهتمام خاصة عند معالجتها بعض الموضوعات، كنظرية الوجود مثلا، أو

المعرفة، أو النبوة، وهي على وجه خاص تكتسب أهميتها من كونها تكشف لنا طبيعة الاشتغال الفلسفي للشيرازي على جوانب من التراث الفلسفي- الصوفي العرفاني، وتبرز الأسلوب الذي انتهجه في الاستثمار والانتفاع، وفي التأويل والفهم، وهي تكتسب أهميتها كذلك من كونها تبين لنا طبيعة الروافد التي ساهمت في تشكيل صورة مذهبه، وفي تكوين رؤيته حول الوجود والإنسان والعالم.

إن كل درس نقدي لتراث الشيرازي سوف يصطدم في الحقيقة بصعوبتين، صعوبة الاستنفاد والإحاطة أو صعوبة تجميع الخطوط الكبرى لمذهب في الفكر يستمد مادته الأساسية ومصطلحه ومفهومه من التصوف ومن تراث الفلسفة على تشعب روافدها واتجاهاتها، ومن تراث الكلام الإسلامي المتنوع والمختلف، ومن التراث الديني على تشعب آفاقه ومناخاته.

وصعوبة الوقوف على أدوات اشتغاله، ومناهج عمله وتفكيره، خصوصاً أنه لا يمكن التمييز مع الشيرازي بسهولة ويسر بين طريقة الاستدلال الفلسفي القائمة على مبدأ أولية العقلي، والتي تستمد مشروعيتها المعرفية من الاتساق النظري لمقولاتها، وبين العيان الصوفي والإشراق والكشف، أو بين أسلوب الجدل القاصد إلى الإمتاع أو الإخضاع، وبين أسلوب الخطاب المتوجه إلى القلب وإلى ما هو جواني وداخلي، أعني إلى المشاعر والوجدان، وما هو روح وحميمية... والذي نجد أبرز مصاديقه في الخطاب القرآني، وفي الأسلوب النبوي الذي يندفع الشيرازي في أثره في مواطن كثيرة من فكره، ويتقلده أو يتأثر به.

في نتاج الشيرازي تتداخل هذه المناهج وتترابط، ويعضد بعضها بعضاً، أو يأتي بعضها في سياق بعض، وتتعدد طرائق الاشتغال عنده، وأساليب التبصر والفهم والتأمل، ووسائل الاكتناه والفحص والسبر في تناغم ملفت، وفي وحدة سياقية بارزة ومميزة.

وإنه ليسجل للشيرازي بالرغم من هاتين الصعوبتين اللتين تواجهان الباحث في فكره، وقدرته الفائقة على الاستثمار والتوظيف، وكذلك وضوح أفكاره وتناسقها، وعمق لغته، واتساع معرفته وموسوعيته، ودقة مصطلحه، وقدرة كبيرة لا تكاد تضاهى، على الإيصال والتعليم، والتحليل والتفكيك، والشرح والتفسير.

وبالرغم من ما يتبدى في نتاج الشيرازي من أصالة وابتكار، ومن كونه صاحب مذهب متكامل ورؤية، ومن كونه منظرا راسخا لحكمة متعالية، مستنفذة ومستغرقة، متجاوزة ومتخطية، مبدعة ومبتكرة، فهو لم يكن يجد غضاضة في الدفاع بحماسة منقطعة النظير عن رأي رآه سابقوه، أو عن وجهة نظر تبناها المتقدمون، أو عن مذهب ذهب إليه فيلسوف أو عارف أو مفكر، وهو في كل موضع من مثل هذه المواضع لم يكن يدافع عما يدافع عنه بعصبية أو هوى، بل كان يجهد لتوفير الأساس العقلي، والركيزة النظرية لما يتبناه أو يدافع عنه أو يستوعبه من تراث سابقيه محسنا توظيفه واستغلاله، مجيداً تفسيره وتأويله بما يخدم الأصول العامة لفكره، والإطار الشامل لرؤيته ولمذهبه.

وعلى أي حال فإن الحديث عن الشيرازي ومميزاته العقلية لا تتسع لها هذه العجالة، ولا يمكن هنا التركيز على التفاصيل، وغاية ما أردنا الإشارة إليه في هذه المقدمة فيما يخص الشيرازي بوجه عام هو الإشارة إلى الأهمية التي ينبغي إيلاؤها للصورة التي راح يتبدى عليها الانشغال الفلسفي عند الشيرازي بعد جملة من إخفاقات تعرّض لها، وعقبات جمة اعترضت حركة تطوره وتصاعده منذ حملة الغزالي الشهيرة، امتداداً إلى التقليد الأشعري الراسخ في توهين مثل هذا الانشغال وتقويضه، والذي جسده الفخر الرازي خير تجسيد، وبالتالي أصبح للمسلمين منهج لا يحيدون عنه.

ولقد يقع المرء قبل الشيرازي وبعده على وجوه فلسفية كبيرة وأعلام رفدت التأمل العقلي بنتاج نافع ووفير، وبجهد كبير وخلاق، وقد يقع على رؤى متقدمة وأفكار مبتكرة رائدة، لكن الشيرازي كان محطة كبرى، ومعلماً بارزاً، ومفكراً شديد الأصالة، عميق الإبداع. وتجربته الفلسفية تركت أثراً لا يكاد يضاهى في التراث الفلسفي الإسلامي المتأخر بوجه عام، وفي الحواضر الشيعية خصوصاً، وهو سوف يشكل حلقة أساسية في سلسلة الحلقات التي تشكلت من خلالها الصورة النهائية للتأمل الفلسفي في الفكر الإسلامي على مدى مساحة توتره ووجوده .

وإذا كان جل نتاج الشيرازي المعروف يعتني بموضوعات فلسفية أو لاهوتية مجردة، أو بموضوعات تتصل بالدين في آفاقه النظرية، فإن ثمة ما ينشغل بميدان الحياة وقضاياها ومشكلاتها في الاجتماع والسياسة والأخلاق، وإنه لمن الملفت أن لا يتبين مثل هذا النمط من الاشتغال إلا متأخراً، وأن لا تتبين

أهميته إلا بشكل عرضي وعلى هامش الإنهمام بجهده الفلسفي العام.

وفي الكتاب الذي بين أيدينا جهد يقع في هذا السياق، فهو ليس كتاباً فلسفياً بالمعنى الدقيق للكلمة ولا هو كتاب لاهوتي، وإن كان يستثمر الشيرازي فيه كل ثقافته الفلسفية واللاهوتية و تكوينه المعرفي. إنه كتاب يعنى بشأن من أخطر شؤون الاجتماع، وبقضية من أعقد قضاياه، أقصد بذلك المشكل الاجتماعي السياسي، وتتخذ المعالجة هذه من الشيرازي أهميتها، إذا ما وضعت في سياق عصره ومشكلاته، وإذا ما درست على ضوء الظروف والملابسات التي أحاطت بها، والأوضاع النفسية والفكرية والفلسفية للمؤلف في خضم توتر العلاقة بينه وبين السلطتين السياسية والدينية في زمنه، والتحكم التام بهاتين السلطتين بالواقع الاجتماعي والثقافي والفكري للناس والهيمنة الشاملة على مراكز المعرفة ومدارس العلم.

وإنها لملفتة تلك القسوة التي يواجه بها الشيرازي رجال الدين في عصره، لكنها ينبغي أن لا تعزل عن سياقها، وأن توضع في إطار تصور الشيرازي للوضع الذي كان يحكم مجمل تطورات الأوضاع في زمنه، فالهم الذي يحكم نقده هذا على قساوته ليس دينيا، ولا هو أيديولوجي، أنه في الأساس همٌ معرفيٌ يحكمه هاجس التحرر من جهته من سلطات وهمية طاغية تمجد التقليد على حساب الإبداع، وتنتصر للسائد على حساب المأمول والمرتجى. هذا من جهة... وهاجس الإصلاح فيما يتصل بالشأنين الأخلاقي القيمي والاجتماعي السياسي من جهة أخرى.

إن رسالة الأصول الثلاثة عمل مميز للشيرازي واستثنائي، وهو يكشف عن جانب من جوانب فكره، وناحية من نواحي شخصيته.

والرسالة هذه تكشف عن نفسها، وتفصح عن أغراضها، ولا يحسن في مقام التقديم لها أن يصادر على مضمونها، والأجدى أن تترك للقارىء فرصة أن يواكب الشيرازي في تدفقه وفي حميمية معالجته، لمشكلات كانت أهميتها تنبع من كونها لصيقة، أي تتصل اتصالا مباشرا باختياره الشخصي وبمعاناته.

وإنه لمن دواعي سروري أن نرى هذا العمل مترجما إلى العربية، ثم منشورا ومحققا، وأن يوضع جانباً من جوانب فكر الشيرازي مرة أخرى بين أيدي

الباحثين. والفضل في الحقيقة في مثل ذلك يعود إلى الصديق الحبيب المجدّ أحمد ماجد، فله الفضل في إعادة الاعتبار إلى هذا العمل، في صورة جذابة وعلمية، مع ما أتحفنا به من دراسة وافية، قدم بها لهذه الرسالة تكشف عن شخصية الشيرازي ومكانته ودوره، وتبين طبيعة عصره، وتحدد قيمة هذه الرسالة وتحلل مضامينها.

ومثل ذلك ليس غريبا من باحث مجدّ ومثابر ودؤوب... عرف الشيرازي وسخر الكثير من جهده ووقته للتعرف به.

خنجر حمية

الكتيب الأول

الأبحاث والدراسات

الفصل الأول

بيبلوغرافيا صدر الدين الشيرازي

الفصل الأول

بيبلوغرافيا صدر الدين الشيرازي

شغلت قضية العلاقة بين الدين والفلسفة جهود الفلاسفة المسلمين منذ القرن الأول للهجرة، ويُرّجِع البعض ذلك إلى طبيعة التعاليم الإسلامية المتميزة عن مثيلاتها في الديانات الأخرى، فالإسلام دعا إلى الوسطية **﴿وجعلناكم أمة وسطا﴾**[1]، أي إلى الجمع بين الإيمان والعمل العقلي، وبالتالي التوفيق بين البرهان والعرفان، ولذلك نرى الفلسفة الإسلامية تتجه منذ «الفارابي» و «إبن سينا» وصولا إلى «الشيرازي» بهذا الاتجاه، حيث يلاحظ معه محاولة حثيثة للدمج بين الاستدلال العقلي مع العرفان من جهة وبينهما وبين الوحي من جهة أخرى.

والشيرازي في محاولته التوفيقية، سعى ليقيم الإشراق على أسس استدلالية، وجعل للاستدلال مدخلاً شرعياً، ينظّم ليس البعد الأخروي للإنسان فحسب، بل يتعداه إلى تنظيم العلاقات الاجتماعية والفردية، وفوق كل ذلك سعى إلى غاية ميتافيزيقية؛ تتعلق بالبعد الديني، وهذه الفكرة حاضرة بشكل مركزيّ في فكره، فهو في اختياره للعرفان الاستدلالي، كان يبتغي عبر الفيلسوف العارف، إيجاد نسقٍ من المعاملات التي تتحكم في العلاقات زمن الغيبة: «والعقل إذا لم يتنوّر بنور العشق لن يجد الطريق إلى المطلوب الأصلي، كما أنّ الحواس عاجزة عن إدراك أوليات الأمور الأخروية. ومن هذا القبيل معرفة يوم القيامة الذي مقداره خمسون ألف سنة من أعوام الدنيا. وسر الحشر، ورجوع الخلائق إلى خالق العالم وحشر الأرواح والأجساد، ونشر الصحائف، وتطاير الكتب، ومعنى الصراط والميزان، والفرق بين القرآن والكتاب، وسر الشفاعة، ومعنى الكوثر والأنهار الأربعة، وشجرة طوبى، والجنة والنار، وطبقات كل منهما ومعنى الأعراف، ونزول الملائكة

[1] البقرة: ١٣٤.

والشياطين والحفظة وكرام الكاتبين. وسر المعراج الروحاني والجسماني، الذي هو خاص بآخر الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم. وسائر أحوال الآخرة ونشأة القبر. وكل ما هو في تلك المقولة محكيًا عن الأنبياء عليهم السلام. كل ذلك من العلوم والمكاشفات التي يكون العقل النظري قاصرًا في إدراكها ولا يمكن إدراكها إلا بنور متابعة وحي السيد العربي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيت النبوة عليهم السلام»[٢].

انطلاقاً من هذه الرؤية التوحيدية، عمل الشيرازي على المزج بين قطاعات معرفية متعددة، فهو اعتمد التعددية المنهجية لبلوغ غايته كما سنبين في الفصول اللاحقة، فالفلسفة الحقيقية ليست الدرس الفلسفي: «بل المقصود منها الإيمان بالله تعالى والملائكة المقربين، وكتب الله وأنبيائه والإيمان باليوم الآخر، كما ورد «في القرآن الكريم» **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾**[٣]. وقال في موضع آخر **﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾**[٤] [٥].

من هنا تأتي هذه الدراسة لتستكشف هذا الفيلسوف، وتقدم البعد السياسي والأخلاقي لديه، ولعلها تكون منطلقا لدراسة أثر الدين في الفلسفة والمجتمع.

---

[٢] الشيرازي، محمد: «الأسفار...»، ج١ص٢١.

[٣] البقرة ٢٨٥.

[٤] النساء ١٣٦.

[٥] الشيرازي: «رسالة الأصول»، م٤.

أولا: حياة الشيرازي

في الوقت الذي كانت «قرطبة» تودّع فيها فيلسوفها «ابن رشد»، كانت إيران تستقبل محمد بن إبراهيم الشيرازي، وتعلن أنّ الفلسفة الإسلامية، مازالت حاضرة بفاعلية وقوة؛ عبر نظريته التي أطلق عليها كوربان اسم «فلسفة العرفان النبوي»[٦]،والتي يطلق عليها أتباعها اسم «الحكمة المتعالية»، لتسقط بذلك مقولة من يقول؛ إنّ الفلسفة انتهت مع «ابن رشد».

هذا ويكتنف الغموض حياة الشيرازي ونشأته، ولا تعنى «التراجم كثيرًا بتفاصيل حياته»[٧]، لكن نستطيع القول: إنّ محمد بن إبراهيم الشيرازي القوامي[٨]، المشهور بين تلامذته بصدر المتألهين أو صدر المحققين، وُلِد أوائل الربع الأخير من القرن العاشر الهجري[٩]، ويورد كل من الشيخ محمد رضا المظفر وهنري كوربان تاريخا تقريبيا هو سنة ٩٧٩هـ[١٠] بمدينة شيراز[١١]، ذلك أن بعض المصادر قد أرّخت لوفاته سنة ١٠٥٠هـ عن عمر يناهز السبعين عاما.

كان أبوه إبراهيم بن يحيى القوامي من أصحاب النفوذ والثروة وحاكمًا من جانب الحكومة الصفوية المركزية على إقليم فارس، وقد تربّى «صدرا» في أحضان والده، ونال منه كل عناية واهتمام، وعندما توفي الوالد، رحل إلى أصفهان عاصمة الدولة الصفوية في ذلك الزمن، حيث مال إلى كبار العلماء لتلقي العلم والمعرفة،

[٦] كوربان، هنري: «تاريخ الفلسفة الإسلامية» ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي، بيروت، منشورات عويدات، ط٣، ١٩٨٣، ص٢٣.

[٧] نعمة، عبدالله: «فلاسفة الشيعة» دار الفكر اللبناني، ط١. ١٩٨٧.ص٣٨٧.

[٨] القوامي نسبة إلى جده الأول قوام الدين الذي كان موضع مدح الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي(ت ٧٩١هـ)

[٩] انظر مقدمة الأسفار ج١ ص.ج وكوربان «دراسات أدبية» الجامعة اللبنانية عدد١-٢عام ١٩٦٥، كما أن هذه المعلومات تتأكد من خلال ما كتبه صهره محسن الفيض الكاشاني في رسالة «شرح الصدر»، وهي موجودة في مكتبة آية الله مرعشي العامة في قم تحت رقم ١٤٠١.

[١٠] يورد الدكتور سيد حسين نصر في تحقيقه للنص الفارسي لرسالة «سه أصل» الحاشية التالية: «في إحدى نسخ الأسفار الخطية التي استنسخت من النسخة الأصلية سنة ١١٩٧هـ يسجل المؤلف: في بيان إن العقل عبارة عن اتحاد العاقل بالمعقول»، تاريخ هذه الإفاضة كان ضحوة يوم الجمعة السابع من جمادى الأولى عام سبع وثلاثين وألف من الهجرة، وقد مضى من عمر المؤلف ثمان وخمسون سنة قمرية، ولكن لا يمكن التأكد من صحة تلك الحاشية.

[١١] من المدن الإيرانية الكبرى، تقع على بعد ٩٠٠ كلم جنوبي طهران، يوجد فيها عدة مدارس قديمة من أهمها «مدرسة خان» التي في بنيت في عصر الملا صدرا، ثم أصبحت مدرسة خاصة له بعد عودته من عزلته.

وهناك أنفق ما خلّفه والده من أموال، ويقول «صدرا» عن تلك المرحلة: «قد صرفت قوتي في سالف الزمان، منذ أول الحداثة والريعان، في الفلسفة الإلهية، بمقدار ما أوتيت من المقدور وبلغ إليه قسطي من السعي الموفور»[١٢].

عندما وصل صدر الدين إلى أصفهان، ذهب إلى مدرسة الشيخ بهاء الدين العاملي[١٣]، وهنالك تتلمذ عليه في العلوم النقلية حتى نال درجة الاجتهاد، وحضر بعد ذلك مجلس «المير محمد باقر الداماد»[١٤]، كما نال بعض الدروس على يدي المير أبي القاسم الفندرسكي[١٥]، وبنظرة سريعة يمكن تقسيم حياته إلى ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى

تميَّزت هذه المرحلة بتتبع العلم من مصادره كافة، وتتبّع آراء الفلاسفة والمتكلمين ومناقشتها، وفهم مقاصدها، ويصف تلك المرحلة، فيقول: «وإني لقد صادفت أصدافًا علمية في بحر الحكمة الزاخرة مدعمة بدعائم البراهين الباهرة، المشحونة بدرر من نكات فاخرة، مكنونة فيها لآلىء دقائق زاهرة، وكنت برهة من الزمن أجيل رأيي، أردد قداحي وأؤامر نفسي وأنازع سرِّي حدبا على أهل العلم، ومن له من تحقيق الحق أربا، في آن أشق تلك الأصداف الثمينة وأستخرج منها دررها الثمينة، وأروق بمصفاة الفكر كتابًا جامعًا لشتات ما وجدته في كتب الأولين مشتملاً على خلاصة وأقوال المشائين، ونقاوة أهل الذوق، أهل الإشراق من الحكماء الرواقيين مع زوائد لم توجد في كتب أهل الفن من حكماء الأعصار، وفرائد لم يجُد بها طبع على أحد من علماء الأدوار ولم يسمع بمثله دورات السماوات ولم يشاهد شبهه في عالم الحركات»[١٦].

وينتقد الشيرازي المتكلمين والفقهاء الذين كانوا سبب لجوئه إلى

---

[١٢] الشيرازي، صدر الدين:" الأسفار الأربعة «دار إحياء التراث العربي» بيروت، ط١، ١٩٨١، ج١، ص٥٠.

[١٣] بهاء الدين العاملي ٩٣٥هــ.ق١٦٠٣ م.

[١٤] المير محمد باقر بن المير شمس الدين محمد الحسيني الأستر آبادي ت١٠٤٠هــ.ق ١٦٣١م.

[١٥] المير الفندرسكي ت١٠٤٩هــ.ق ١٦٤٠م.

[١٦] الشيرازي، صدر الدين: «الأسفار...» م.س، ج١ص٥٠.

مكان بعيد عن الحقيقة، وقد وصفهم في رسالة الأصول الثلاثة، بقوله: «إن أشباه العلماء الكثيري الشر والفساد، والمتكلمين خارج منطق الصواب والحساب، وبعيدًا عن دائرة السداد والرشاد، والمتشرعين الأبرياء من شرع العبودية والانقياد، المنحرفين عن سلك الاعتقاد بالمبدأ والمعاد، قد ربطوا على أعناقهم رسن التقليد، وجعلوا شعارهم إبعاد الدراويش، وهم يسعون دائما إلى إنكار مذهب الحكمة والتوحيد، وعلم سبيل الحق والتجريد، الذي هو مسلك الأنبياء والأولياء عليهم السلام»[١٧].

المرحلة الثانية

بدأت مع العزلة والانقطاع والعبادة والتفكير والتأمل في قرية «كَهَكْ»[١٨]، ووصل بها إلى حدود الكشف الذي هو: «ثمرة نور يقذف في قلب المؤمن بسبب اتصاله بعالم القدس والطهارة وخلوصه بالمجاهدة عن الجهل والأخلاق الذميمة وحب الرئاسة والإخلاد إلى الأرض والركون إلى زخارف الأجساد»[١٩].

واستمر «الشيرازي» على هذه الحال، حتى وصل إلى مرحلة وصفها على الشكل التالي: «اشتعلت نفسي لطول المشاهدات اشتعالاً نوريًا، والتهب قلبي لكثرة الرياضات التهابًا قويًا. ففاضت عليها أنوار الملكوت، وحلت بها خفايا الجبروت، ولحقتها الأضواء الآحدية. وتداركتها الألطاف الإلهية. فاطلعت على أسرار لم أكن اطلعت عليها إلى الآن، انكشفت لي رموز، لم تكن منكشفة هذا الانكشاف من البرهان، بل كل ما علمته من قبل بالبرهان عاينته مع زوائد بالشهود والأعيان»[٢٠].

وفي نهاية هذه المرحلة الصعبة، التي عاش فيها «صدرا» بعيدًا عن

---

[١٧] الشيرازي، صدر الدين: «سه اصل» المقطع الثامن.

[١٨] كَهَكْ قرية على بعد ثلاثين كيلومترا إلى الجنوب الشرقي من مدينة قم التي تقع على بعد ١٤٠ كيلومترا جنوبي طهران، وهي مجموعة من البساتين، يقوم بجانبها مسجد صغير من القرن الحادي عشر، غريب التصميم والهندسة، وفيها قلعة قديمة أثرية، وفي تلك الطبيعة، أمضى احدى عشرة سنة.

[١٩] الشيرازي، صدر الدين: «الأسفار...» م.س، ج١ص ١٨.

[٢٠] الشيرازي، صدر الدين: «الأسفار...» م.س، ج١ص ٩.

مشاكل المجتمع، (ولهذه المرحلة دورٌ مركزيًا استطاع صدراً أن يراكم العلم من مصادر متعددة، ومن ثم أخضعها عبر الشهود للتصفية، مما جعل معرفته تمزج بين المعرفة العلمية والكشف في الحملة التي شنها على بعض العلماء، الذين أرهقوه وأجبروه على ترك المدينة).

المرحلة الثالثة

هي دور التأليف، حيث عرض الشيرازي لفلسفته، وعن هذه المرحلة يقول: «إن الله ألهمه أن يخرج من عزلته، ويعلن على الناس ما شعر به وما أفيض عليه»[٢١].

وكانت «الأسفار الأربعة» باكورة أعماله، حيث رأى: «إخراجه من القوة إلى الفعل، والتكميل، وإبرازه من الخفا إلى الوجود والتحصيل»[٢٢].

وقد ترافق التأليف مع انتشار صيته كأستاذ للفلسفة: «في غرفة متواضعة لا تزال تمكن مشاهدتها في تلك المدرسة المعروفة باسم مدرسة خان»[٢٣]، فأسرع طلبة الحكمة إلى مجلسه، ثم بنى «الله وريخان»[٢٤] مدرسة، واستدعى الشيرازي ليديرها بأمر من الشاه عباس الأول[٢٥].

أمضى الشيرازي سنواته الباقية في مدينة شيراز، وقيل إنه زار مكة المكرمة سبع مرات مشياً على الأقدام، ووافته المنية في البصرة، وهو عائد من أداء فريضة الحج، وذلك حوالي سنة ١٠٥٠ للهجرة قمري.

---

(٢١) الشيرازي، صدر الدين: «الأسفار...» م.س، ج١ص١١.

(٢٢) كان شيرازي قبل عزلته صنف ثلاث رسائل «رسالة طرح الكونين» و «رسالة حل الإشكالات الفلكية» و «رسالة حدوث العالم».

(٢٣) كوربان، هنري: «مقام ملا صدرا في الفلسفة الإيرانية» الدراسات الأدبية، ع١-٢، عام ١٩٦٥.

(٢٤) الله وريخان، والي أرمني لمدينة شيراز توفي في سنة ١٠٢٢ للهجرة.

(٢٥) خامس حكام الدولة الصفوية حكم من ٩٩٦هـ إلى١٠٣٨هـ.

ثانيا: أساتذته وطلابه

تلقى الشيرازي علومه على يد مجموعة من العلماء، الذين أدّوا دورًا كبيرًا في تاريخ الفكر والدين في العالم الإسلامي، ومنهم :

أ- أساتذته:

١-**بهاء الدين العاملي**: ولد بهاء الدين العاملي في مدينة بعلبك سنة ٩٣٥هـ.ق١٦٠٢ م، وهاجر إلى إيران برفقة أبيه الذي كان من تلاميذ الشهيد الثاني، وبدأ هناك بتحصيل العلوم في مدارس قزوين وخرسان، واشتهر خلال فترة بسيطة ووصل إلى منصب شيخ الإسلام، وكان من أبرز علماء عصره في الرياضيات والفقه والكلام... من أهم آثاره: زبدة الأصول في الكلام، مشرق الشمسين، الحبل المتين، والجامع العباسي، الكشكول، الحليب والسكر، الخبز والحلاوة،... وتتميز أعماله بالسهولة، وهو من العلماء الذين حاولوا تسييل العلوم.

٢-**الداماد**: المير محمد باقر بن المير شمس الدين محمد الحسيني الأستر آبادي ت١٠٤٠هـ.ق ١٦٣١م، من كبار الفلاسفة، لُقِبَ بالمعلم الثالث، ولُقِبَ بالداماد بسبب زواج أبيه من بنت أحد علماء عصره، فأخذ الناس ينادونه بالداماد أي الصهر، له كتب ورسائل عديدة منها: تقويم الإيمان، الصراط المستقيم، في الحكمة، شارع النجاة، سدرة المنتهى بالإضافة إلى حواشي على الكافي للكليني.

٣-**الفندرسكي**: المير الفندرسكي ت١٠٤٩هـ.ق ١٦٤٠م، فيلسوف اشتهر في عصره بسبب تدريسه الحكمة، لم يترك أثرًا متكاملاً مكتوبًا، وكل ما هو متداول مجموعة من الحواشي، ويقال إنّه هو من قام بترجمة الفيدا من اللغة السنسكريتية إلى الفارسية.

ب- الطلاب:

ب- لم يكتف الملا صدرا بترك آثارٍ فكرية، بل ترك كذلك منهجاً علمياً، استمر من بعده من خلال طلابه، ومن أشهر تلامذته:

١- محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الفيض، وهو صهر صدر الدين، وهذه الشخصية كانت تتمتع بالعلم الفياض، فهو عالم مُحَدِّثٌ صلب لا

يتوانى عن النقاش النقدي مع المعارضين لفكره، وله آثار علمية عدة منها: كتاب الصافي في تفسير القرآن الكريم، وكتاب المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، وكتاب محجة الحقائق في أسرار الدين، وكتاب تشريح العالم في بيان العالم وأجسامه وأرواحه وكيفيته وحركات الأفلاك والعناصر وأنواع البسائط والمركبات، وكتاب حدوث العالم، وراه صواب (أي طريق الصواب) بالفارسية في سبب اختلاف أهل الإسلام في المذاهب، وكتاب إبطال الجواهر الأفراد، وفهرست العلوم، شرح فيه أنواع العلوم وأصنافها. وعدّ له السيد الجزائري عدداً كبيراً من الكتب، قد أربت على مائتي كتاب ورسالة .

٢- ومن تلامذته المولى عبد الرزاق بن علي بن حسين اللاهيجي الجيلاني ثم القمي، الحكيم المتشرع المتكلم المحقق الأديب المنطقي، الشاعر الجليل، الناظم للعديد من المصنفات في الحكمة والكلام، منها: كتابه المشهور بـ«جوهر المراد»، كتاب شرح تجريد نصير الدين الطوسي الفيلسوف، وشرح الهياكل في حكمة الإشراق، والكلمات الطيبة في المحاكمة بين المير الداماد وتلميذه صدر الدين في أصالة الماهية والوجود، ورسالة حدوث العالم، وحاشيته على حاشية الخفري على الإلهيات، بالإضافة إلى حاشيته على شرح الإشارات لنصير الدين الطوسي.

ثالثا: فلسفته

ينتمي صدر الدين الشيرازي إلى المدرسة الفكرية التي اعتمدت التعدد المنهجي، وهو من الفلاسفة القلائل الذين يمتلكون نظامًا معرفيًا متكاملاً، وفي هذا الموضع من الدراسة سيتم التركيز على طريقة «صدرا» في التأليف بالإضافة إلى نظامه المعرفي ومبانيه النظرية، التي كان لها أثر كبير في التفكير الفلسفي الإسلامي.

أ- طريقة صدرا في التأليف:

كتب الشيرازي معظم أعماله باللغة العربية، كما مال عن طريقة التأليف التقليدية عند ابن سينا والفارابي، ومن شابههما من المتأخرين، الذين تشبهوا بأفلاطون وأرسطو في طريقتهما، التي تقوم على تقديم الرياضيات والإلهيات، وعندما يتمرس المتعلم بهذين العلمين، ويتعرف على أسس الفكر والاستدلال في المسائل العلمية، يبدأ بتعلم العلوم الأخرى، و أدى هذا الأمر إلى عدم تمييز الفلاسفة مسائل الحكمة الإلهية الخاصة (التي تبحث في ذات الله وصفاته وأفعاله) من المسائل العلمية العامة؛ أما «الشيرازي»، فقد جعل كل واحدة منها عنوان سفر من أسفاره. والأهم من ذلك؛ أن الحكماء ناقشوا علم النفس (الذي هو أحد أصول الحكمة) في مبحث الطبيعيات، كما فعل ابن سينا في طبيعيات الشفاء، ولكن « الشيرازي» فصل مبحث النفس من الطبيعيات وجعله عنوان المجلد الرابع من الأسفار، وهذا ما يدل على أنه اعتبر هذا المبحث من مباحث الإلهيات.

ومال «الشيرازي» في كتاباته إلى تفصيل أفكاره من خلال منهجه الخاص؛ وذهب أبعد من ذلك، فلخص وحلل وقيّم أفكار أسلافه من الفلاسفة، نقض بعضها ونقد بعضها الآخر، وقدّم فهمه لكل موضوع من الموضوعات التي تحدث فيها، وبهذه الطريقة هو في الواقع عرض لتاريخ الفلسفة الإسلامية.

والضبط المنهجي عنده واضح، فهو قد استخدم المنهج نفسه في كل عمل من أعماله الفلسفية والتفسيرية والفقهية، والملاحظة التي يمكن أنْ تساق في هذا المجال هي انضباطه القولي، فعندما نأخذ مسألة معينة لديه نراه، يتقيد بها في جميع كتبه، مع توسيع أو تضييق من خلال علاقة الموضوع بالنّص؛

مثلاً نشاهده في كتاباته الفلسفية يؤكد على أن بسيط الحقيقة هي أهم ما تملكه الكمالات الوجودية، ويوضح أيضاً أنّ قاعدة بسيط الحقيقة هي الأرضية لكثير من المعارف[٢٦]، لكنّه يعتبر في كتاباته التفسيريّة أن بسيط الحقيقة كسائر الكمالات الوجودية التي تستند إلى الاسمين من أسماء الله تعالى الحسنى وهما «الحي» و«القيوم»، ويعتبر أن معرفة حقيقة الاسمين المذكورين هي المقدمة للعديد من المعارف. يقول صدر المتألهين في تفسير آية الكرسي بعد أن أخذ معنى الحياة بمعنى القيوم وأوضح السبب في إطلاق هذين الاسمين على اسم واحد وأنهما ككلمة بعلبك التي تعتبر بمجموعها اسماً واحداً. جميع المعارف الربوبية والمسائل المعتبرة في علم التوحيد يتشعب من هذين الأصلين، منها أن واجب الوجود بسيط الحقيقة، ومنها أن واجب الوجود ليس حالاً في شيء ... ومن ههنا يثبت ما قاله الحكماء: إن واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات ... ومنها أنه عالم بذاته ... ومنها ... ومنها ... فظهر أن هذين اللفظين كالمحيطين بجميع مباحث العلم الإلهي[٢٧] .

وأخيراً، نلاحظ سعة استشهادات «صدرا»، وتنوع مصادر الشواهد التي لجأ إليها، وهذا ما دعا «سيد حسين نصر» إلى القول: «ولا حاجة بنا إلى القول إن ملا صدرا استمد من جل المذاهب التي ظهرت في الإسلام من المتكلمين إلى الفلاسفة فإلى أهل الباطن، بل أخذ حتى عن الهرمسية والفيثاغورية الجديدة»[٢٨]

ب- نظامه المعرفي

تختلف العلوم بين قطاع معرفي وآخر، فلكل طرف طريقته الخاصة في تناول المسائل، وعلى الرغم مما بينها من مشتركات، إلا أنّ كل واحدة منها تكتفي بعرض جهة واحدة من جهات المعرفة، ولا تتعرض للجهات الأخرى. وعند التعرض لبعض الجوانب فإنّ ذلك يكون من باب التأييد لها أو الرفض

---

(٢٦) المصدر نفسه، ص٢٤ - ٢٥ .

(٢٧) تفسير آية الكرسي، ص٨٨ - ٩٧

(٢٨) Nasr, Seyyed Hossein «Islamic Studies» Beirut, Librairie du liban, first published 1976, p117.

وليس كدليل. وعند عدم التمكن من التعرض للجوانب المختلفة، فتكتفي كل واحدة من العلوم بجهتها الخاصة بها. لكن الفلسفة الصدرائية، تخطت كل هذه الأسس التقليدية، وقامت ببناء منهجي جديد، يقوم على التعدد المنهجي.

فالحكمة المتعالية تجد تكاملها في الجمع بين الأدلة المذكورة، وتتعرض للجميع مع الحفاظ على استقلال كل واحدة منها. ثم إنها تقوم بجمع هذه الأمور المذكورة باحتياط وثقة وتحرز من عدم خلط الأمور فيما بينها. وأما في مقام التقييم الداخلي فإن الحكمة المتعالية تعتبر أن الأصالة للقرآن، وتشاهد كافة الأمور غير منفكة عن محور الوحي، يقول العارف المشهور القيصري في شرح الفصوص: «لقد حصّل أهل الله هذه المعاني بالكشف وليس بالظن وما يذكرونه من برهان إنما هو لتنبيه الأفراد وإيجاد الأنس بينهم التنبيه لهذا السطر وليس للاستدلال»[29]. ويقول الشيخ الإشراقي:... ولم يحصل لي أولاً بالفكر، بل كان حصوله بأمر آخر، ثم طلبت عليه الحجة حتى لو قطعت النظر عن الحجة مثلاً ما كان يشككني فيه مشكك»[30].

منهج أصحاب التفسير والكلام واضح؛ حيث إنهم يعطون الأصالة للنقل، ويركنون أحيانا إلى الدليل العقلي كمؤيد فحسب، على الرغم من إصرار المتكلمين على عدم الجمع بين العقل والنقل واستغنائهم بأحدهما عن الآخر، مع الالتفات إلى أن بعض المسائل الكلامية وأدلتها هي جزء من العلوم النقلية، وليست من العلوم العقلية، كالنبوة الخاصة والإمامة الخاصة عن طريق التنصيب أما الحكيم المتأله فهو يعتبر البرهان موافقا للعرفان، وهو ضروري ليس فقط لأجل التأييد والتنبيه، ثم إن عرضهما على القرآن هو من باب الفريضة وليس النافلة. نعم في بعض المسائل الجزئية حيث يعمل العقل فيها على تصحيح الأصل الكلي من باب الضرورة أو الإمكان؛ نلاحظ حضوراً للعرفان، ولا يلزم أن يرافقه البرهان، على الرغم من أننا نشاهد أماكن أخرى تقوم على القرآن من دون الحاجة إلى مرافقة عرفان العرفاء غير المعصومين . والسبب إنّ الحكيم

---

[29] شرح الفصوص، ص٤، ص٥٨، ص٢٥٢ .

[30] حكمة الإشراق، ص١٠، طبعة جديدة .

المتأله لا يكتفي في الأصول الكلية بالعرفان المحض أو الدليل النقلي الصّرف، ولا يرى في هذه الحالة أيَّ قصور من جهة العقل؛ لأنه يعلم أن كل مشهود فهو مبرهن، لا بل ويستطيع إقامة البرهان عليه. طبعاً نسبة العرفان والبرهان إلى القرآن هي نسبة المقيّد إلى المطلق، وكل مطلق فهو يمتلك كل ما يمتلكه المقيّد، لكن المقيّد فاقد لبعض شؤون المطلق بسبب قصور وجوده؛ لذلك يمكن للإنسان الكامل المعصوم توضيح بعض مشاهداته للعارف على الرغم من أنه يتمكن عند مواجهة الحكيم من إقامة البرهان على كل واحدة منها، والسبب في قدرته على توضيح مشهوداته للعارف وإقامة البرهان للحكيم هو السعة الوجودية التي يتمتع بها الوحي عند مقايسته إلى الوجودات العرفانية والبرهانية المقيدة على الرغم من اختلاف الإنسان الكامل المعصوم والعارف والحكيم في هذه النقطة.

يقول صدر المتألهين: «الفرق بين علوم أهل النظر ومعارف أهل البصر هو كالفرق بين فهم معنى الحلاوة وتذوقها وأيضاً كالفرق بين فهم معنى الصحة ومفهوم السلطنة، ومعنى السليم والتسلط. لهذا أيقنت بأن الحقائق الإيمانية لا تتيسر من دون تصفية القلب»[٣١]؛ إذاً لن يكفي البرهان بمفرده دون الوجدان.

ويتحدث صدر المتألهين حول ضرورة الملازمة بينهما ويقول: «.. ولا يحمل كلامنا على مجرد المكاشفة والذوق أو تقليد الشريعة من غير ممارسة الحجج والبراهين والتزام القوانين، فإن مجرد الكشف غير كاف في السلوك من غير برهان كما أن مجرد البحث من غير مكاشفة نقصان عظيم في السير»[٣٢].

يعتبر صدر المتألهين بأن الشريعة الحقة أعلى من أن تتصادم أحكامها مع المعارف اليقينية، ثم يبدي نفوره من فلسفة لا تتطابق قوانينها مع الكتاب والسّنّة[٣٣]؛ ويوضح أن سبب عدم قدرة بعض العرفاء على تقرير مرامهم ومشهوداتهم هو التالي: «لكنهم لاستغراقهم بما هم عليه من الرياضات والمجاهدات وعدم تمرّنهم في التعاليم البحثية والمناظرات العلمية ربما لم

---

[٣١] مقدمة تفسير سورة الواقعة.

[٣٢] الأسفار، ج٧، ص٣٢٦، وأيضاً ج٩، ص٢٣٤.

[٣٣] الأسفار، ج٨، ص٣٠٣.

يَقْدرُوا على تبيين مقاصدهم وتقرير مكاشفاتهم على وجه التعليم، أو تساهلوا ولم يبالوا عدم المحافظة على أسلوب البراهين، لاشتغالهم بما هو أهم لهم من ذلك»[٣٤].

ويقول حول مسألة وحدة الوجود التي هي مورد توافق أصحاب الكشف والشهود: «لا يمكن إدراك ذلك بواسطة النظرات البحثية من دون الرجوع إلى سيرتهم العلمية والعملية والإعراض عن العادات الجدلية»[٣٥].

ويقول حول الاستناد إلى الوحي وحجية قول المعصوم عليه السلام القطعي في المعارف:... كل ما هو غير محال ولا ممتنع فإن الكتاب الإلهي والسنّة النبوية - الصادرة بشكل قطعي عن المعصوم والمنزهة عن المغالطة والكذب - كالبرهان العقلي والرياضي يمكنهما إثبات ذلك»[٣٦] إذاً مكانة الوحي الإلهي في الحد الوسط للبرهان العقلي؛ هذا في حال كان قطعياً من حيث السند وكان نصاً من حيث الدلالة .

النتيجة هي أن جامعية الحكمة المتعالية تتمثّل في أنها تروي عطش أهل الشهود وتُوصِلُ أصحاب البحث إلى العلم اليقين، على عكس العلوم الآخرى؛ ذلك لأن أصحاب البحث المحض لا يكتفون بالعرفان على الرغم من أنه وسيلة مطمئنة لنفس العارف[٣٧] وأهل الشهود لا يركنون إلى الحكمة البحثية على الرغم من أنها تقنع الحكيم الباحث، وأهل البرهان لا يعتنون بالمجادلات الكلامية على الرغم من أنها تُسْكِت المستمع المجادل ولا تقنع المتكلم؛ ذلك لأن غاية الجدل هي إسكات المخاطب[٣٨] عكس البرهان الذي يقنع الاثنين معاً. بناءً على ذلك فالحكمة المتعالية هي الحكمة الوحيدة التي يقتنع بها الحكيم وأهل الشهود وأهل النظر .

---

[٣٤] الأسفار، ج٦، ص٢٨٤ .

[٣٥] المبدأ والمعاد، طبعة جديدة، ص٣٠٦ .

[٣٦] الأسفار، ج٩، ص٦٧ وأيضه ج٧، ص٣٢٧ (العبارة لم أجدها في كتب صدر المتألهين) .

[٣٧] منتخب من آثار حكماء إيران الإلهيين، رسالة الأسرار الحسينية، الملا عبد الرحيم الدماوندي، ج٣، ص٦٠٥ .

[٣٨] المصدر نفسه .

ج- مباني فلسفة صدرا

تقوم فلسفة«صدرا» على عدد من المباني الأساسية، التي تعتبر مدخلاً في فهم النص الصدرائي، وسنقوم بعرضها بشكل سريع:

ألف - أصالة الوجود:

تعتبر مسألة أصالة الوجود من المسائل المركزية في فلسفة الشيرازي؛ ويقول في أحد كتبه: «وإني قد كنت شديد الذب عنهم في اعتبارية الوجود وتأصل الماهيات حتى أن هداني ربي وانكشف لي انكشافاً بيناً أن الأمر بعكس ذلك، وهو أن الوجودات هي الحقائق المتأصلة الواقعة في العين ...»[٣٩]، وتؤلف هذه المسألة الأساس لفلسفة ملا صدرا والحكمة المتعالية، بحيث إن الجهل بحقيقة وأحكام الوجود يؤدي إلى الجهل بالعديد من المباحث الفلسفية الأخرى، بالأخص علم النفس ومعرفة المبدأ والمعاد، كما أن هذه المسألة أصبحت من المسلمات، فلم يخالفه أحد من الحكماء المشهورين، ويقصد من كون الوجود أصيلاً هو كونه منشأ للآثار[٤٠]، واعتباره موجوداً بذاته، وامتلاكه العينية[٤١]، وتأليفه الواقع.

يعتقد صدر المتألهين أن مفهوم الوجود مشترك معنوي وحقيقته هي حقيقة واحدة سارية وجارية في تمام الوجودات؛ وبناء على هذه النظرية فالوجود ليس واحداً محضاً، وليس متبايناً بتمام ذاته، بل الوجود حقيقة واحدة، وفي عين وحدتها لها مراتب مختلفة، بحيث إن ما به الاشتراك وما به الامتياز في تلك المراتب يعود إلى نفس الوجود. ثم إن درجات ومراتب الوجود شبيهة بدرجات ومراتب النور[٤٢] الذي هو واحد في حقيقته، ومتعدد بحسب المراتب والدرجات .

بعض الوجودات تقع في أعلى حد ومرتبة من الشهرة والقوة والنورانية، كالواجب تعالى، وبعض الوجودات تقع في أسفل درجة، وهذه الدرجات

---

(٣٩) الأسفار، ج١، ص٤٩ .

(٤٠) الأسفار، ج١، ص٤٩ .

(٤١) المشاعر، المشعر الثالث، ص٩.

(٤٢) الأسفار، ج١ ص٣٦ وص٤٢٧.

النازلة من الوجودات الإمكانية جميعها من الشؤون والمراتب النازلة لدرجة الواجب العالية، لا بل هي مظاهره المختلفة.

يعتقد صدر المتألهين أن النسبة بين وحدة الوجود وكثرة الموجود هي كالنسبة بين الشمس وأشعتها، أشعة الشمس ليست بشمس، ولكنها ليست شيئا آخر غير الشمس. بناء على ذلك فالعالم ليس فقط واحدًا في عين كثرته، بل يملك مراتب مختلفة. وهكذا، تمكن صدر المتألهين من خلال إثبات الوحدة التشكيكية للوجود أن يرسم خط البطلان على إشكالات المشائين على مسألة التشكيك، ويطرح مسألة الوحدة في عين الكثرة، والكثرة في عين الوحدة. وقد وضّح الحكيم السبزواري من خلال مثال مسألة اجتماع الوحدة والكثرة: الشخص الواقف في مقابل عدد من المرايا فهو شخص وأشخاص متعددين، ولو جعلنا الصور وسيلة وآلة لمشاهدة الأصل فهي كثيرة في وحدتها، كثيرة باستقلالها وواحدة بنوريتها؛ لأنّ الجميع صورة لواقعية واحدة[٤٢].

بناء على ذلك فالوحدة في الكثرة عبارة عن سير نور الوجود في قوس النزول، ولا يشاهد العقل سوى حقيقة الوجود في كافة المظاهر والمجالي المختلفة، وظهوره في كل موجود بعد رفع الحدود والقيود وصرف النظر عن التعينات «ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه». وأيضًا الكثرة في عين الوحدة عبارة عن رجوع الموجودات إلى واجب الوجود في قوس الصعود؛ بعد نزع كافة التعينات والقيود والحدود في مراتب استكمال جميع الخلائق: إنا لله وإنا إليه راجعون.

ب- الحركة الجوهرية:

أدْخَلَتْ نظرية الحركة الجوهرية ولأول مرة عنصرين أساسيين في الفكر الإسلامي، الأول: تاريخية الوجود، والثاني: التبدل والتغير الداخلي في عين السكون الخارجي لهذه الشجرة المباركة التي تطغي على فكر وذهن الموحد واحدة بعد أخرى فتسانده في مسيرته العملية ليتمكّن من التقدم في مسيرة القرب إلى الله ورضاه، حيث إن جميع موجودات العالم لا تتحرك إلا إليه، وهكذا يحصل التقدم يوما بعد يوم لتقدم البشرية.

---

[٤٢] تعليقة السبزواري على الأسفار ج١ص٧١-٧٢.

خالف «الشيرازي» المشهور، وأكد وقوع الحركة في الجوهر، واعتمد في رأيه على نوعين من الأدلة: عقلية ونقلية.

أ- الأدلة العقلية:

وقوام هذه الأدلة بديهيتان أوليتان:

أ- أ-البديهية الأولى هي، أن الحركة في العرض تنتهي إلى الحركة في الذات، وهذا ما أثبته صدر المتألهين في بيان كيفية الحركة، حيث يقول إنه يجب أن تنتهي كل الحركات العرضية إلى حركات جوهرية، فكل حركة في الكم والكيف، أو العرض والأين، هي حركة في موضوع عرضي، ومن الضروري أن تنتهي إلى الحركة في الذات والجوهر.

من هنا، فكل تغيير وتبدل في أعراض الجسم دليل على التبدل في ذاته وجوهره، كالحركة التي تسبب نمو التفاحة؛ يجب أن تكون في ذاتها حتى تظهر في عرضها وظاهرها أيضا.

لكن هناك حركة في بعض الأشياء، لا نشعر بها ظاهريًا، مثل الحركة الدائمة في روح الإنسان الناتجة عن اتصال الأجزاء المتحركة وتعاقبها، بحيث لا يتسنى للناظر أن يدرك التحول في ظاهر الجسم.

أ- ب- البديهية الثانية، وتتمثل في التناسب والانسجام بين العلة والمعلول، وهذا التلازم يوجب النسبة بينهما، بمعنى أن علة الشيء الثابت ثابتة، وعلة الشيء المتغير متغيرة، فسبب الحركة في كمية المادة مثلاً، هو القدرة الذاتية للجسم[٤٤]، فالجوهر الذاتي إذًا هو علة الحركة في الكمية. استنادًا إلى لزوم التناسب بين العلة والمعلول، فذات الأجسام في تجدد وتبدل دائمين، كي تتمكن من إحداث التجدد في الكمية والكيفية والأوصاف العرضية المتعلقة به. يقول الحكماء في هذا الباب: «وجود العرض في نفسه، عين وجوده لموضوعه»، بمعنى أن العرض ليس وجودًا مستقلاً بحد ذاته بل يتبع الجوهر، فصفة التجدد والحدوث في الأعراض ناتجة عن صفة التجدد والحدوث في الجوهر.

استنادًا إلى هاتين البديهيتين، نصل إلى أصول الأدلة العقلية التي

---

[٤٤] الشيرازي: «الأسفار...» م.س، ج٣ص ٣٢و صص٩٢- ١٠٠.

أوردها الملا صدرا:

أولا: تقسيم القوة المحركة وإثبات المحرك العقلي: القوة المحركة للجسم إما يكون ذاتيا، كما هو في النفس المنفعلة التي هي مصدر تحريك الجسم الفلكي، وإما بواسطة وسيلة أخرى.

فصدور الحركة عن المحرك، يرجع إلى أن الذات لها صفتان ذاتيتان هما: التغيير والحركة، بمعنى أنّ إيجاد الذات هو بعينه إيجاد الحركة، وإيجاد الحركة هو بعينه إيجاد الذات، وهما يحدثان بصورة متصلة، مثال على ذلك: اتصال واتحاد وجود النار والحرارة.

يُسْتَنْتَجُ من الأصل الأول بأنّ كلّ الحركات يجب أن تنتهي إلى محرك تكون الحركة صفة ذاتية له، وإلا لزم التسلسل في الحركات والمتحركات، وهنا يسلم صدرا بمحرك لا يتحرك، ليتخلص من دوامة الحركة، فيثبت بأن كل محرك ذي حركة تكون له أبعاد معينة ومقادير متناهية. لذلك كلّ المتحركات يجب أن تنتهي إلى محرك غير متحرك، ومحرك ذاتي للمتحرك اللامادي يتم بطريقتين: الأول برهان تناهي الأبعاد، والثاني برهان تناهي العلل والمعلولات[٤٥].

ننبه هنا إلى أن الشيرازي، بناء على هذا النمط من البراهين، يقسم المحرك إلى نوعين: مباشر وغير مباشر، ويقصد بالمحرك غير المباشر المحرك العقلي الذي لا يحرك مباشرة، بل يحدث الجوهر المحرك بالذات.

ثانيًا: المبدأ القريب للحركة أو فاعلها المباشر: وهو نفس القوة الذاتية والطبيعية الخاصة بالجسم، بمعنى أن الحركة في شيء هي دلالة على نقصها، والحركة هي السير من النقص إلى الكمال، ومن القوة إلى الفعل، ولا يمكن أن توجد حركة في جوهر عقلي مجرد، لأنه كامل.

ثالثا:صحيح أن الحركة هي حدوث وعدم حدوث، ولكن الحدوث والعدم ذاتيان في الطبيعة لا ينفصلان عنها، لذلك فالطبيعة والحركة متلازمتان، لذا تحدث الحركة في الجوهر، وتبعث التجدد في الصورة.

---

[٤٥] الشيرازي: «الأسفار...» م.س، ج٣ص ٢٣١.

ب- الأدلة النقلية

يعتبر صدر الدين أن الحركة الجوهرية من صلب العقيدة الإسلامية، ويرد على منتقدي مذهبه، بقوله:«فقولك هذا إحداث مذهب لم يقل به حكيم، كذب وظلم، فأول حكيم قال في كتابه العزيز، وهو أصدق الحكماء ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[٤٦] وقال ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٤٧] وقوله إشارة إلى تبدل الطبيعة ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾[٤٨] وقوله ﴿نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤٩] ...

وفي كلمات الأوائل تنبيهات وتصريحات، فقد قال معلم الفلسفة اليونانية في كتابه المعروف بكتاب أثولوجيا ومعناه المعرفة الربوبية:«انه لا يمكن أن يكون جرم من الأجرام ثابتًا قائمًا مبسوطًا كان أو مركبًا، إذا كانت القوة النفسانية غير موجودة فيه وذلك أن من طبيعة الجرم السيلان والفناء، ولو كان العالم كله جرمًا لا نفس فيه ولا حياة، لبادت الأشياء وهلكت، هذه عبارته، وهي ناصة على أن الطبيعة الجسمانية عنده جوهر سيال، وان الأجسام كلها بائدة زائلة في ذاتها»[٥٠].

إن الحركة الجوهرية أضيفت إلى الحركة المعتادة في باقي المقولات عند سائر الحكماء، ويستعين بها الشيرازي لحل المشاكل المتعلقة بالحادث والقديم، والحدوث والمعاد الجسماني، وتكامل النفس، ويستدل في هذا الباب على أن جميع الموجودات تسعى إلى بلوغ الكمال، وكل مرحلة انتقالية هي للتخلص من نقص ما والحلول في كمال ما. ولكن ماهية الشيء لا تفنى، لأن لكل شيء وجهين، وجه في العالم الأعلى لا يتغير، ووجه متغير في العالم الأدنى، وهذا الأخير هو الذي تقع فيه الحركة الجوهرية، وتنقله من حالة إلى حالة، وتغير أجزاء صورته حتى ما بعد الحياة[٥١].

---

(٤٦) النمل ٨٨.

(٤٧) ق ١٥.

(٤٨) ابراهيم ٤٨.

(٤٩) الواقعة ٦١.

(٥٠) الشيرازي: «الأسفار...» م.س، ج٣صص ١٠٨- ١١٢.

(٥١) الشيرازي: «الأسفار...» م.س، ج٣صص ١٠٣- ١١٣.

وأخيرًا، وردت فكرة الحركة الجوهرية في رسالة الأصول الثلاثة في أكثر من مكان، منها تقسيم الشيرازي للنفس إلى ثلاثة أقسام: بهيمية وسبعية وشيطانية[٥٢]، ويقول لا يمكن للنفس أن تخرج من ظلمة هذه القوى إلا بنور الإشراق الساطع من تعاليم النبي والهداية المتصفتان بالحكمة، كما ورد في الآية ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٥٣].

ويؤكد الشيرازي، بأن للنفس القدرة للخروج من الظلمة لبلوغ اليقظة الإنسانية عبر مراحل، هي الجمادية والنباتية والحيوانية والشيطانية، وبعد بلوغ النفس مرتبة اليقظة الإنسانية، تصبح مستعدة لميقات النشور_ أي يوم القيامة_ بواسطة العلم والعمل والتقوى والإيمان[٥٤] .

كذلك استدل «صدرا» بكثير من الأحاديث، التي تثبت وجهة نظره في الحركة الجوهرية: «القبر أول منزل من منازل الآخرة»[٥٥].

واعتبر «صدر الدين»، أن الصفات البهيمية تؤثر على جوهر النفس، ولذلك، وبسبب استمرار الحركة في الجوهر، وبالتالي يكون الحشر بحسب الصورة البهيمية، فالحياة التي يعيشها الإنسان على الأرض تحدد حالة النفس في القبر وما بعده. وبالتالي يكون الحشر الجسماني دوام هذه الحركة في تلك الدنيا الآخرة وانعكاسًا لأعمال الشخص وأخلاقه، فإذا كانت أعماله حيوانية، يكون حشره بصورة الحيوان الذي اتصف به في الحياة الدنيا، ويقول: «والإنسان يختص أيضًا من بين الممكنات بأن حقيقته ممتزجة من روحين، أحدهما روح حيوانية فانية، والأخرى روح ملكية باقية، فهو لهذا السبب له في كل زمان خلق ولبس جديدان، وموت وحياة متجددان، وهو يتسنى له الترقي من منزل إلى منزل ويتأتى له الرحيل من مقام إلى مقام، ويتحول من نشأة إلى نشأة»[٥٦].

---

[٥٢] الشيرازي: «الأصول...» النص المترجم الفقرة ٥.

[٥٣] الجمعة ٢.

[٥٤] الشيرازي: «الأصول...» النص المترجم الفقرة ٥.

[٥٥] شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج ١١ ص ١٥٩: «القبر أول منزل من منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعده أيسر ومن لم ينج فما بعده شر له» .

[٥٦] الشيراز لأصول...» المترجم الفقرة ٥.

ت- اتحاد العاقل والمعقول:

تعتبر مسألة اتحاد العاقل والمعقول من المسائل الفلسفية الهامة التي اختلفت فيها آراء الفلاسفة، والدافع إليها أمران: الأول في كيفية الوجود الذهني والآخر في علم الله تعالى بالأشياء والموجودات المعرضة للتغير والتبدل .

ظهر هذا المصطلح مع فرفوريوس الصوري؛ ولكن بصورته الكلية، ومن دون البرهنة عليه، وبعد ذلك تعرض ابن سينا لفورفوريوس ولكتابه بالنقد والتجريح[٥٧].

واستمر بعد ذلك هذا المصطلح، دون أي حراك يذكر، حتى أتى الشيرازي، فقام بتبنيه، واعتبر أن هناك ثلاثة أمور تحصل في كل تعقّل بالضرورة: العاقل (الذي يعقل) المعقول (الشيء الذي يتم عقله) والعقل (التعقل) . فلو حصل لكل واحد من هذه المفاهيم الثلاثة مصاديق مختلفة في الخارج فعندها لن يكون هناك اتحاد بين العاقل والمعقول والعقل. بناء عليه فإن امتلاك هذه المفاهيم الثلاثة مصداقًا واحدًا في الخارج، يعني حصول الاتحاد، وهذا المصداق هو في نفس الوقت عاقل ومعقول وتعقل، وأما الاختلافات بينهم فهو اعتباري صرف _ مع العلم أن هذا الموضوع طرح قبل صدر المتألهين في مسألة علم النفس بذاتها، حتى أن إبن سينا الذي عارض مسألة اتحاد العاقل والمعقول فقد طرحه في مسألة علم النفس بذاتها. المبحوث عنه عند صدرا هو اتحاد العاقل والمعقول في علم النفس بغير ذاتها، وهنا يتشكل أحد أهم الأصول المعرفية في الحكمة المتعالية. وهنا يبرهن صدر المتألهين على مسألة اتحاد العاقل والمعقول في سياق أصالة الوجود والحركة الجوهرية، ثم يعمل على تعميمها ليس فقط في مجال علم النفس بذاتها، بل على علمها بغيرها، ويثبتها ليس فقط في مرتبة العقل، بل في مرتبة التخيّل والإحساس أيضًا[٥٨].

وهذا الاتحاد الذي يبرهن صدر المتألهين على وجوده بين العالم والمعلوم في العلوم الحصولية ليس اتحاد ماهيتين؛ لأن من المحال عند الإدراك (مثلاً شجرة السرو)، أن تصبح ماهية العاقل (الإنسان)، هي عين ماهية المعقول بالعرض أو بالذات(شجرة السرو). وأيضًا ليس هذا الاتحاد من قبيل اتحاد

---

[٥٧] الشيرازي «شرح الإشارات» ج٣ ص٢٩٣.

[٥٨] الشيرازي: «شرح الإشارات» م.ن، نفس المعطيات.

الوجود والماهية؛ لأنّ هذا الشيء محال أيضًا (مثلا اتحاد وجود الإنسان وماهية الشجرة أو بالعكس). ومن غير الممكن أيضًا حصول اتحاد في الوجود بالفعل (مثل اتحاد وجود العاقل بالذات والمعقول بالعرض)؛ بل المقصود من الاتحاد هذا هو اتحاد وجود العاقل مع وجود المعقول بالذات. ومن جهة أخرى هناك صورتان لاتحاد أي وجودين، اتحاد العرض مع الجوهر او اتحاد المادة والصورة .

اتحاد العرض والجوهر يحصلان بشكل؛ أنْ يكون كل واحد منهما غير الآخر في ذاته، فالعرض لا يحصل في ذات الجوهر والجوهر أيضًا ليس عرضا، لكنهما يتحدان في الوجود الخارجي؛ بمعنى أن العرض هو من مراتب وجود الجوهر ولا وجود له مستقل عن الجوهر. الجوهر الذي يقبل العرض لا يحصل له التبدل والتغير (كالجسم الذي يزداد طوله أو حجمه)، لكن في اتحاد المادة والصورة فإن المادة تتبدل مع قبولها لكل صورة بحيث يحصل امتياز بين تلك الصورة والصورة الأخرى(كالنطفة التي تنتقل لتصبح جنينا).

المعارضون لاتحاد العاقل والمعقول قبلوا الفرض الأول (اتحاد العرض والجوهر) حيث يعتقدون بأن النفس جوهر يملك وجودًا مستقلاً بينما الصور الإدراكية هي أعراض تعرض على لوح النفس، وهذا اللوح يتبدل مع توارد رسوم مختلفة عليه. بناء على هذا الرأي فلا فرق بين جوهر نفس الأنبياء، وأنفس الأشخاص العاديين حيث لا اشتداد ولا تكامل في النفس. والموجود فقط هو صور مختلفة عن بعضها البعض، والاختلاف يرجع إلى بعض الأحوال والأعراض .

ويعتقد أنصار اتحاد العاقل والمعقول، بأن هذا الاتحاد يجري في الفرض الثاني (اتحاد المادة والصورة)[٥٩]، وذلك في مجال النفس والصور الإدراكية؛ بمعنى أن النفس هي مادة تتبدل مع تبدلها الصور الإدراكية، بحيث إن النفس تتحد مع الصور التي تحصلها. بناء على هذه العقيدة، في كل مرحلة من الإدراك يظهر تبدل جوهري في النفس، بحيث تقوم النفس مع ورود كل

---

[٥٩] يعتقد الحكماء المشائين إن تركيب المادة والصورة انضمامي ، لكن صدر المتألهين يعتقد بأن تركيبهما اتحادي ويوضح ذلك من خلال التحول والتبدل الذاتي والجوهري ، راجع : الأسفار ، ج٥ ، ص ٢٨٢و٢٨٣ .

صورة علمية بتبديل القوة والاستعداد إلى فعل، ومن خلال هذا التغير هناك شيء واحد يصبح شيئا آخر على أثر الصيرورة الجوهرية، هذا الأمر يحصل من دون أي تعرض لوحدة وتشخص ذاك الشيء .

بناء على ما تقدم، فإنّ جوهر النفس الأشخاص الكاملين، لا يختلف عن الأشخاص العاديين فحسب، بل في كل مرحلة من الإدراك يختلف فيها جوهر نفس المدرك عن المرحلة السابقة عليه على الرغم من انحفاظ وحدته و تشخصه .

ذكر صدر المتألهين أربعة أدلة على اتحاد العاقل والمعقول في الأسفار، ليس بوسعنا ذكرها في هذا المقال. أحد أهم الطرق التي اعتمدها البرهان المعروف والمشهور ببرهان التضايف الذي يجري في إثبات هذا الاتحاد في مطلق الإدراك. ويمكن تقرير هذا البرهان على هذا النحو: العاقلية والمعقولية هما أمران متضايفان والمعقول بالذات هو المعقول مع غض النظر عن كل غير. وهكذا معقول يجب أن يكون عاقلاً بذاته، لأنه لو لم يعقل ذاته، فيجب أن يكون له عاقل آخر والمعقول يصبح معقولاً عند أخذ الغير بعين الاعتبار، فهو ليس بالذات وقد فرضناه معقولا بالذات ومعقولا مع غض النظر عن الغير، اذا يجب أن يكون عاقلاً لذاته.

ث- جسمانية النفس :

تعتبر مسألة: النفس جسمانية الحدوث وروحانية البقاء من أهم المعارف وأكثرها أساسية فيما يتعلق بمسائل المعاد. حيث لا يمكن في حال عدم معرفتها حل الكثير من المباحث المعقدة المتعلقة بيوم القيامة، أمثال قضية تنوع البشر في القيامة إلى أنواع متعددة، وتجسم الأعمال، واتحاد النفس مع العلم والعمل وتصور ذلك على شكل ملكات نفسانية، وواضح للجميع ما يميز هذا الأصل عن أصل قدم الروح ووجودها قبل البدن، وأيضاً حدوث الروح المجردة مع حدوث البدن على الرغم من وضوح الصعوبة في الجمع بين حدوث الروح والدليل النقلي الدال على تقدمها على البدن .

كان صدر المتألهين قبل تحوله الجوهري من المؤيدين في هذه المسألة لآراء أرسطو وابن سينا و ... ثم افترق عنهم بعد إبداعه تصوراً جديداً عنها حيث يقول : «ونحن قد أجبنا عن هذا السؤال في سالف الزمان بأن البدن

الإنساني استدعى باستعداده الخاص من واهب الصور على القوابل صورة مدبرة ... هذا ما سنح لنا في سالف الزمان على طريقة أهل النظر مع فضل تنقيح، وأما الذي نراه الآن أن نذكر في دفع السؤال وحل الإعضال فهو أن للنفس الإنسانية مقامات ونشآت ذاتية ... فالحدوث والتجدد إنما يطرآن لبعض نشآتها»[٦٠].

---

[٦٠] المصدر نفسه، ج٨، ص٣٩١ - ٣٩٣ .

رابعا: كتبه

١- الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة العقلية

يعتبر هذا الكتاب من أهم كتب «الشيرازي»، حيث عرض فيه فلسفته، وقد قسمه إلى أربعة أسفار[٦١]:

أ - السفر من الخلق إلى الحق.

ب - السفر بالحق في الحق.

ت - يقابل الأول لأنه من الحق إلى الخلق بالحق.

ث - يقابل الثاني من وجه لأنه بالحق في الخلق[٦٢]

يقع هذا الكتاب في طبعته الحديثة الصادرة عن دار التراث العربي عام ١٩٨٢ميلادية بتسعة مجلدات، وهذه النسخة مصورة عن نسخة إيرانية قام بتحقيقها ونشرها العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، هذا وكانت الطبعة الأولى قد صدرت عام ١٢٨٢هـ.ق، وقد وُضِعَ على هامش هذه النسخة تعليقات الملا هادي السبزواري، وآقا محمد بيد آبادي وآخوند نوري وملا إسماعيل الأصفهاني وآقا محمد رضا قمشه ئي، وملا عبد الله زنوزي. ولهذا الكتاب نسخة آخرى قام بتحقيقها ووضع هوامش لها آية الله حسن زادة الآملي، صدرت عام ١٤١٤هـ.ق عن مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي في طهران. لهذا الكتاب نسخة خطية في مكتبة مرعشي في قم تحت رقم (٥٦٤٨).

٢- الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية[٦٣]

يلي الأسفار من حيث الأهمية، وقد أورد فيها المعلومات نفسها التي وردت في الأسفار دون أن يناقش نظريات الآخرين من الفلاسفة. ويقول عن سبب تأليفه: «هي لعمري أنوار ملكوتية تتلألأ في سماء القُدُس والولاية، وأيدي

---

[٦١] الطهراني، آغا برزك: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، بيروت، دار الأضواء، دون طبعة، دون تاريخ، ج٢ ص.٦٠

[٦٢] الشيرازي، محمد: «الأسفار الأربعة»، ج ١ص١٣.

[٦٣] الطهراني، آغا برزك: «الذريعة»، م.س، ج ٢ص٥٨.

تقرع باب النبوة. وقد أودعنا بعضاً من هذه المسائل في مواضع متفرقة من الكتب والرسائل وكثيراً منها مما لم يمكنني أن أنصّ عليها خوفاً من الاشتهار، وحيفاً عليها من الانتشار في الإطار لقصور الطبائع غير المهذبة عن دركها من الكتابة أو المقال قبل تهذيبها بنور الأحوال وذلك لما يوجب الضلال والإضلال. لما ورد على آمر قلبي ووقعت إلى إشارة مشير غيب باظهار طائفة منها لحكمة خفية وبث جملة منها مع أشعار ببراهينها الجلية من غير تطويل في دفع النقوض والأسئلة فامتثلت سمعاً وطاعة والمأمور معذور»[٦٤].

يشتمل الكتاب على خمسة مشاهد، لكل مشهد عدة شواهد، وكل شاهد يحتوي على إشراقات ملكوتية نزلت عليه من مقام أم الكتاب، ولهذا الكتاب طبعة حديثة ظهرت في جامعة مشهد، تحتوي على مقدمة لجلال الدين الأشتياني، وطبع هذا الكتاب في لبنان من قِبَل مؤسسة التاريخ العربي مع تعليقات السيد هادي السبزواري. ويوجد نسخة خطية منه في مكتبة المرعشي تحت الرقم (١٩٤٨).

٣- المبدأ والمعاد[٦٥]

وهو الكتاب الثاني من حيث الحجم، ويشتمل الكتاب على الإلهيات والطبيعيات، بالإضافة إلى درس في كيفية تكوين وظهور النفس الناطقة ومقاماتها ونهاياتها، وكذلك يحتوي على مباحث النبوات والمنامات، ويلاحظ القارىء النزعة الإشراقية واضحة في هذا الكتاب، ويقول سيد حسين نصر في مقدمته للكتاب: «كان ملا صدرا متعمداً في إطلاقه هذا العنوان على أثر ضخم كهذا ليثبت توجهه إلى السابقة التاريخية لمبحث المبدأ والمعاد. واستفاد من العنوان الذي كرره مراراً حتى يجعل القارىء يدرك مدى علاقة أفكاره ببنية الفكر الإسلامي الغنية، وذلك، دون التقيد بما ورد لدى غيره من الفلاسفة المشائين.

إذن ليس «المبدأ والمعاد» لملا صدرا مبحثا من الفلسفة المشائية، بل مواضيع من الحكمة المتعالية مع التركيز على المسائل التي ترتبط بالحشر والمعاد»[٦٦]، ويعلّق د.نصر على موضوع الكتاب: «مع أن الفلاسفة المشائين مثل الفارابي وإبن سينا

---

[٦٤] الشيرازي، محمد: «الشواهد الربوبية» مركز انتشارات دانشكاهي، طهران عام ١٣٦٠هـ.ق، ص٤-٥.

[٦٥] الطهراني، آغا برزك: «الذريعة»، م.س، ج١٨، ص٤٣٦.

[٦٦] الشيرازي، محمد: «المبدأ والمعاد» تحقيق سيد حسين نصر، دون ناشر، طهران، ١٩٧٦م، ص١٠٠-١٠١.

لهما الفضل الكبير في تطوير فلسفة أرسطو وتغيير بعض أسسها، فإنهم لم يستدلوا على حقائق المعاد كما ورد في القرآن والحديث»[٦٧]، توجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في المكتبة الرضوية في مشهد تحت رقم (١١٠٣٤)، نشر هذا الكتاب في بيروت من قِبل مؤسسة التاريخ العربي، وهو مصور عن النسخة الإيرانية.

٤- رسالة المشاعر[٦٨]

تدور هذه الرسالة حول مسألة أصالة الوجود واعتبارية الماهية، وتحتوي الرسالة ثمانية مشاعر في شرح الوجود والماهية وكيفية تحققهما.

ولهذا الكتاب ثلاث طبعات، الأولى حجرية تعود إلى العام ١٨٦١م، والثانية مع شرح محمد بن جعفر اللاهيجاني طبع في سنة ١٩٦٢م في طهران، وطبعة ثالثة حققها وقدم لها وترجمها إلى الفرنسية المستشرق الفرنسي هنري كوربان[٦٩]؛ ونشر هذا الكتاب أخيراً في بيروت من قِبل مؤسسة التاريخ العربي عام ١٩٩٩م.

٥- الحكمة العرشية[٧٠]

يستعرض الشيرازي في هذا الكتاب نظرة جديدة لانقطاع العذاب عن أهل النار، آخذاً هذه النظرية عن ابن عربي، ويتألف الكتاب من مشرقين، المشرق الأول في بيان معرفة الله وصفاته وأسمائه وآياته، والمشرق الثاني في المعاد ورجوع الخلائق إلى الله.

طُبع هذا الكتاب ثلاث مرات، الأولى حجرية عام ١٨٩٦م، والثانية حديثة احتوت تعليقات ملا إسماعيل الأصفهاني، والطبعة الثالثة لبنانية، نشرتها مؤسسة التاريخ العربي اعتماداً على الطبعة الإيرانية في بيروت عام ١٩٩٩م. وتوجد من هذا الكتاب عدة نسخ خطية في المكتبة الرضوية إحداها تحت رقم(٨٢١٣).

٦- المظاهر الإلهية في أسرار العلوم الكمالية[٧١]

ناقش الشيرازي فيه المعارف الإلهية، وجعله في ستة مقاصد ثلاثة منها

---

[٦٧] الشيرازي، محمد: «المبدأ والمعاد» تحقيق سيد حسين نصر، دون ناشر، طهران، ١٩٧٦م، ص١٠١ ١٠٠.

[٦٨] الطهراني: أغا برزك: «الذريعة»، م.س، ج٢٠ص٣٧.

[٦٩] Henri, Courbon: (Le livre de pénétration métaphysique) Tehran, Gi. 1964.

[٧٠] الطهراني: «الذريعة»، م.س، ج١٥، ص٢٤٤

[٧١] الطهراني: «الذريعة»، ج ٢١ص١٦٢.

بمثابة الأصل وثلاثة أخرى بمنزلة الفروع واللواحق، ولهذا الكتاب طبعات متعددة منها واحدة حجرية تعود إلى العام ١٨٩٧م، والثانية قدَّم لها وحققها جلال الدين الأشتياني في طهران، طُبِعَت للمرة الأولى في طهران عام ١٩٦١م، هذا وقد قام السيد محمد خامنئي بإعادة تحقيق الكتاب ونُشِرَ عن طريق وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي في طهران عام ١٣٧٨هـ.ق.

٧- مفاتيح الغيب[٧٢]

ألّف الشيرازي هذا الكتاب عندما اكتملت فلسفته، وهو كبير الحجم، مرتّب على عشرين مفتاحاً كل مفتاح له فواتح، ويمتاز هذا الكتاب بكونه: «من طراز الكتب الجوامع، إذ مزج فيه الفلسفة بالعرفان ومزجهما بالكتاب والحديث مزجاً أنيقاً، ودمج فيه العناصر المتقابلة في ظاهر الإفهام وفي الطريقة الماضية لمكاتب الفلسفة والعرفان والكلام والتفسير والشرح»[٧٣]. لهذا الكتاب طبعة حجرية قديمة، هذا وقد قامت مؤسسة التاريخ العربي بإعادة طبعه عام ١٩٩٩م مع تعليقات للمولى علي النوري مع مقدمة صاغها محمد خواجوي.

٨- كسر أصنام الجاهلية

كتاب صغير الحجم، انتقد فيه الشيرازي المتصوفة وآراءهم، وذلك بغية تفريقهم عن العرفانيين، وقد طُبع هذا الكتاب في جامعة طهران عام ١٩٦١م، وأعاد معهد المعارف الحكمية تحقيقه مع تعليقات وتوضيحات للشيخ حسين الطقش ٢٠٠٤م، يوجد نسخة خطية لهذه الرسالة في مكتبة المرعشي تحت الرقم (٨٨٠).

٩- رسالة في حدوث العالم[٧٤]

تشتمل هذه الرسالة على مبحث الحركة وقسم من الجوهر والأعراض والتي فصلها فيما بعد في «الأسفار»، وفيها أيضاً أثبت حدوث العالم المادي، وجسمانية النفس، وهذه الرسالة كان كتبها قبل فترة العزلة، وقد أورد

---

[٧٢] الطهراني، آغا برزك: «الذريعة»، م.س، ج ٤ ص٢٧٩.

[٧٣] الشيرازي، محمد: «مفاتيح الغيب»، اعتنت به فاتن اللبون، مؤسسة التاريخ العربي، ط ١عام ١٩٩٩ج ١ص٨.

[٧٤] الطهراني، آغا برزك: «الذريعة»، م.س، ج ١٧ص٢٩٣.

بعض الأمثلة منها في الأسفار. صدرت هذه الرسالة في طهران عن وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي عام ١٣٧٨هـ.ش بتصحيح وتحقيق الدكتور سيد حسين موسويان. وتوجد نسختان خطيتان من هذه الرسالة في مكتبة المرعشي في قم تحت الرقمين(٤٩٧) و (٩٧٤) على التوالي.

١٠- رسالة طرح الكونين[٧٥]

يطرح فيها الشيرازي مسألة الحشر، ويتحدث عن كيفية حشر جميع الكائنات، ويفترض فيه أيضاً حشر الماديات، طبعت هذه الرسالة على هامش المبدأ والمعاد عام ١٨٩٧م وكشف الفوائد عام ١٨٩٨م ومع مجموعة من رسائله عام ١٨٨٥هـ.ش.

١١- رسالة في اتصاف الماهية بالوجود[٧٦]

يردّ فيها على القائلين بثانوية الوجود والماهية، ويبرز فيها رأيه في أصالة الوجود، ويبحث عمّا أشكل في اتصاف الماهية بالوجود، طبعت هذه الرسالة مع مجموعة رسائله في طهران عام ١٨٨٥م.

١٢- رسالة خلق الأعمال[٧٧]

وهي من الرسائل التي كتبها قبل العزلة، وفيها يتبنى موقفاً مماثلاً للسهروردي والدُّواني، والقائل بأصالة الماهية، وقد ورد ذكرها في «الأسفار» دون تسميتها، وذلك حين قال: «وإني قد كنت شديد الذب عنهم في اعتبارية الوجود وتأصل الماهيات حتى أن هداني ربي وانكشف لي انكشافاً بيّناً أن الأمر بعكس ذلك»[٧٨]. طُبعت هذه الرسالة مع مجموعة من الرسائل عام ١٨٨٥م، وأعيد نشرها ضمن مجموعة من الرسائل حققها وقدم لها حامد ناجي أصفهاني في طهران عام ١٣٧٥هـ.ش عن دار انتشار حكمت.

١٣- رسالة في القضاء والقدر[٧٩]

تبحث هذه الرسالة في كيفية وجود العوالم الغيبية، ودخول الشر في

---

(٧٥) الطهراني، آغا برزك: «الذريعة»، م.س، ج ٦ص٢٩٥.

(٧٦) م.ن، ج ٧ص٢٢.

(٧٧) الطهراني، آغا برزك: «الذريعة»، م.س، ج ١ص٨٢.

(٧٨) الشيرازي: «الأسفار...»، م.س، ج ١ص١٤.

(٧٩) الطهراني: «الذريعة»، م.س، ج١٧ص٤٩.

القضاء الإلهي، طُبعت هذه الرسالة ضمن رسائله المطبوعة عام ١٨٨٥م. ويوجد نسخة من هذه الرسالة في مكتبة المرعشي تحت الرقم (٨٨٠).

١٤- رسالة في التشخص[٨٠]

وفيها يعالج الشيرازي موضوع التشخص وتعيين ما به يمتاز شخص من أفراد نوع عن غيره، وهذه الرسالة قصيرة، طبعت ضمن الرسائل الفلسفية عام ١٨٨٥م.

١٥- رسالة في التصور والتصديق[٨١]

ناقشت هذه الرسالة آراء قطب الدين الشيرازي التي تحمل العنوان نفسه، طُبعت هذه الرسالة في نهاية «الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد» للعلامة الحلي عام ١٨٩٧م، وقامت زينب شوربا بتحقيق هذه الرسالة ضمن بحث لنيل درجة الماجستير في الفلسفة من الجامعة اللبنانية كلية الآداب الفرع الأول.

١٦- رسالة الواردات القلبية في معرفة الربوبية[٨٢]

وفيها شنّ الشيرازي حملة عنيفة على بعض رجال الدين الخاضعين للسلطان، والذين يعملون من أجل تبرير أحكامه، طبعت هذه الرسالة ضمن مجموعة رسائله الفلسفية عام ١٨٨٥م. كما قام بتحقيقها عام ١٣٩٩ه.ق أحمد شفيعيها، وصدرت عن مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، وتوجد نسخة خطية لها في مكتبة المرعشي في قم تحت رقم (٤٩٧).

١٧- رسالة في اتحاد العاقل والمعقول[٨٣]

ويعالج الشيرازي في هذه الرسالة مفهوم اتحاد العلم والعالم والمعلوم، وقد قام حامد ناجي الأصفهاني بنشرها في مجموعة الرسائل التي قام بتحقيقها، كما حُققَت هذه الرسالة في دار المدى من قبل قاسم عباس .

---

[٨٠] الطهراني: «الذريعة»، م.س، ج١٧ص٤٩.

[٨١] م.ن، ج ١٣ص١٣٢.

[٨٢] م.ن، ج ٢٥ص١٠.

[٨٣] الطهراني: «الذريعة»، م.س، ج١ص٨١.

١٨- المزاج[٨٤]

لم يورد الطهراني هذا الكتاب، ولكن «نيستاني» يؤكد نسبتها له، ويورد أن لهذه الرسالة نسخة بقلم الشيرازي موجودة في مكتبة طوس تحت رقم ١٣٤:٤ومضمون هذه الرسالة متشابه مع ما ورد في «الأسفار» عن الجوهر والأعراض، هذا مع العلم أن الدكتور جعفر آل ياسين يشك في نسبتها له، حقق آصفهاني هذه الرسالة ضمن الرسائل الفلسفية الصادرة عن دار انتشار حكمت.

١٩- رسالة في المعاد الجسماني[٨٥]

لم يرد اسم هذه الرسالة في الذريعة، إلاّ أن نيستاني يورد أن لهذه الرسالة نسخة خطية في مكتبة آستان القدس تحت رقم ٣٠١:٤ وهذه الرسالة لم تحقق حتى الآن.

٢٠- رسالة التنقية[٨٦]

تختص هذه الرسالة بالمنطق، وتوجد نسخة منها في المكتبة المركزية في جامعة طهران تحت الرقم ف ٢٩١، وقد صدرت طبعة قديمة منها في طهران، قام بتحقيقها والتقديم لها عبد المحسن مشكاة تحت عنوان «اللمعات المشرقية في الفنون المنطقية». هذا وقد قام أصفهاني بتحقيقها ضمن مجموعة الرسائل.

٢١- لمية اختصاص المنطقة بوضع معين من الفلك

لهذه الرسالة نسخة بخط اليد موجودة في مكتبة آستان قدس. ويوجد نسخة خطية منها في المكتبة الرضوية في مشهد تحت رقم ٨٧٦، قام أصفهاني بتحقيقها ضمن الرسائل الفلسفية التي أخرجها.

٢٢- ديباجة عرش التقديس[٨٧]

لم تذكر في الذريعة، لكن لهذه الرسالة نسخة مخطوطة في مكتبة طهران تحت رقم ف ٢٩٩، وقد قام أصفهاني بتحقيق هذه الرسالة ضمن

---

[٨٤] م.ن، ج ٤ص١٤٣.

[٨٥] الطهراني: «الذريعة»، م.س، ج ١٨ص٣٤٦.

[٨٦] الطهراني: «الذريعة»،م.س، ج١٨،ص٣٤٦.

[٨٧] الطهراني: «الذريعة»، م.س، ج ٥ص٢٨ .

مجموعة الرسائل التي نشرها، وهذه الرسالة نوع من الثناء من قِبَل الشيرازي لمعلمه المير داماد، الذي كان قد كتب عرش التقديس.

٢٣- أجوبة مسائل شمس الدين محمد الجيلاني[٨٨]

وهي الرسائل التي كتبها الشيرازي رداً على رسالة وردت إليه من شمس الدين الجيلاني الملقب بملا شمسا تلميذ المير داماد، وقد طبعت هذه الرسالة طبعة حجرية على هامش المبدأ والمعاد عام ١٨٩٧م.

٢٤- أجوبة المسائل النصيرية

هي أجوبة المسائل الثلاث التي سأل عنها نصير الدين الطوسي شمس الدين بن عبد الحميد الخسروشاهي، ولم يجب عنها. طُبعت هذه الرسالة على هامش المبدأ والمعاد عام ١٣١٢هـ.ق، (من ص ٣٨٣- ٤٩١وعلى هامش الهداية الأثيرية طُبعت ١٣١٦ه. هذا وقد قام أصفهاني بإعادة نشرها ضمن الرسائل التي قام بتحقيقها.

٢٥- إيقاظ النائمين

لم تكن هذه الرسالة معروفة للشيرازي إلى أن قام محسن مؤيدي بتحقيقها اعتماداً على نسختين خطيتين، وعلى الرغم من عدم إيراد هذه الرسالة في كتب التراجم إلاَّ أن محتواها يشير بشكل واضح إلى كونها من أعمال الشيرازي، حيث يرد الكثير من الشواهد المأخوذة من «الأسفار الأربعة»، كما أن بعض القضايا التي كان قد أشار إليها بشكل سريع في «الأسفار» عاد وتوسع فيها في هذا الكتاب خاصة موضوع الأقيسة.

٢٦- إكسير العارفين في معرفة طريق الحق واليقين[٨٩]

تشتمل هذه الرسالة على مواضيع عدة منها الكمية وقسمة العلوم، وقدرة الإنسان على المعرفة، والغاية من وجوده، طبعت ضمن مجموعة رسائله الصادرة عام ١٨٨٥م، وقامت دار المحجة البيضاء بإعادة طبع هذا الكتاب دون تحقيق عام ٢٠٠٥.

---

[٨٨] الطهراني: «الذريعة»، م.س، ج ٥ص٢٨.

[٨٩] م.ن، ج ٢ص٢٧٩.

٢٧- الجبر والتفويض[٩٠]

يوجد نسخة من هذه الرسالة في مكتبة المرعشي، تحت رقم (٤٧٦٣) أولها: «سبحان من تنزَّه عن الفحشاء، ولا يجري في ملكه إلاّ ما يشاء».

٢٨- الحشر[٩١]

رسالة صغيرة، تبحث عن كيفية حشر الموجودات إلى الله تعالى. طُبعت مرَّات عدة منها طبعة حجرية تعود إلى العام ١٨٨٥م، ثم طبعة أخرى عام ١٤٠٤هـ.ق من قِبَل انتشارات مولى في طهران بعناية محمد خواجوي، لهذا الكتاب نسخة خطية في مكتبة المرعشي في قم.

٢٩- سريان نور وجود الحق في الموجودات[٩٢]

يتحدث فيها على طريقة العرفاء عن كون الوجود الإمكاني يتجلّى من تجليات الله تعالى، طُبعت هذه الرسالة مع الرسائل المطبوعة عام ١٨٨٥م.

٣٠- المسائل القدسية[٩٣]

رسالة تحتوي على خلاصة المطالب الحكمية، لكنها لم تتم. وطُبعت ضمن مجموعة الرسائل الفلسفية التي حققها جلال الدين الأشتياني الصادرة عن مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي في قم عام ١٣٦٢هـ.ش.

٣١- شرح الهداية الأثيرية[٩٤]

وهي شرح لهداية أثير الدين أبهري ت٦٦٠هـ.ق(وتظهر فيها نزعة مشائية لدى الشيرازي، طُبِعَ هذا الكتاب عام ١٨٩٦م، كما طبع في بيروت من قبل مؤسسة التاريخ العربي، وتوجد نسخة خطية لهذه الرسالة في جامعة طهران تحت رقم ٢٥٤ وأخرى في مكتبة المرعشي في قم تحت رقم (١١٥٣).

---

[٩٠] الطهراني: «الذريعة»، م.س، ج ٥ص٢٨.

[٩١] م.ن، ج ٧ص٢٢.

[٩٢] م.ن، ج ١٢ص١٧٨.

[٩٣] م.ن، ج ٢ص١٧٠.

[٩٤] م.ن، ج ٦ص١٣٨.

٣٢- رسالة إلى مير داماد

طُبِعَت هذه الرسالة في كتاب شرح حال وآراء ملا صدرا لجلال الدين الأشتياني. ويوجد نسخة خطية منها في المكتبة الرضوية في مشهد، ضمن مجموعة تحت رقم (٥٩٠).

٣٣- الرسالة الثانية

طُبِعَت في مجلة فرهنك إيران زمين المجلد ١٣عام ١٩٦٦م، وفيها يثني على أستاذه، ويذكر عدم توفيقه للوصول إليه طيلة ٧ أو ٨ سنوات، ويبلغه ما حَصَل خلال تلك المرحلة من المعارف.

٣٤- الرسالة الثالثة

نُشِرَت في العدد نفسه من المجلة، وفيها يثني الشيرازي على معلمه، ويذكر أنه قد أرسل له جملة من الأسئلة، دون أن يذكرها في الرسالة، هذا ويجب التنويه أن الرسالتين الثانية والثالثة قد حققتا من قِبَل محمد دانش بثروة.

٣٥- الرسالة الرابعة

يشكو فيها انقطاعه عنه ما يقارب من١٢سنة، طُبِعَت هذه الرسالة في مجلة راهنماي كتاب العددين ٨و٩ ص٧٥٨.

٣٦- التفسير الكبير[٩٥]

يشتمل التفسير الكبير على تفسير جملة من السور، وهو لم يكتمل بسبب وفاته: «وقد اشتمل الفاتحة كاملة في٤١صفحة، تفسير سورة البقرة حتى الآية٦٢ وتوزعت في ٢٣٨صفحة، تفسير آية النور في ٦٧صفحة طُبِعَ مستقلاً سنة ١٣٢٨هـ.ق، تفسير سورة السجدة في ٢٣صفحة، وتفسير سورة يس وتفسير سورة الواقعة في ٢٥صفحة، وتفسير سورة الحديد في ٤٢صفحة، وتفسير سورة الجمعة في٢٩صفحة، وتفسير سورة الطارق، وتفسير سورة الزلزلة في ٧صفحات...»[٩٦]، لهذا الكتاب طبعتان إحداهما صادرة عن

---

[٩٥] الطهراني: «الذريعة»، م.س، ج ٥ص٢٨.

[٩٦] نعمة، عبد الله: «فلاسفة الشيعة»، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، بيروت، عام ١٩٨٧ص٤١١.

انتشارات بيدار في قم مضاف إليها تعليقات محمد خواجوي، وأخرى صادرة في بيروت عن دار التعارف محققة من قبل سماحة الشيخ محمد جعفر شمس الدين.

٣٧- متشابه القرآن[97]

يقول الشيرازي عن هذا الكتاب: «هذه لمعة من لوامع علوم المكاشفة في فهم متشابهات القرآن، الذي وقع الاختلاف فيه بين الناس في ما سلف من الزمان». يتألف الكتاب من خمسة فصول بالإضافة إلى تنبيهات ومفاتيح متعددة، طُبع هذا الكتاب ضمن الرسائل الفلسفية التي قام بتحقيقها السيد جلال الدين الأشتياني.

٣٨- شرح أصول الكافي[98]

لم يتم هذا الشرح، إنما وصل إلى الحديث رقم ٥١٣ من باب ١١ في كتاب الحجة، طُبع هذا الكتاب في طهران بعناية محمد خواجوي سنة ١٣٧٠هـ.ش، من قِبَل مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي. ويوجد منه نسخة خطية في مكتبة المرعشي في قم تحت رقم (٤٣٢٢).

يُذكر أن الشروحات التي قدمها الشيرازي على الكتب الدينية الإسلامية جاءت كتطبيق عملي لفلسفته وعرفانه، حتى أن البعض يرى أن ما كتبه في الأسفار من فلسفة ترجمه عملياً في كتب التفسير، وكأنه أراد من ذلك التأكيد على مرجعيته الفكرية.

٣٩- تعليقات على شرح حكمة الإشراق[99]

وهي شروح على التعليقات التي كان قد وضعها قطب الدين الشيرازي، وفيها تجري محاكمات بين أتباع حكمة الإشراق والمشائين، وقدَّم حلولاً لمشكلات حكمة الإشراق، وقد طُبع هذا الكتاب طبعة حجرية سنة ١٣١٦هـ.ق، كما يوجد طبعة مصورة صادرة عن انتشارات بيدار، ولهذه

---

(٩٧) الطهراني: «الذريعة»، م.س، ج ١٩ص٦٣.

(٩٨) م.ن، ج ١٣ص٩٩.

(٩٩) الطهراني: «الذريعة»، م.س، ج ٦ص١٢١.

الشروحات نسخة خطية في مكتبة مجلس الشورى في طهران تحت رقم (١٧٦٨).

٤٠- حاشية إلهيات الشفاء[١٠٠]

لم ينهِ الشيرازي هذه الحاشية، فهو قد وصل إلى نهاية المقالة السادسة في العلّة والمعلول، طُبعت هذه الحاشية طبعة حجرية عام ١٨٨٥م، ثم قامت انتشارات بيدار بنشرها، يوجد نسخة خطية منها في مكتبة المرعشي في قم تحت رقم (٩١٤).

٤١- أسرار الآيات[١٠١]

يشتمل الكتاب على مقدمة وعشرة مشاهد، ويحتوي على نظرات فلسفية عرفانية علق عليها الملا علي نوري، طبع هذا الكتاب في طهران عام ١٩٠٣م، وللكتاب طبعة لبنانية حديثة تعود إلى عام ١٩٩٣، ولكن دون أي تعليق.

٤٢- رسالة الأصول الثلاثة[١٠٢]

وهي مكتوبة باللغة الفارسية، وهاجم من خلالها خصومه الذين كانوا يحرضون الناس ضده، وهذه الرسالة هي موضوع هذا الكتاب.

قام بتحقيق الكتاب للمرة الأولى سيد حسين نصر، وصدر عن جامعة طهران.

كتب مشكوك بنسبتها له:

١- إثبات واجب الوجود

ينسبها الأشتياني ودانش بثروة إلى صدر الدين دشتكي، يوجد نسخة خطية منها في مكتبة المرعشي في قم تحت رقم (٥٦٣٢).

---

(١٠٠) الطهراني الذريعة، م.س. ٧٢، ص ٤٦٥.

(١٠١) الطهراني: «الذريعة» طج٢ص٣٩.

(١٠٢) م.ن،ج١ص٨١.

٢- الحواشي على شرح التجريد

نسبها الأشتياني ودانش ونصر إلى الدشتكي، يوجد منها نسخة خطية في مكتبة المرعشي تحت رقم (٦١٧).

٣- شبهة الجذر الأصم

تُنسب أيضاً للدشتكي، يوجد منها نسخة خطية أشار الأشتياني أنها عنده.

٤- الحاشية على الرواشح

شكَّك كل من الأشتياني ودانش ونصر بنسبتها إلى الشيرازي دون أن يشيروا إلى صاحبها.

٥- حاشية أنوار التنزيل.

٦- رسالة في الإمامة.

نسبها كل من حسين نصر وهنري كوربان إليه، أما الأشتياني فلم يعتبرها من مؤلفاته.

٧- الحواشي على شرح اللمعة.

نسبها كل من الأشتياني ودانش لابنه إبراهيم.

خامسا: الدراسات التي تناولته في اللغة العربية

لم تحظ فلسفة الشيرازي في بداية الأمر بالاهتمام المتوقع لفيلسوف كان له وقع كبير في الفكر الفلسفي، فحتى المراجع والمصادر التي اهتمت بالفكر الفلسفي الإسلامي، همَّشت الشيرازي، لذلك كانت معظم المصادر إما ترجمة من اللغة الفارسية، أو الانكليزية أو الفرنسية، وإما محاولات ايديولوجية أو اعتقادية تقدمه من وجهة نظر مجتزأة. وهذا لا يعني أن الدراسات التي تحدثت عنه لا قيمة اكاديمية لها، فهي جاءت لتسد ثغرة في جدار التهميش لهذا الفيلسوف، وسنحاول في هذا الفصل استعراض الأبحاث والدراسات التي تحدثت عنه مظهرين قيمتها ومحتوياتها، كما لا بد من الإشارة إلى مجهود الدكتور علي زيعور الذي أدخله في منهاج الديبلوم في الجامعة اللبنانية وجامعة القديس يوسف.

ا- الدراسات الأكاديمية

كُتب في الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية ستة أبحاث لنيل درجة الماجستير وهذه الأبحاث هي:

أ- ترجمة الأصول الثلاثة للفيلسوف الشيرازي، وقد قام بهذا العمل علي أصغر نيستاني، وفيها يتحدث الشيرازي عن العلماء المزيفين، والمتكلمين الخارجين عن منطق الصواب والحساب الزائغين عن دائرة السداد والرشاد».

ب- «الحركة الجوهرية ومفهوم التصور والتصديق»، رسالة زينب شوربا، وفيها قامت بعرض الظروف التاريخية والاجتماعية للشيرازي، ثم عرضت لمفهوم الحركة الجوهرية، وأوردت في نهاية البحث نص «رسالة التصور والتصديق».

ج-«الفاعلية الفلسفية وفلسفة التجديد عند صدر الدين الشيرازي»، وتتحدث الرسالة التي أعدها رفيق علوية عن التجديد الفلسفي في فكر الشيرازي مقارناً إياها مع الأرسطية والفكر الحديث، معتمداً التحليل المادي التاريخي.

د-«الحركة والزمان عند الشيرازي» وهي رسالة قُدِّمت للمناقشة عن الشيرازي من قِبَل خنجر حمية وفيها يستعرض فكرة الحركة والزمان عند الشيرازي.

هـ-«نظرية المعرفة عند الشيرازي»، وهي رسالة ماجستير لمحمد شقير وفيها يستعرض رأي الشيرازي في موضوع العلم والمعرفة.

و-« الاصطلاحات الفلسفية وأبعادها الإسلامية عند الشيرازي»، وهي قدمت من قبل أحمد ماجد، وفيها يستعرض للمصطلحات الفلسفية، ويحاول أن يستكشف الأبعاد المتعددة لهذه المصطلحات.

وكما تحدثت جريدة الخليج الإماراتية عن أطروحة للماجستير، قُدِّمت هناك بعنوان الاتجاه الإشراقي عند الشيرازي، وقد توصَّلت الباحثة في نهاية البحث إلى «أن صدر الدين قد أضاف صفحة جديدة في تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام حيث ابتكر قواعد جديدة، واستطاع أن يأتي بحلول لمشكلات متعددة وتركها تيار الفكر الفلسفي لدى الإسلاميين دون الوصول إلى نتيجة حاسمة بصددها، وهو وإن كان متأثراً بالفكر اليوناني إلاَّ أنه كان مجدداً، ومتأثراً تأثراً شديداً بالدين الإسلامي، حيث كان ينتصر للدين حين يتعرض لدراسة أي مشكلة، وإن الدارس لفلسفته يتبيَّن له أنه مفكر موسوعي، فقد حوت فلسفته شتى المذاهب والاتجاهات»[١٠٣].

وقدمت في جامعة دمشق رسالة دكتوراة تقدم بها نزيه حسن تحت عنوان، فلسفة صدر الدن الشيرازي».

٢- الكتب عنه

بدأت فلسفة الشيرازي في اللغة العربية، تثير المزيد من الاهتمام، فحتى العام ١٩٩٨، لم يكن يوجد في اللغة العربية؛ إلا عدد ضئيل من الكتب التي تتحدث عن فلسفته، وهي:

١- «الفيلسوف الشيرازي ومكانته في تجديد الفكر الفلسفي» للدكتور جعفر آل ياسين وهو أول كتاب ألقى الضوء على فلسفة وفكر الشيرازي، وقد قدَّم في هذا الكتاب نظرة إجمالية لفكر الشيرازي مع إبراز التجديد فيها ومقارنتها مع الفلاسفة السابقين له[١٠٤].

٢- «نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي» لهادي العلوي حيث يقوم بإبراز دور الحركة الجوهرية، ويحاول أن يجعلها مماثلة لنظرية «التطور والارتقاء» عند دارون، عازلاً مفهوم الحركة الجوهرية عند الشيرازي عن بعدها الميتافيزيقي، معتبراً أنه قد فشل على صعيد الميتافيزيقا[١٠٥].

---

[١٠٣] جريدة الخليج،٢٤- ٨ - ٩٢ .

[١٠٤] آل ياسين: جعفر: الفيلسوف الشيرازي ومكانته في تجديد الفكر الفلسفي، بيروت، دار عويدات، ط ١٩٧٨.

[١٠٥] العلوي، هادي: نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي، بيروت، دار الطليعة، ط أولى، عام١٩٨٣ .

٢- بالإضافة إلى كتاب «الفيلسوف الإيراني الكبير صدر الدين الشيرازي (ملا صدرا) حياته وأصول فلسفته، أبو عبد الزنجاني، عضو مجمع اللغة العربية في دمشق، الذي أعيد طبعه في الجمهورية الإسلامية، وكانت آخر طبعة له عام ١٤١٩هـ.ق، وصدر عن مؤتمر إحياء ذكرى الفيلسوف صدر الدين الشيرازي».

ولكن في السنوات الأخيرة شهد العالم العربي مزيدًا من الاهتمام بهذا الفيلسوف، وقدم عدد من الكتب في هذا الموضوع ، وهي :

١- «الحكمة المتعالية عند صدر المتألهين» للدكتور علي الحاج حسن، ط١، عام ٢٠٠٥، عن دار الهادي، وفيه يعالج أصول فلسفة صدر الدين الشيرازي.

٢- «حوار الفلاسفة أصالة الوجود والماهية بين الملا صدرا والفلسفة الإشراقية» لعبد المجيد رضا، دار العلم، بيروت، ط١، عام ٢٠٠٢.

٣- «صدر المتألهين فيلسوفًا وعارفًا» لمحمد خواجوي، تعريب عبد الرحمن العلوي، دار الهادي، ط١، عام ٢٠٠٣.

٤- «الحركة الجوهرية ومفهوم التصور والتصديق عند صدر الدين الشيرازي» لزينب شوربا، وهو نفس البحث الذي قدم من أجل نيل رسالة الماجستير في الفلسفة، صدر عن دار الهادي، عام ٢٠٠٥.

٥- «قاموس مصلحات صدر الدين الشيرازي» إعداد السيد جعفر سجادي، ترجمة الدكتور علي الحاج حسن، وصدر عن معهد المعارف الحكمية في بيروت، وقد أبقي على المادة الأساسية للقاموس كما صدرت باللغة الفارسية، حتى يستطيع أن يقدم التجربة المعجمية الفارسية للقارىء العربي.

٦- «الأسفار في الأسفار» لآية الله رضى الشيرازي، صادر في الجمهورية الإسلامية عن فرهنك وإرشاد إسلامي، وهي عبارة عن تعليقات على كتاب الأسفار الأربعة.

٧- مصطلحات صدر الدين الشيرازي: للدكتور سميح دغيم، وهو صادر

عن دار ومكتبة لبنان، وفيه يعرض للمصطلحات الفلسفية عند صدر الدين الشيرازي.

٣- الدراسات الفلسفية

تميَّزت الدراسات الفلسفية في معظمها بتخصصها في مواضيع معينة لدى الشيرازي، كما أن جزءاً كبيراً قد بحث حياة الشيرازي وأهم تلك الدراسات:

١- «مقام ملا صدرا في الفلسفة الإيرانية»، وقد تُرجمت هذه الدراسة في مجلة «دراسات أدبية» التي كانت تصدر عن الجامعة اللبنانية كلية الآداب، وفيها يلقي «كوربان» الضوء على حياة الشيرازي وبعض مراحل فكره الفلسفي، وقد أعادت مجلة المحجة الصادرة عن معهد المعارف الحكمية هذا البحث في عددها صفر المخصص للملا صدرا، كما أن العددين لم يشيرا إلى أن مترجم هذا النص إلى العربية هو الدكتور أحمد لواساني.

٢- «صدر الدين الشيرازي وإشكالية الرؤية»، بحث صغير، يحلل فيه الدكتور كامل حمود مفهوم النبوة، ويلاحظ من خلال الدراسة التركيز على إشراقية الشيرازي»[١٠٦].

٣- «إطلالة على حياة صدر المتألهين»، بحث يلقي الضوء على حياة الشيرازي، وفيه يرصد الطباطبائي تفسير بعض المفاهيم كأصالة الوجود، ومفهوم الحركة الجوهرية[١٠٧].

٤- «نظرية الحركة الجوهرية والإبداع الفلسفي»، بحث لعلي التميمي، ويلقي الضوء على فلسفة الشيرازي، وخاصة الحركة الجوهرية عنده، ويحاول الباحث الرد على هادي العلوي بإيضاح مفهوم الحركة عند الشيرازي، وفض الاتصال بينها وبين نظرية داروين[١٠٨].

---

[١٠٦] حمود، كامل: صدر الدين الشيرازي وإشكالية الرؤية، بيروت، مجلة دراسات عربية، عدد ٣، كانون الثاني، شباط ١٩٩٠.

[١٠٧] الطباطباني، محمد حسين: إطلالة على حياة صدر الدين، قم، مجلة الفجر، عدد ٢سنة ١٩٩٠.

[١٠٨] التميمي، علي: نظرية الحركة الجوهرية والإبداع الفلسفي، دمشق، مجلة الثقافة الإسلامية، المستشارية الإيرانية، عدد٢٧، عام١٩٩٣،ص٢٠٦.

٥- «ملامح من فلسفة صدر الدين الشيرازي»، بحث فيه الدكتور أحمد البهادلي مواضيع عدة منها البداء، والتجدد والتغير، وصفات الذات، والعلم الإلهي[١٠٩].

٦- «منزلة الخيال عند الشيرازي على ضوء فلسفة ما بعد الحداثة» للباحث محمد المصباحي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العددين ١٢٠-١٢١خريف ٢٠٠١وشتاء ٢٠٠٢.

٧- «صدر الدين الشيرازي في أصوله الثلاثة» للدكتور حسن عاصي، مجلة الثقافة الإسلامية، الصادرة عن المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية في دمشق، العدد ١٧، شعبان ١٤٠٨، ويستعرض هذا البحث الفصول الأساسية لرسالة «سه أصل» كما وردت في ترجمة علي أصغر نيستاني..

٨- «صدر الدين الشيرازي أعظم فلاسفة العرفان» علي أصغر نيستاني مجلة الباحث، وهو ينقل مقدمة البحث الذي أعده لرسالته لنيل الماجستير.

٩- «المعرفة العرفانية عند الملا صدرا» لشهرام بازوكي، صدر في مجلة المحجة العدد صفر.

١٠- «كأني أعرف ملا صدرا» للدكتور طراد حمادة، وفيه يستعرض الكاتب كيفية تعرفه على الملا صدرا، والتي كانت وراء اختياره لهذا الفيلسوف كمادة لرسالة الدكتوراة الخاصة به، والتي قدمها في جامعة السوربون، صدر هذا البحث في مجلة المحجة العدد صفر.

١١- «الشيرازي دراسة بيبلوغرافية» لأحمد ماجد،صدرت في مجلة المحجة العدد صفر.

١٢- «التعددية والوحي من وجهة نظر صدر المتألهين وبول تيلتش» لعلاء توراني، ترجمة الدكتور علي الحاج حسن، وفيها يستعرض الكاتب للتعددية الدينية بين صدر الدين الشيرازي وبول تيلتش»، صدر في العدد ٨ من مجلة النحجة شتاء ٢٠٠٤ .

---

[١٠٩] البهادلي، د.احمد: ملامح من فلسفة صدر الدين الشيرازي، بيروت، مجلة العرفان، العددان ٥و ٦ المجلد٧٩عام١٩٩٥ص ٧٠- ٨٦.

١٣- «اشتدادية الحركة الجوهرية»لمحسن غرويان، ترجمة الدكتور حبيب فياض، وصدر في العدد ١٢ من مجلة المحجة.

١٤- «أصالة الوجود عند صدر الدين الشيرازي» للسيد جلال الدين الأشتياني،ترجمة عمار أبو رغيف، العدد الثاني، جمادي الثاني، مجمع الفكر الاسلامي،١٩٩٣.

١٥- «المدرسة التفكيكية وصدر الدين الشيرازي» لعلي البغدادي، العددين ١٢-١٣شوال ١٤١٧ه.ق، وفي هذا البحث يقارن الكاتب بين المدرسة التفكيكية التي أنشأها محمد الحكيمي، والتي تدعو إلى تنقية الفكر الإسلامي من الوافد عليها، وبين مدرسة صدرا.

١٦- «لمحة عن التصوف عند ملا صدرا في إيقاظ النائمين» لمحمد خنساري، ترجمة طارق عسيلي، صدر في العدد ١٣ من مجلة المحجة، عام ٢٠٠٥.

١٧- «حول النظرية الاخلاقية عند صدر الدين الشيرازي» لفاخر الموسوي، الذي صدر في مجلة المنطلق العدد ٤٠-٤٢، وفيه يعالج البعد الأخلاقي لفلسفة صدرا، وفيه يعالج الباحث الفلسفة الأخلاقية لاسيما البعد العملي منها، فيركز على كتاب سه أصل ويبحث في المعطيات التي يقدمها.

١٨- «نظرية المعرفة عند الفلاسفة المسلمين» للشيخ علي جابر، صدر عن معهد المعارف الحكمية، عام ٢٠٠٤، تحدث الكاتب في ثماني صفحات عن نظرية المعرفة عند صدر الدين الشيرازي.

١٩- «محاضرات في الفلسفة الإسلامية»للشهيد مرتضى مطهري، ترجمة عبد الجبار الرفاعي، صادر عن دار الكتاب الإسلامي في الجمهورية الإسلاميةعام ١٤١٥هـ.ق، وهي عبارة عن محاضرات كان الشهيد قد ألقاها في قسم الإلهيات والمعارف الإسلاميةفي جامعة طهران.

٢٠- «الحب الخالص عند صدر الدين الشيرازي»، وهي عبارة عن محاضرة ألقاها الدكتور جاد حاتم في مؤتمر أقامه معهد المعارف الحكمية في خريف عام ٢٠٠٤، قام بترجمة النص إلى العربية الدكتور خليل أحمد خليل.

٢١-«ميتافيزيقا الوجود عند صدر الدين الشيرازي» لسليمان البدور،

محاضرة القيت في المؤتمر العالمي حول صدر الدين الشيرازي» في طهران في أيار عام ١٩٩٩، نشرت في الجزء الأول من أعمال المؤتمر الذي صدر عن مؤسسة صدرا في عام ٢٠٠١ في طهران.

٢٢-«ملا صدرا مجدد الفلسفة الإسلامية وكتابه الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة»، لعبد السلام عبد العزيز فهمي، محاضرة القيت في المؤتمر العالمي حول صدر الدين الشيرازي» في طهران في أيار عام ١٩٩٩، نشرت في الجزء الأول من أعمال المؤتمر الذي صدر عن مؤسة صدرا في عام ٢٠٠١ في طهران.

٢٣-«من الحكمة المتعالية إلى الحكمة المتدانية، محاولة لتثوير صدر الدين الشيرازي بعد أربعة قرون (١٠٥٠- ١٤٢٠) قراءة أولية. محاضرة القيت في المؤتمر العالمي حول صدر الدين الشيرازي» في طهران في أيار عام ١٩٩٩، نشرت في الجزء الأول من أعمال المؤتمر الذي صدر عن مؤسة صدرا في عام ٢٠٠١ في طهران.

٢٤-«ملا صدرا بعض أوجه التجديد في الفلسفة» لعمار الطالبي، محاضرة ألقيت في المؤتمر العالمي حول صدر الدين الشيرازي» في طهران في أيار عام ١٩٩٩، نشرت في الجزء الأول من أعمال المؤتمر الذي صدر عن مؤسسة صدرا في عام ٢٠٠١ في طهران.

٢٥-«نظرية أصالة الوجود عند صدر الدين الشيرازي» لعباس محمد حسن سليمان، محاضرة ألقيت في المؤتمر العالمي حول صدر الدين الشيرازي» في طهران في أيار عام ١٩٩٩، نشرت في الجزء الأول من أعمال المؤتمر الذي صدر عن مؤسسة صدرا في عام ٢٠٠١ في طهران.

وتضاف إلى هذه الدراسات المتخصصة في فلسفة الشيرازي دراسة أخرى لعلي زيعور يعالج فيها الفلسفة السياسية للشيرازي مقارنةً مع نصير الدين الطوسي وقد نُشرت هذه الدراسة في مجلة الاجتهاد. وأُضيف إليها لاحقاً دراسة أخرى للدكتور علي زيعور تحت عنوان قطاع الاقتصاديات داخل العقل العملي في الفلسفة الإسلامية، بحث فيها الاقتصاديات عند الشيرازي وغيره من الفلاسفة المسلمين.

E- حضور «الشيرازي» في تاريخ الفلسفة

حضور الشيرازي في تاريخ الفلسفة الإسلامية المتداول في العالم العربي،

لا يماثل حجمه في الإنجازات الفلسفية، وقد أرَّخ له كل من:

أ- الدكتور ماجد فخري، بحث فلسفة الشيرازي في فصل تحت عنوان: «فلسفة الإشراق في مراحلها اللاحقة»، وقد جاءت سريعة من غير توسيع في بعض الأفكار[110].

ب- د.سيد حسين نصر، قام بعرض لمحة عن حياة الشيرازي الفلسفية وتجديداته، ضمن كتابه «دراسات إسلامية»[111].

ج- محمد رضا اللواتي، قارن بين فلسفة الشيرازي والفلاسفة الإسلاميين والغربيين، خاصة بالنسبة للمشكلات العقلية كمشكلة المعرفة والنفس والألوهية والطبيعة، ويعطي هذا الكتاب نظرة وافية عن فلسفة الشيرازي في هذه المجالات[112].

د- هنري كوربان، «الشيعة الاثنا عشرية»، وهذا الكتاب، الذي طُبع في مصر هو الجزء الأول من كتاب «الإسلام الإيراني» الذي يبحث الفكر الفلسفي عند الشيعة، وفي هذا الجزء يبحث الكاتب في موضوع النبوة والملائكة عند الشيرازي[113].

هـ - د.موسى الموسوي: «من السهروردي حتى الشيرازي»، وهذا الكتاب يتميز بالسطحية وعدم التعمق وكثيراً ما يستعرض آراء للسهروردي وينسبها إلى الشيرازي[114].

و- د.علي سامي النشار: «تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، اعتبر أن الشيرازي يهدف من خلال أسفاره التعريف والتأريخ للفكر الفلسفي فقط، وهذا الفهم يعود إلى عدم قراءة كتابات صدر الدين الشيرازي[115].

---

[110] فخري، د.ماجد: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة كمال اليازجي، بيروت، الدار المتحدة للنشر، ط ١عام ١٩٧٤.

[111] نصر، سيد حسين: دراسات إسلامية، بيروت، الدار المتحدة للنشر، ط أولى، عام ١٩٧٥.

[112] اللواتي، محمد رضا: المعرفة والنفس والألوهية في الفلسفة الإسلامية، بيروت، دار الساقي، ط ١عام ١٩٩٤.

[113] كوربان، هنري: الشيعة الاثنا عشرية، ترجمة نوقان قرقوط، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط ١عام١٩٩٣، وأعاد السيد نواف الموسوي ترجمة هذا الكتاب وأصدره عن دار النهار عام ١٩٩٩.

[114] الموسوي، موسى: من السهروردي إلى الشيرازي، بيروت، دار المسيرة، ط ١عام ١٩٩٧.

[115] النشار، علي سامي: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، القاهرة، دار المعارف، ط ٥عام ١٩٨٥ج١ص١٢.

ز- عبد القادر محمود: «الفلسفة الصوفية في الإسلام»، أفرد للشيرازي١٣صفحة، واعتبر: «أن الشيرازي في إشراقيته لم يتجه إلى الروحية الخالصة التي دفعت السهروردي، إلى نكران حقائق الوجود»، وردها إلى محمولات ذهنية صرفة ثم دفعه إلى التوفيق بين مذاهب الاتصال في المدرسة المشائية ومذاهب الاتحاد في المدرسة الحلاجية، إن تصوف الشيرازي قائم على أساس عقلي نظري يعتمد على الدراسة والتأمل معاً، وهو أقرب إلى إبن باجة بل بالأحرى إلى إبن رشد[١١٦].

ح- كوثراني، د. وجيه: «السلطان والفقيه» دار الراشد، بيروت، ط١ عام ١٩٨٩، وفيه يعالج موقف الشيرازي من السلطة الصفوية ضمن تحليله للعلاقة بين المؤسسة الدينية والسلطة.

٥- الموسوعات العربية

١- أورد جورج طرابيشي الشيرازي في معجمه الفلسفي، واعتبر: «أن صدر الدين قد استطاع أن يحقق ثورة حقيقية في ميتافيزيقا الوجود»[١١٧].

٢-القاضي عبد الله نعمة أفرد له ٣٥صفحة في معجمه «فلاسفة الشيعة،عرض فيها آثاره الفلسفية مركزاً على الحركة الجوهرية[١١٨].

٣- وأورده محمد فارس في موسوعة العرب المسلمين قائلاً عنه: «عالم ومفكر وُلِدَ في مدينة شيراز الإيرانية، حاول التوفيق بين النبوَّة والفلسفة وألَّف الشيرازي الأسفار الأربعة يعالج القضايا الكونية بطريقته الفلسفية المبتكرة ويعرف هذا المصنف باسم الحكمة المتعالية في المسائل الربوبية»[١١٩].

٤- لم تعرفه الموسوعة الفلسفية العربية، وجاء الحديث عنه في إطار تعريف الحكمة لعلي زيعور الذي قال: الحكمة المتعالية نعت يطلق على الحكمة الإلهية عند ملا صدر الدين الشيرازي ت١٠٥٠هـ(م ١٦٤١) القائمة

---

[١١٦] محمود، عبد القادر: «الفلسفة الصوفية في الإسلام»، القاهرة، دار الفكر العربي، ط ١ ،عام ١٩٦٦ ص٤٨٩.

[١١٧] طرابيشي، جورج: المعجم الفلسفي، بيروت، دار الطليعة، ط ١تاريخ١٩٨١ص٣٧٨.

[١١٨] نعمة، عبد الله: فلاسفة.. م.س، ص٤١١ - ٤٣٦.

[١١٩] فارس، محمد: موسوعة العلماء العرب والمسلمين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٥ عام ١٩٩٣ص١٥٢.

على الأفكار المحورية الإشراقية حيث العرفان والنور، والذوق، والعلم الحضوري... وتلك الحكمة المتعالية، في قراءة الأسفار الأربعة تؤدي إلى استدعاء مفهوم الحركة الجوهرية حيث الماهيات ليست أولى، ولا ثانية وإنما هي متحركة وتقبل التغير بل حتى المادة، في تلك الحكمة، هي مادة روحانية ومن ثم فلا قول هنا بثنائية الجسم والروح، الممتد والروحي[١٢٠].

٥-خصَّصت دائرة المعارف الشيعية التي يشرف عليها السيد حسن الأمين حوالي ثلاثين صفحة للحديث عن الشيرازي، مركِّزة على نظرية الحركة الجوهرية عنده والمصاعب التي عانى منها بسبب اشتباه الناس بقوله بوحدة الوجود.

٦- الموسوعة الفلسفية: للدكتور عبد المنعم الحفني الصادرة عن مكتبة مدبولي، حيث خصص مساحة صغيره لا تليق بقيمة هذا الفيلسوف الكبير.

---

[١٢٠] الموسوعة الفلسفية العربية، الحكمة، للدكتور علي زيعور، بيروت، معهد الإنماء العربي، باب الحكمة، الجزء الأول، ص٣٩٣.

الفصل الثاني

دراسة تحليلية للأصول الثلاثة

الفصل الثاني

دراسة تحليلية للأصول الثلاثة

يتطلب الدخول في كتاب «رسالة الأصول الثلاثة» دراسات محاذية، تدرس العوامل المنتجة له، وتحلل الموضوعات التي تناولها بشكل علمي وموضوعي، لذلك، سيعمل هذا الفصل إلى تحليل الواقع التاريخي، لكي يموضع النص في إطاره المحدد، وبعد ذلك سيدخل إلى تحديد بعض الموضوعات التي تناولها النص فيجري تحليلاً لها، ليصل أخيرًا إلى عرض موضوعات هذه الرسالة.

أولا: البيئة التاريخية للرسالة

تميزت مرحلة بروز «صدرا» بالغنى التاريخي، فهي شكلت مدخلا لتغييرات طاولت مجمل الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية وحتى الدينية، فهي شهدت بروز قوة مهمة في المنطقة، كان لها أثر كبير في مجمل تاريخها.

وهذه الرسالة على صغر حجمها، تشكّل مدخلاً لفهم العصر، فالملا لم يكن هاويًا للانتقاد، وهو لم يشتغل بالسياسة بشكل مباشر، إلا أنه في هذه الرسالة حاول أن يكون مصلحًا لها، فهو دعا إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية، والتخلص من الظروف المعيقة لتطور المجتمع، وسعى إلى تنوير واقعي، يقوم على وعي «العالم» و «المتدين» لظروف مجتمعه، وفهم متطور للمنظومة الدينية؛ هذه المنظومة التي أخذت تتحول إلى خادم لسلطة سياسية_ كما رأى صدرا_، تستغل الدين لأهداف خاصة بها، قد تتضارب في بعض الأحيان مع الأسس التي يقوم عليها الدين.

فهذا النص الفكري موجه إلى «الأمة»، كُتِبَ بلغة فارسية على خلاف بقية آثار صدر الدين، فهو يحاول الدخول إلى عقل الأمة التي ينتمي إليها، وكأنه رسالة إليها، تحذرها فيها من تلبس بعض الناس بلباس الدين، وهم براء منه، فهو لم يكتب باللغة التركية لأنها لغة القزلباش؛ القوة التي كان يسيطر من خلالها الصفويون على السلطة؛ إنها لغة القوة والبطش. كما أنها لم تكتب

باللغة العربية؛ لأنها لغة النخبة الدينية، وهو يريد أن يصل إلى عقل الأمة.

كما أن هذه الرسالة، تحتوي على موضوعات متقدمة، يندر أن نجد مثلها في العالم الإسلامي، فهي تبحث في ماهية «العالم» وعلمه، والعلاقة بين العالم والسلطان، وتحاول أن تلفت نظر العلماء للتنبه إلى أن سبيل الحاكمية، لا يجب أن يمر من خلال البطش؛ وإنما من خلال رؤية كونية تنظر إلى الإنسان ككائن مكرم من الله عزَّ وجل، لذلك نستعرض حكم الصفويين، والظلم والبطش الذي حكموا فيه إيران، وكيفية إبعاد العلماء عند مخالفتهم لتوجههم السياسي، ومنهم ملا صدرا، كما نستعرض كيفية تحويل الرؤية الثورية للإسلام إلى مظهرية ركودية، تقبل التبعية والخضوع، دون مراجعة، فألغي الإنسان، واستغل لصالح الحاكم، الذي حول إيمانه إلى ممارسة طقوسية جامدة، فهؤلاء الحكام كما قال الإمام الخميني (قده) هم سبب بلاء إيران إن الأمر جدي وليس مزاحاً، الأمر يرتبط بشعب كان طوال التاريخ محكوماً من قبل سلاطين الجور. كل الملوك الذين حكموه على مدى الفين وخمسمئة عام كانوا جائرين. حتى عادلهم كان خبيثاً، حتى ملكهم انوشيروان العادل كان من الخبثاء، حتى شاه عباس ساكني الجنان كان من الملوثين. فهو الذي سمل عين والده. وهذا الشعب كان طوال التاريخ مسحوقاً تحت سلطة هؤلاء السلاطين الخبثاء»[١].

أ- الصفويون في الحكم

وصل الصفويون إلى الحكم في إيران عام ٨٩٢هـ ١٤٨٨م[٢]، ويعتبر هذا التاريخ من التواريخ الهامة في العالم الإسلامي، فهي افتتحت مرحلة صراع جديد في المنطقة بين العثمانيين والصفويين.

ينتمي الصفويون إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي (١٢٥٢-١٣٣٤م)، الذي أسس طريقة صوفية في أردبيل[٣]، هذه الشخصية التي عرفت بالزهد والتقوى والنزاهة، جعلت الناس. ينسبون إليه الكثير من المعجزات والخوارق والخرافات، وأن يجلوه إجلالاً عظيمًا، كما نسب إليه الانتماء إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه

---

[١] الإمام الخميني: « الكوثر » مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني، طهران، ج٢، ص ١٧٣.

[٢] حكمت هذه الأسرة ايران من عام ٨٩٢هـ حتى ١١٤٨ هـ أي من العام ١٤٨٨م حتى ١٧٣٦م.

[٣] أشهر مدن أذربيجان بينها وبين بحر الخرز مسافة يومين، وتقع اليوم في أذربيجان الشرقية.

السلام، ولكن هذا الأمر تعارضه بعض الوقائع التاريخية، فقد كتب عبد الله خان قائد الأوزبك إلى الشاه طهماسب الصفوي في عام ٩٤٦هـ، يعاتبه، ويقول: «لقد كان _الشيخ صفي الدين _ رجلاً معززًا مكرمًا، كما كان من أهل السنة والجماعة»[٤].

وبعد صفي الدين الأردبيلي، تابع أولاده وأحفاده ترأس هذه الفرقة الصوفية، وبعد الحملات المغولية، تزايد عدد المتصوفة في إيران، فكثر أنصار هذه الفرقة، وتعاظم عدد التابعين لها، فتعاظم دور أولاد صفي الدين، لاسيّما حفيده «خواجة علي»[٥]، الذي تمتع بعلاقة وطيدة مع تيمورلنك، الأمر الذي ساعده في تحرير عدد كبير من الأسرى الأتراك، الذين كانوا قد أسروا بعد هزيمة بايزيد الأول[٦]، الأمر الذي حولهم إلى تابعين صاديقين للصفوية.

لعبت هذه الشخصية دورًا كبيرًا في تاريخ الدولة الصفوية، ففي عهده جُعِلَتْ أردبيل وضواحيها وأصفهان[٧] وهمدان[٨] وقفًا عليه وعلى أحفاده من بعده من قبل تيمورلنك[٩]، كما أنّ فترة تزعمه للطريقة الصفوية، عرفت بوادر المزج بين التشيّع والتصوف، فأعلن أنه رأى في المنام الإمام محمد التقي الجواد عليه السلام[١٠]، يطلب إليه أن يهدي أهالي ديزفول[١١] إلى التشيّع.

---

[٤] جمعة، بديع: «الشاه عباس الكبير» دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص٧.

[٥] خواجة علي: ابن صدر الدين، ابن صفي الدين الاردبيلي، تولى الطريقة بعد موت والده عام ٧٩٤هـ ١٣٩٢م، توفي في فلسطين لدى عودته من الحج، ودفن في بيت المقدس عام ٨٣٠هـ ١٤٢٦م .

[٦] بايزيد الأول العثماني ابن مراد خان الأول، ولد عام ٧٦١هـ ١٣٦٩م، أخضع لحكمه جميع الإمارات التي قامت على أعقاب الدولة السلجوقية، ضم بلاد البلغار إليه، وواجه ملوك أوروبا ، الذين أعلنوا الحرب عليه، ولكنه انتصر عليهم، تقابل مع تيمورلنك في سهل انقرة، فهزم جيشه، ووقع في الأسر ، ويقال انه توفي في قفص من حديد في عام ٨٠٥هـ١٤٠٣م.

[٧] تعتبر المدينة الثانية في ايران، وهي أهم المدن الصناعية، جعلها الشاه عباس الأول عاصمة له عام ١٠٠٦هـ١٥٩٧م.

[٨] كانت عاصمة المديين، ويعود تاريخ بنائها إلى سنة ٨٠٠ ق.م، وهي مركز تجاري يربط ايران بالعراق.

[٩] ولد سنة ٧٣٦هـ ١٣٣٥م، وهو ابن الأمير ترغاي، تربي في تركستان، خلف عمه في الإمارة في إمارة كيش نة ١٣٦٠م، وهوواحد من أكبر الفاتحين في التاريخ.

[١٠] الامام التاسع عند الشيعة الأثني عشرية،وهو ابن الإمام علي الرضا عليه السلام.

[١١] مدينة وا[illegible] خوزستان ق[illegible]ر آبديز.

تناوب على رأس الطريقة بعد «خواجة علي إبنه «شيخ شاه»، ثم حفيده «السلطان جنيد»، ثم ابنه السلطان «الشيخ حيدر»، الذي قام بتحويل الفرقة الصوفية إلى مجموعة مقاتلة، -وقد ألبس أتباعه قبعة حمراء، ذات تاج واثنتي عشرة درزة، على عدد الأئمة، سموا بسببها القزلباش، أي الرؤوس الحمراء بالتركية-، للدفاع عن العقيدة التي يعتنقونها، في ظل صراع حاد مع قبيلتي قره قوينلو، وآق قوينلو، هذا الصراع الذي أدى إلى مقتل كل من «السلطان جنيد» وابنه «الشيخ حيدر».

ونتيجة لما كابده الصفويون من هاتين القبيلتين، تحالفوا مع تسع قبائل تركمانية شيعية أهمها قبائل: روملو، وشاملو، واستاجلو، والأفشار، والقاجرية، وهذا التحالف المذهبي السياسي، دفع إلى التعجيل في تبني المذهب الشيعي كمذهب للدولة الصفوية، التي أعلنها الشاه، بعد دخوله عام ٩٠٦هـ ١٥٠٠م إلى مدينة شروان[١٢] للانتقام لوالده من جهة، ولتثبيت دعائم دولته الوليدة، فبعد دخول هذه المدينة نودي به شاهًا.

ونتج عن هذه المعركة زيادة الصراع بين الشاه إسماعيل والآق قوينلو، فنشبت الحرب بين الطرفين، وانتهت بانتصاره، وتم له دخول تبريز عام ٩٠٧هـ ١٥٠١م، فاتخذها عاصمة له، وبعد دخوله تبريز، أمر بأن تقرأ الخطبة باسم الأئمة الاثني عشرية، وأن تسكَ على العملة عبارة «لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي ولي الله»، واستمر الشاه إسماعيل في التوسع فأخضع أذربيجان.

وهذه التطورت، دفعت المنطقة إلى الاشتعال، فانتصارات الشاه إسماعيل على التركمان ووصوله إلى العتبات المقدسة، دفعت السلطان العثماني إلى إرسال كتاب تحذير للشاه الصفوي، استتبعه وبشكل سريع بهجوم كبير، انتهى بانتصار العثمانيين في موقعة جلدران (جيلدران) سنة ١٥١٤م، ووصل إلى حد إسقاط مركز حكمه في تبريز، التي بقيت ستة أيام خارج سلطته.

وهذه الوقائع، عجلت في وفاة الشاه إسماعيل، وهو في عمر ٣٨سنة، تاركا لابنه طهماسب الأول دولة تعاني من حروب مع الخارج من الشرق الأوزبك ومن الغرب العثمانين، ولكنه في الوقت نفسه، نجح في إرساء دولة،

---

[١٢] ولاية في جنوب القفقاز، كانت تعتبر قديما ناحية من نواحي باب الأبواب.

تخلصت من تعدد مذهبي _شيعة وإباضية وسنة. وتعدد عرقي «أتراك» و«تتار» و «مغول»، وحكومات أقاليم مستقلة، إلى دولة موحدة، تقوم على وحدة المذهب، من هنا نستطيع أن نقول، استطاع الشاه إسماعيل من تحويل إيران من دولة ممزقة، تتلاعب بها المذاهب والتيارات المتعددة إلى دولة قومية، تقوم على مذهب يلائم الروح الإيرانية،التي تميل دائماً نحو العرفان والروح الصوفية.

فالشعب الإيراني شديد التعلق بالتدين، ويمكن وصف التجربة الصفوية بالساسانية، التي قامت في القرن الثالث قبل الميلاد على أرضية التوأمة بين الدين والدولة، مع فارق في المذهب، وهنا نتذكر دستور الدولة الساسانية الذي يقول: «الدين والملك توأمان، لا غنى لواحد منهما عن الآخر، والدين أس الملك، والملك حارسه، فما لم يكن له أسّ فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع»[١٣]، وبالتالي فهو لا يستطيع أن يتصور الدولة بلا دين حاكم فيها، ولعلّ هذا، هو الذي جعل قيام الدولة في بلاد فارس مترافق دائماً مع عقيدة دينية حكمة فيها.

كما أن الشاه، فهم حركية العقل الإيراني، فهو انتقل بالطريقة الصفوية بمكوناتها إلى بنية اعتقادية، تعتمد على العقيدة والفقه، وهذا الإطار أكثر مواءمة لفكرة الدولة، مع الحفاظ على المعالم العامة للتصوف، والمتمثلة بالشخصية المثلة للإنسان الكامل، الذي يجمع من حوله المريدين المخلصين، فهو كان على قناعة بضرورة مأسسة الدولة عبر ضابطة واضحة، لا يستطيع تحقيقها إلا الفقه وقواعده، من هنا بدأ العمل على استقدام الفقهاء من الخارج لاسيّما لبنان، ومن أبرز تلك الشخصيات المحقق نور الدين الكركي، الذي عمل على نشر التشيّع في المناطق الشرقية التي افتتحها.

وكاد الحكم الصفوي أن ينهار في أيام الشاه طهماسب الأول، فاضطر إلى نقل عاصمة دولته من تبريز إلى قزوين، بعيدًا عن حملات الأوزبك والعثمانيين، وفي عهده الذي استمر أكثر من خمسين عاما، عرف التشيع تنشيطًا كبيرًا، وازدادت أواصر علاقته بالدولة، فهذا الشاه عمل على تعزيز موقع المحقق الكركي، حيث أعلنه «صدر الصدور» ولقبه «بخاتم المجتهدين»، كما

---

(١٣) عباس، دلال : «بهاء الدين العاملي» دار الحوار ،بيروت،ط١، ١٩٩٥، ص٣٧.

أنه نظر إليه كنائب للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ففوّض إليه صلاحية إدارية مطلقة لإدارة العمل الحكومي في المجال الديني. إذ: «أُعْطِيَ صلاحية في عزل وتعيين مفتيّ المدن، وأئمة المساجد والوعاظ، كما طلب منه إعطاء رأي في مسألة الضرائب العقارية وعلاقة الدولة بالخراج»[١٤].

وحاول الأوروبيون التقرّب إلى الشاه طهماسب الأول، لتخفيف الضغط عليهم، ولكنّه رفض، ولم يسمح لهذه الدول بتحقيق مآربها في هذا الخصوص.

وبعد الشاه طهماسب الأول، عرفت الدولة الصفوية مرحلة من عدم الاستقرار الداخلي، فقتل ابنه «حيدر»بعد ساعات من توليه الحكم، فدفن معه، وولي إبنه إسماعيل الثاني، الذي حاول أن يعيد تفعيل المذهب السني، فووجه بمعارضة داخلية شديدة، دفعته للهروب إلى الأمام عبر افتعال معركة خارجية، ولكن العثمانيين عاجلوه بضربة قاسية، ألّبت عليه المجتمع، ودفعته إلى الثورة عليه، فاغتيل في عام ١٥٧٨م، بعد تسعة عشر شهرًا من توليه الحكم.

عندما اغتيل الشاه إسماعيل الثاني، لم يكن قد بقي من البيت الصفوي إلا «محمد خدا بندة»[١٥]، الذي لم يقتل لأنه ضرير، وأمام إعاقته بدأ دور الأميرات، فقام صراع بين أخته بريخان خانم[١٦] وزوجته مهد عليا، وهذا الصراع انتهى بمقتل بريخان خانم، واستبداد مهد عاليا بالسلطة، التي تجبّرت وبدأت تفرض نفوذها وسيطرتها على كل رجال الدولة ورؤساء القزلباش، فقتلوها وهي في سرير الزوجية.

وبعد فترة من الصراع بين أجنحة الحكم، تولى الشاه عباس الحكم في إيران مفتتحًا عصرًا جديدًا في المنطقة سيكون له تأثيره على مناحي الحياة كافة.

---

[١٤] كوثراني، وجيه: « الفقيه...» م.س، ص١٤٤.

[١٥] اي عابد الله .

[١٦] اخت محمد خدا بندا، وهي شاركت لقازلباش في قتل إسماعيل الثاني.

ب - حكم الشاه عباس

ولد عباس ميرزا في ليلة السبت غرة رمضان عام ٩٧٨هـ، الموافق الرابع من تموز ١٥٧١م، وكان الابن الثاني لمحمد خدا بندا، حاكم خراسان، الذي صدرت الأوامر إليه للتوجه إلى شيراز لحكم إقليم فارس، فتقيد بها، على أن يبقى ابنه الثاني عباس حاكما لهذا الأقليم، فوافق الشاه طهماسب على الرغم من أن هذا الطفل، لم يبلغ السنة الثانية من العمر، وهكذا ترعرع الشاه عباس بعيدًا عن أسرته في كنف عليقليخان، الذي استغلّ بعض الآمور فأعلنه ملكًا، ومن هذه الأمور:

١- ضعف الشاه محمد خاصة بعد وفاة زوجته مهد عليا.

٢- انغماس ولي العهد حمزة ميرزا في اللهو والعبث، ومن ثم اغتياله.

٣- انشغال الجيش الصفوي في صد الهجوم العثماني على أذربيجان.

وهكذا انقسمت الدولة الصفوية إلى مملكتين، فآثر الشاه محمد خدا بندة الصلح مع العثمانيين لمواجهة الخطر الداخلي، وبعد صراع طويل في الداخل، تنازل الشاه محمد عن السلطة لابنه عباس ميرزا عام ٩٩٥ هـ ١٥٨٧م.

وبعد سيطرته على الحكم، عمل الشاه عباس ميرزا على توطيد دعائم حكمه، قاضيًا على مراكز القوة فيه، فاستخدم وصيه للقضاء على بعض قواد القزلباش، وعندما تمرس في السلطة والسياسة، قضى عليه، كما قضى على كل من يشكّل خطرًا عليه، فسمل عيون أخوته، وسجن والده حتى توفي، ولم يبق على أحد من أفراد الأسرة، وهذا ما أوجد مشكلة في ولاية العهد، فعند موته لم يكن يوجد أي وريث للحكم، إلا ابن ابنه الذي تربى في قسم الحريم.

هكذا انتقل الشاه عباس ببلاده من دولة ممزقة، تتقاسم الأقاليم فيها دول ذلك الزمان، فولاية أذربيجان وقسم من غرب إيران تحت حكم الدولة العثمانية، كذلك محافظة خرسان قد أصبحت هدفًا لحملات الأوزبكيين المتشددين لأهل السنة، كما كانت الدولة البرتغالية باشرت سياستها الاستعمارية في الخليج، وصار لها حق التصرف في عدة موانىء

وجزر»[17]، إلى دولة موحدة على كل المستويات، مستغلاً جميع المعطيات لصالحه، من هنا نرى من الضرورة استعراض كيفية حكم هذا الشاه لإيران على مجالات السياسة الخارجية كافة، والسياسة الداخلية وعلاقته بالشعب ومع القزلباش....

ا- على صعيد السياسة الداخلية

يقول بعض الباحثين: «على الرغم من اتّسام سياسة الشاه عباس بالقسوة والغلظة مع رؤساء القزلباش وحكام الولايات والقواد، فإنه كان برًا عطوفًا في علاقاته بعامة الناس وكادحيهم، وحريصًا على الأخذ بأيديهم والتخفيف عن كواهلهم، ومساندتهم ضد أي حاكم إقليم يريد فرض سلطانه عليهم، بل أنه كان في سفرياته يسأل أهالي الأقاليم التي يمر بها عن مسلك حاكمها معهم، فإن اشتكى أهل إقليم من مسلك حاكمهم، عزله على الفور وأمر بمحاكمته»[18]، فالشاه عباس شارك الفلاحين في جني ثمار التطور الاقتصادي، فحماهم من الطغيان، وكان يجود بالماشية والأرض على من جار عليه الزمن، كما كان يوقف بعض أراضيه لصالحهم، فهو استغل انتصاره على السلطنة العثمانية في معركة شماخي في عام ١٠١٦هـ لتكريم الشعب لوقوفه إلى جانبه.

كما قام هذا الشاه بالتعويض على العامة في كل حرب خاضها ضد أعدائه، وهذا الأمر أوجد جوًا من التعاطف الكبير معه من قبل الفئات الشعبية، استغله الشاه، فيما بعد لإرساء قوة عسكرية من عامة الناس مهمتها الدفاع عن سلطانه في وجه الغزاة.

أ- علاقة الشاه بالمذاهب الإسلامية

وكان الشاه شديد التعلّق بالمذهب الشيعي، حريصًا على بذل قصارى جهده للترويج له، ومن مظاهر اهتمامه الاحتفال بكل المناسبات الشيعية، مثل الأعياد، وإقامة مجالس العزاء، وزيارة العتبات المقدسة، وقد: «زار ضريح الإمام الرضا عليه السلام في مشهد، سيرا على الأقدام من أصفهان إلى مشهد(١٢٣٣كلم) وذلك وفاء لنذر»[19].

---

[17] فلسفي، نصر الله: «حياة الشاه عباس الأول» جامعة طهران، المجلد الأول، ص١-٢.

[18] جمعة، بديع: «الشاه عباس» م.س، ص٨٩.

[19] م.س، ص٩٦.

وإمعانًا في إظهار الولاء لأهل البيت عليهم السلام، لَقّب نفسه: «كلب عتبة علي» و «كلب عتبة الولاية»[20]، ونقش هذا اللقب.

والسياسة المنفتحة على مذهب أهل البيت، لا يعني أن علاقته مع العلماء كانت سوية، بل على العكس من ذلك، عمل الشاه عباس على فصل العلاقة بين العلماء والشعب، وعلى الرغم من وجود عدد كبير من العلماء في البلاط الصفوي، إلا أنه قام بتقليص دورهم وهمّشه، إلى حدود المسائل الفقهية، ودون التدخل في المسائل السياسية، وهو آثر على تعزيز دورهم طالما لا يتدخلون في الشؤون العامة للدولة، ولا يحرّضون الناس على سياسته، فهم لم يكونوا يجرؤون على الحديث عن المخالفات الشرعية التي كان يقوم بها الشاه، وهذا ما دعا الشيخ البهائي إلى القول:

عجيب لأهل العلم كيف تغافلوا — يجرون ثوب الحرص عند المهالك

يدورون حول الظالمين كأنهم — يطوفون حول البيت وقت المناسك[21]

وهذا الأمر قد أدى إلى ضيق العلماء، ويقول الملا صدرا: «وهكذا حال أولئك الذين يعدون أنفسهم من العلماء الذين صرفوا وجوههم عن جانب القدس وطلب اليقين، وتوجهوا إلى محراب أبواب السلاطين وتركوا الإخلاص والتوكل، يطلبون الرزق ويتوقعونه من الآخرين» «لما تركوا الإخلاص والتوكل ألجأهم الله إلى أبواب السلاطين وحوّل وجوههم عن طلب الحق واليقين إلى خدمة الهوى وطاعة السلاطين»[22]، ويعبر البهائي عن مقته للحياة في ربوع الشاه: «لو لم يأت والدي قدس الله روحه، من بلاد العرب إلى بلاد العجم، ولم يختلط بالملوك، لكنت من أتقى الناس، وأعبدهم، وأزهدهم، لكنه طاب ثراه أخرجني من تلك البلاد، وأقام في هذه الديار، فاختلطت بأهل الدنيا، واكتسبت أخلاقهم الرديئة، واتصفت بصفاتهم الدنيئة، ثم لم يحصل لي من الإختلاط بأهل الدنيا إلا القيل والقال، والنزاع والجدال،

---

[20] نفس المعطيات السابقة.

[21] عباس، دلال: «بهاء الدين العاملي» م.س، ص١٩٢.

[22] الشيرازي:" رسالة الأصول..."النص المترجم، المقطع ٣٠.

وآل الأمر إلى أن تصدى لمعارضتي كل جاهل، وجَسُرَ على مباراتي كل خامل»[٢٣].

فالشاه ركز على التشيع الشعبي، الذي يتوجه إلى وجدان الجماهير، فيعبر عن انسحاقها التاريخي في مواجهة القوة التي مارست عليه القهر التاريخي، لذلك لم يتقبّل فكرة انخراط العلماء بالحياة العامة، وزيارتهم للناس، والتعاطي الإيجابي معهم، وكان يتوجس خوفًا من مثل هذه الحركات، وقد أورد المؤرخون قصة لها دلالتها: «نُمي إلى الشاه عباس الكبير، أعظم ملوك الصفوية، إن شيخ الإسلام، أي بهاء الدين، كثيرًا ما يجوس خلال أحياء الفقراء، ويدخل أكواخهم ويجالسهم، فاستحسن أن يلفته بلياقة إلى أن هذه الزيارات، لا تتناسب مع مكانة شيخ الإسلام، فقال له يومًا: «لقد سمعت أن أحد كبار العلماء يكون مع الفقراء والأراذل في أكواخهم وهذا أمر غير لائق، فأجابه الشيخ: هذا الأمر غير صحيح، فأنا كثيرا ما أكون في تلك الأماكن، ولم يحدث أن رأيت أحدًا من كبار العلماء هناك»[٢٤]، وهذه الرواية تظهر عمل الشاه على تقويض كل علاقة بين العالم والشعب.

ويروي شريعتي: «عندما تبعث الدولة بحاكم إلى إحدى المدن تبعث معه إمام جمعة لتلك المدينة ليكون دين الناس بيده رسميا، وليدعم وجود الحاكم أيضا، كما كانوا يبعثون بشخص ثالث يدعى الخطيب مهمته الرسمية التحرك الإعلامي لصالح الدولة وتأييد الحاكم.

أما في المركز فكان كبار الشخصيات الروحية تؤلف كتبا ضخمة في إثبات الولاية والرد على ظلم أهل البيت وشجب الحكومات الفاسدة والمترفة كل ذلك على نفقة الحكومة»[٢٥].

وذهب الشاه أبعد من ذلك، في إعلاء الروح القومية عند الشعب الإيراني، ليظهر أن التشيع يُغْلي من شأن الأمة الإيرانية، فهو أشبه ما يكون بوعد تاريخي

---

[٢٣] الشيخ البهائي: «الكشكول» ج١ ص١٣٥.

[٢٤] عباس، دلال: «بهاء الدين...» م.س، ١٨٧، ويروي نصر الله فلسفي هذه الرواية على لسان الفندرسكي.

[٢٥] شريعتي، علي: «التشيع العلوي...» م.س، ص٢٣٩.

للأمة. تمثل في الإرادة الإلهية التي جعلت الأئمة من تزاوج بين آهل بيت النبوة وابنة يزدجرد، فهم عملوا على تعميم الروايات التي تشيد بالأمة الإيرانية، فقام بإبراز زواج الإمام الحسين عليه السلام من شهربانو بنت يزدجرد آخر سلاطين بني ساسان، وذلك حتى يصل أئمة الشيعة بنسبهم إلى الملوك الإيرانيين قبل الإسلام، وبالتالي يصبح التشيع عقيدة منبثقة ومتطابقة مع القومية الإيرانية.

فهو عمل على تغذية الفاعلية الحسية عند الشعب الإيراني، وتصعيد التوتر الذاتي لدى الشيعي، مما يجعله قابلاً للتحرك أمام كل خطر يتعرض له المذهب في مواجهة المذاهب الأخرى التي ارتكبت بحقه الكثير من المآسي التاريخية. هذه المآسي التي استحضرت من خلال تطوير آلية التعبير عن الذات، فقد عمل كما تقول بعض المصادر التاريخية، إلى جعل الشيعة يصلون بصورة منفردة ومنفصلة عن سائر الحجيج، وعطل صلاة الجمعة، وعمم عبر بعض الفقهاء عدم إمكانية إقامتها بغياب قائم آل البيت .

وأنشأ الشاه وزارة، تهتم بتطوير الشعائر العاشورائية، وأشارت بعض المصادر إلى إدخال بعض التقاليد من الأمم الأخرى: «حيث توجد لديهم ممارسات وطقوس دينية مماثلة من قبل (الرجال السبعة) أو الميراكل... أما النوائح التي تؤدى بشكل جماعي فهي تجسيد دقيق لمراسيم متشابهة تؤدى في الكنائس ويطلق عليها اسم(كر) كما أن الستائر ذات اللون الأسود التي توشح بها أبواب وأعمدة المساجد والتكايا والحسينيات وغالبًا ما تطرز بأشعار جودي ومحتشم الكاشاني هي مرآة عاكسة بالضبط لستائر الكنيسة. مضافا إلى مراسيم التمثيل لوقائع وشخصيات كربلاء وغيرها حيث تحاكي مظاهر مماثلة في الكنائس أيضًا»[٢٦]، وهذه الوجهة بحاجة إلى تدقيق، حيث إن بعض الأمور التي أوردها شريعتي كانت سائدة قبل ورود الصفويين*.

هذا وأعلى الشاه عباس من شأن التراث الشعري الفارسي، لاسيما شعر «حافظ الشيرازي»، الذي كان موضع تقدير الناس واحترامهم، كما كان

---

[٢٦] شريعتي، علي: «التشيع العلوي والتشيع الصفوي» ترجمة حيدر مجيد، تقديم ابراهيم دسوقي شتا، دار الأمير، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص٢١١.

* تظر كتاب: الشعائر الحسينية في المظلومية إلى النهوض: للشيخ شفيق جرادي، الذي يحلل ظاهرة الشعائر العاشورانية، ويعالجها بشكل علمي وموضوعي.

له تقدير كبير من قبل الصوفية، فشجع على تداول ديوانه بين الجماهير إلى حد أنه أصبح جزءًا من حياة الفرد الإيراني، فأصبح من عادته وضع الكتابين (القرآن وديوان حافظ) جنبا إلى جنب في منزله[٢٧].

وهذا الحرص على المذهب، دفع الشاه عباس إلى اتخاذ مواقف متشددة من المذاهب الإسلامية الأخرى، ومن مظاهر تعنته مع ما فعله مع سكان قلعة (أندخود)، حيث كان الشاه: «قد فتح هذه القلعة عام ١٠١١هـ وأمّن أهلها من السنة على حياتهم وممتلكاتهم، وطمأنهم بأنه لن يتعرض لهم بالسوء بسبب اعتناقهم المذهب السني، ولكن حدث في عام ١٠١٢هـ، وهو عائد من محاصرة مدينة بلخ أن مر بقلعة «أندخود» هذه، وفجأة وبلا سبب واضح أمر جنوده بالإغارة عليها وأسر جميع أكابرها وأعيانها وقاضيها»[٢٨].

وكان الشاه قاسيًا مع الأسرى من السنيين، و: «كان أقل عقاب يوقع عليهم إن لم يقتلوا، هو سمل عيونهم، ولم يكن يصفح عن أي أسير منهم الا إذا أعلن تخليه عن المذهب السني ودخوله في المذهب الشيعي، ومن الذين فعلوا ذلك شريف باشا حاكم قلعة وان بمنطقة آذربيجان»[٢٩].

ب- علاقته مع الديانات الأخرى

وفي مقابل هذه السياسة الإسلامية، تسامح الشاه عباس مع المسيحيين، فهو عندما شعر بخطر يحدق بمدينة جلفا الأرمينية، قام بنقلها إلى جوار أصفهان، وبناها من جديد على نمط المدينة المهجورة، حتى لا يشعر الأرمن بغرابة الجو الجديد، الذي يعيشون فيه، كما أمر بقصر الإقامة في هذه الضاحية على المسيحيين دون سواهم، وحرم على المسلمين اتخاذ الدور فيها[٣٠].

وأصدر أمرًا ملكيًا يسمح للمسيحيين بحرية التحرك في إيران: «... ومن اليوم يسمح لمواطني الدول المسيحية ومن يدينون بدينهم الحضور إلى أي بقعة

---

[٢٧] نيستاني: «رسالة الأصول..» م.س، ص٣٩.

[٢٨] م.ن، ص١٠٢.

[٢٩] م.ن، ص١٠٣.

[٣٠] جمعة: «الشاه عباس....» م.س، ص١٠٥.

من وطننا ولا يسمح لأي شخص بأي حال من الأحوال إهانتهم ونظرًا لما بيننا وبين الملوك المسيحيين من علاقات ود ومحبة، فيسمح للتجار المسيحيين بالتجول في جميع أجزاء إيران، ومزاولة نشاطهم التجاري في أي بقعة من الوطن، دون أن يتعرض لهم بالإيذاء أي شخص سواء أكان حاكمًا أو أميرًا أو خانًا أو موظفًا أو تابعًا لدولتي، كما تعفى جميع تجارتهم التي يحضرونها معهم من ضرائب المال، وليس لأي شخص مهما بلغت مكانته أن يزاحمهم أو يكلفهم المشاق، وليس من حق رجال الدين مهما كانت وظائفهم التجرؤ على الإضرار بهم، أو التحدث معهم بخصوص العقائد المذهبية»[٣١].

ولم يكتف بذلك، بل كان حريصًا على التعاطف مع المسيحيين في كل مناسبة: «ففي عام ١٠١٨هـ أرسل إلى بلد الكرج عدداً من الخنازير ليقدمها هدية لمسيحيي جلفا في عيدهم، ثم ذهب بعد ذلك لتهنئتهم بالعيد، وشاركهم احتساء الخمر، وأمر جميع مرافقيه من رجال البلاط الصفوي باحتساء الخمر مشاركة للمسيحيين في هذه المناسبة، على الرغم من توافق ذلك العيد المسيحي مع اليوم الخامس عشر من شهر رمضان، فاضطر أفراد الحاشية إلى شرب الخمر والإفطار على محرم... وهمس في أذن السفير الأسباني الذي حضر تلك الحفلة، عندما تعود إلى روما وتقابل البابا، قل له كيف أحضرت الخمر في يوم من أيام رمضان .... وقل له أيضًا إني، وإن كنت غير مسيحي، فإني جدير بالتقدير والتمجيد»[٣٢]، وهذه الحادثة في مداليلها النفسية تشير من ناحية إلى حالة الاستلاب التي يعاني منها العقل الإسلامي في تلك الفترة، والتي ترى في التقاليد الغربية مظهرا من مظاهر التطور، حتى لو كانت تقوم على التقليد الأعمى له في شأن لا قيمة له ومحرم من الناحية الشرعية، وهي تظهر من ناحية أخرى حالة الخواء الفكري التي يعاني منها المثقف في الدولة التسلطية، والتي تفقده القدرة الحقيقية على التفكير السليم، فتصبح إرادة الحاكم، تفوق إرادة الله تعالى، وتصبح تعليماته بمثابة القانون، الذي يجب أن ينفذ.

---

[٣١] جمعة: «الشاه...» م.س، ص ١٠٦.

[٣٢] فلسفي، نصر الله: «حياة الشاه عباس الأول» جامعة طهران، ج٢، ص ٢٦٤..

وهذا من دون شك ناتج في قسم منه، من حالة الإحساس بالخطر الداهم من قبل المثقف، فهو يخاف التعبير عن رأيه في الدولة التسلطية، فكل كلام يقال قد يتحول إلى أداة لمحاكمته بتهمة الردة على النظام والمذهب، وهذه التجربة كان قد مر بها عدد من المثقفين في البلاط الصفوي، فعندما احتج المير عماد على سياسة الدولة، وجد الشاه في كلامه مبررًا لاتهامه بالتسنن، فسأل رجاله: «هل هناك رجل يقتل هذا الكلب السني المغرور، ويخلصني من شره؟! فقتل المير عماد في ليلته، وقطع جسده تقطيعًا، ولم يجروء أحد، حتى من أقرب الناس إليه، على تجميع أجزاء الجسد المبعثرة في الطريق إلا بعد عدة أيام.

هذا وكان الشاه، يعمل على إيجاد المشترك والمأتلف مع الغرب والمسيحيين، فهو يريد لإيران أن تكون جزءا من المنظومة الغربية، إذ كان يحاول أن يقرب بين شخصيات من التراث المسيحي مع تلك في الحضارات الإسلامية، ويروي (بيترو ديلا فالي Pietro Della Valle في كتاب رحلاته أن الشاه حكى له: «أن اليسوعيين يقدسون عليًا إمامنا الكبير، والأسبان يسمونه سان ياغو San Jago القديس يعقوب، لكنهم يخطئون في تلفظه، وأن المسيحيين الآخرين يسمونه (سان جورج)، والسيف الذي تعلقه طائفة السان جاك في أسبانيا على أعناق أفرادها، هو ذو الفقار للإمام علي(عليه السلام)، كما أكد حب اليسوعيين للإمام علي قائلا: بأنهم يؤمنون بفروسية علي وبطولته، وعندما وصلته سكة نقدية من إنكلترا، وكان عليها صورة للسان جورج، عرضها على حاشيته، وقال من العجب أن يسك الإفرنج صورة علي على مسكوكاتهم بهذا النحو الحسن»[٣٣].

وبالنسبة لليهود، لم يكن الشاه عباس يحبهم، بل كان ينفر منهم وينظر إليهم بعين السوء، وعمل على إدخالهم الإسلام، ولكنه ما لبث أن مال عن هذا الأمر نتيجة طبيعتهم الخسيسة، ويقول فلسفي: «كان مسلك الشاه عباس مع اليهود شبيهًا بمسلك حكام أوروبا معهم»[٣٤].

[٣٣] فلسفي، نصر الله: «حياة الشاه عباس الأول» جامعة طهران، ج٢، ص ١٥٠..

[٣٤] م.ن، ص٩٨.

ج- الحركة العمرانية والثقافية

اهتم الصفويون بالعمران، ومن آثارهم التي لا تزال قائمة في أصفهان «مسجد شاه»[٣٥]، وقصر «الأعمدة الأربعين»[٣٦]، و «مسجد الشيخ لطف الله»[٣٧]، ونقش جهان[٣٨] والجسر الكبير القائم على نهر زند رود، والبساتين الأربعة «جهار باغ».

كما اهتم الشاه عباس بإنشاء المدارس، التي انتشرت بسرعة وخاصة في قزوين وأصفهان، منها مدرسة «ملا عبد الله» كما شيدت في شيراز مدرسة يمكن أن تعد أول جامعة إسلامية.

وبما أن الشاه عباس سعى إلى الازدهار الاقتصادي، فقد عمد إلى إنشاء الربط والخانات على الطرقات، ومن أجل أن لا تضل قوافل الحجاج والزوار، فقد أمر أن يوضع معلم كل سبعة أميال، كما أمر أن تمد للأربطة والخانات المياه من الينابيع المجاورة.

وعمل الشاه عباس على تشجيع الفنون في بلاده، فازدهرت أعمال صناعة السجاد والحديد المصنع والخشب والفخار الكاشاني، ومن أجل الاستفادة من تجربة الآخر، أرسل عددًا من الإيرانيين إلى ايطاليا لاستقدام الفنانين والصناع المهرة من البندقية وميلانو.

ومن أجل تشجيع الشعر، أمر الشاه عباس ببناء مقاه متعددة في أكثر المدن الكبرى، والتي أصبحت محط الشعراء ورجال الدولة، ويعتبر البعض، أن الشاه لجأ إلى هذه الوسيلة من أجل إلهاء الناس عن الاهتمام بالشؤون السياسية والمشاكل الاجتماعية من جهة، وللترويج لسياسته من جهة أخرى، حيث أمر شعراء البلاط بنظم أبيات وقصائد يمتدحون فيها الإمام علي عليه السلام[٣٩].

---

[٣٥] في الضلع الجنوبي في ميدان «نقش جهان» بُدىء بتعميره ١٠٢١هـ، وقد زينت حيطانه الخارجية بالكاشي الملون والمعرق.

[٣٦] قصر الأربعين عموداً بدىء بتعميره سنة ١٠٢٦هـ بين جهار باغ وميدان نقش جهان.

[٣٧] يقع في الضلع الشرقي في ميدان نقش جهان.

[٣٨] ميدان واسع في أصفهان، طوله ٥٠٠ متر وعرضه ١٤٠ مترا ومساحته ٧٠٠٠٠الف متر مربع.

[٣٩] نيستاني: «رسالة ...» م.س، ص٤٠.

٢- على صعيد السياسة الخارجية

عرفت علاقات الشاه الخارجية توترًا مع الدول ذات الطبيعة المذهبية المختلفة عن المذهب السائد في إيران، فالحرب هي الفيصل بينه وبين الأوزبك والعثمانيين، بينما عرفت علاقته بالوفاق مع الدولة المغولية في الهند، وشبه تحالف مع الغرب.

أ- علاقة الشاه مع الدول الشرقية

عرفت علاقة الشاه مع الدول ذات الطابع السني توترًا دائمًا، فهي تميزت بالحروب الدائمة مع الأوزبك، فخاض ضدهم حروبا شاملة، وعمل على تحرير منطقة خرسان من نفوذهم، ودفعهم إلى ما وراء النهر، ولم تعرف علاقته مع هذا الطرف أي هوادة، وهو اضطر إلى وضع بعض القبائل الكردية كحاجز بينه وبينهم، حتى يستطيع أن يأمن من هجماتهم المتكررة، ولكي يتفرغ لمحاربة العثمانيين، الذين يشكلون الغريم الأكبر.

هذا الغريم، الذي تميزت العلاقات معه بثلاث مراحل متميزة، بدأت المرحلة الأولى منذ تولي الشاه عباس الحكم وحتى عام ١٠١١هـ، وقد اتسمت هذه المرحلة بالخضوع والاستسلام، حيث اعتلى العرش والقوات العثمانية تسيطر على آذربيجان وكثيرا من أراضي العراق العجمي، وفي هذه المرحلة اضطر للتنازل عن هذه الأراضي لهم.

أما المرحلة الثانية، فهي مرحلة الصراع المرير من أجل التحرير، وفيها انتقلت إيران من دولة مستسلمة إلى الدولة المجابهة، واستمرت هذه الفترة حتى عام ١٠٣٢هـ، وبقيت المعارك في هذه الفترة داخل الأراضي الإيرانية[٤٠].

أما المرحلة الأخيرة، فهي مرحلة الهجوم التي استمرت حتى وفاته، واستطاع من خلالها الشاه، أن ينتقل إلى الأراضي العثمانية، واستطاع الشاه خلال هذه الفترة أن يمد نفوذه إلى الأراضي المقدسة في النجف الأشرف، كما استطاع أن يسيطر على الموصل وكركوك في شمال العراق.

والملاحظ أن الصراع الذي نشب بين العثمانيين والصفويين، وإن أخذ

---

[٤٠] جمعة: «الشاه....» م.س،ص ٢٠٢.

شكل الصراع المذهبي، إلا أنه يحمل في طياته أبعادًا أخرى، فهو صراع بين قوتين أقليمتين، تمتد أصولهما إلى عناصر صوفية، كل قوة استخدمت الدين من أجل غايات خاصة بها.

أما علاقته مع الدولة المغولية، فقد عرفت بالود في أغلب فتراتها، وحاول الشاه عباس أن يستغل هذه العلاقة في حربه ضد الأوزبك، ولكن «آكبر» رفض ذلك.

ب- علاقة الشاه مع الدول الغربية

عرفت علاقة الشاه مع الدول الأوروبية ازدهارًا كبيرًا، استثمره الشاه عباس لتعزيز قدرته العسكرية من جهة، فقد استفاد من خبرة الخبراء الأوروبيين وتلك المجهودات التي بذلها الأخوان شرلي في سبيل تنظيم الجيش الصفوي، وإعادة تدريبه وتسليحه، مما وفر له القدرة على مجابهة القوات العثمانية، وإحراز العديد من الانتصارات في آذربيجان وبغداد.

واستفاد شاه عباس من الناحية التجارية، حيث راجت سوق الحرير الإيراني، فقد أدت المنافسة بين البرتغاليين والإنجليز والهولنديين والأرمن وغيرهم إلى زيادة ثمنه، كما نتج عن هذا الانفتاح التجاري إقامة العديد من المراكز التجارية في إيران، حيث أقامت كل من انجلترا وهولندا والبرتغال عدة مراكز تجارية لها في اصفهان وشيراز وبندر عباس، كما ساهم هذا التبادل التجاري على توفر البضائع الأجنبية بأسعار معقولة في إيران، وذلك نتيجة للمنافسة الجديدة بين الموردين الأوروبيين.

وتبقى كلمة لا بد منها، فعند النظر الى الدولة الصفوية لا يجب أن نرى الجانب المذهبي منها، فهو على أهميته، لم يكن السبب الواضح والأخير، إنما يجب أن ننظر الى الجانب السلطاني، حيث الصراع، كان يدور حول الحاكمية. والدين والشعوب كانت الضحية، وهذه النقطة، أعطاها صدرا قدراً كبيراً في تحليله، ورفع القناع عن وجهها، ودعا المثقف الديني، أن يعمل من أجل إجراء تغيير جذري، يعلي من شأن الدين، وهذه الصيحة الصدرائية، وجدت في الإمام الخميني (قده) صداها، عبر فكر حركي حطم صنم الطواغيت، وأمام الجمهورية الإسلامية التي تمثّل نبض الإسلام المحمدي الأصيل، الذي

يرفع راية الحق ليس للعالم الإسلامي فحسب، إنما لكل المستضعفين في العالم.

خاتمة

الف الشيرازي هذا الكتاب بعد وفاة الشاه عباس(١٠٣٨هـ/ ١٦٢٩م)، وبعد مضي عدة سنوات على عودته من منفاه المختار «قرية كوهك»، لأنه على الرغم من تجرئه على الكلام عن فضائح رجال الدين وظلم الحاكمين، لم يقدر على كتابة شيء من أفكاره الخاصة في مجال الدين والفلسفة والتصوف والعرفان إلا حين ظهرت آثار الضعف في حكم الصفويين بعد وفاة الشاه عباس والشاه صفي الذي خلفه.

فـ«صدرا» الذي عاد أيام الشاه عباس الثاني، لم ينفتح على العامة بشكل فوري، بل بقي منعزلا، يصوغ أفكاره الخاصة بعيدًا عن ضغط الشارع، وهناك مسألة هامة، لم يشر إليها أي باحث بأعماله، وهي أن هربه من أصفهان، لم يكن بسبب الرغبة بالعزلة والدراسة والاحتياج إلى التفكير والتأمل، إنما بسبب إحساسه بغضب الشاه منه، فهو خرج من أصفهان وقد أصبح شخصية معروفة في ذلك الحين، وهذا لا يعني أن الشيرازي، لم يستفد من العزلة في تعميق أفكاره الفلسفية.

وهذا الكتاب، عبر الهجوم الذي شنه على بعض رجال الدين، والذي حمل أفكارًا مبطنة في الأخلاق والسياسة، جعله يتقدم بين بعض العلماء، لكنه فتح في وجهه باب العداء من قبل مجموعة أكبر من رجال الدين، مما أدى إلى تأخير بروز صدرا في الحياة العلمية، حتى استطاعت مجموعة من العلماء العودة إليه، وحركته داخل الحوزة العلمية، فحولت كتبه من مادة مهملة إلى حركية فكرية تثبت استمرار الفلسفة الإسلامية بالحياة.

ثانيا: تحليل النص المترجم

تتميز الرسالة التي بين أيدينا على صغر حجمها بالآراء المكثفة التي بثها الملا صدرا في ثناياها، ولا تعد هذه الرسالة فلسفية بالمعنى التقليدي للفلسفة على الرغم من إبراز بعض الآراء الفلسفية، التي يتبناها، والتي شرحها في كتبه الأخرى، وإنما هي رسالة اجتماعية من الطراز الأول، عالج الكاتب من خلالها بعض المسائل ذات الأثر الكبير في حياة الإنسان، منها أثر الدين في السياسة، والإصلاح الاجتماعي ودور المتدين فيه، وتعد رسالة ذات قيمة عرفانية وصوفية.

ينطلق «صدرا» في رؤيته للإنسان من أصالة الخير فيه، فهو خليفة الله على الأرض، وهو المخلوق في أحسن تقويم، وقلبه مرآة الحق، قبل أن تعتريه الكدورة، فهو يسعى في حياته الأرضية إلى الارتقاء في معارفه، لكي يصل إلى مقام القرب من الله، لذلك: «فالإنسان _ بسبب الترقي في العلم والعمل والفناء والبقاء_ يعرج من مرتبة الحضيض إلى أعلى عليين وأشرف المقامات والدرجات للملائكة المقربين، كذلك يمكن_ بسبب اتباع النفس والهوى ووفقا لحركة الطبيعة والهيولى_ أن يتدنى من المقام الذي هو فيه إلى أدنى منازل الخسائس وأسفل السافلين، ويهوي إلى منزلة الدواب ومهوى الحشرات، فيحشر مع الشياطين والسباع والوحوش»[41]، من هنا، فعلى الإنسان أن يعمل من أجل الوصول إلى غاية وجوده على هذه الأرض، عبر معرفة طبيعته، ومعالجة سبب فساد نفسه، المتمثلة في ثلاث أصول: «وتتشعب عنها أصول مبادىء الشرور الأخرى التي هي رؤوس ثعابين الجور والشقاء، ورؤوس تنينات عذاب القبر والقيامة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ في حديث قبر المنافق»[42]، وهذه الأصول هي المادة الرئيسية لهذه الرسالة.

يبدأ «الشيرازي» رسالته مهاجمًا، الذين يدّعون العلم من رجال الدين الانتهازيين المقلدين بشكل أعمى ومن دون تدبر، موضحا أن أصل المعرفة هو معرفة الحكمة والفلسفة: «المتمثلة باستكمال النفس الإنسانية بمعرفة حقائق الموجودات على ما هي عليه، والحكم بوجودها تحقيقا بالبراهين لا

---

[41] الشيرازي: «سه أصل» م.س، المقطع ١٠٩

[42] م.ن، المقطع ١٧.

أخذًا بالظن والتقليد بقدر الوسع الإنساني، وإن شئت قلت نظم العالم نظمًا عقليًا على حسب الطاقة البشرية ليحصل التشبه بالباري»[٤٣]، وقد وصف أصحاب هذه الحكمة بالمقربين إلى الله، الذين أكرمهم الله: «برفع أعلام قدرهم ومنزلتهم، ورايات جاههم وعزتهم إلى حد ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾[٤٤]، وهم في حالة من التناقض، مع أولئك، الذين يعلمون بوجود الله والمعاد والجحيم والجنة والروح، ولا يعرفون معناها الحقيقي عن طريق الحكمة والمكاشفة.

ويبدي «الشيرازي» أسفه على عدم إدراك هذا العلم من جانب بعض العلماء، لأنهم كثيرو الشر والفساد، ويسعون دائمًا إلى إنكار مذهب الحكمة والتوحيد... الذي هو مسلك الأنبياء والأولياء عليهم السلام»[٤٥].

وعند هذا الحد، تبدي الرسالة، تجديدًا في الفكر الفلسفي، وهي اعتباره علم النفس الذي يؤدي إلى معرفة المعاد، أصل كل العلوم، ويشير صدرا إلى هذا الأمر: «وليس عند العلماء الرسميين أي خبر من هذا العلم قط، وبالتالي فهم لا يمتلكون ما يتداولونه من العلم، فلا يصل فهم بعضهم إلى بعض، فضلاً عن وصوله إلى غيرهم؛ فقد قنعوا من أكثر العقائد الإيمانية والأركان الدينية باسم ورسم، ومع ذلك فهم يجعلون الآخرين هدفًا لسهام طعنهم، ويصبون سم القهر على صدر المجروحين، ويزدادون في كل لحظة إصرارًا على الرد والإنكار والتعبير والمكابرة»[٤٦].

فمعالجة النفس الإنسانية، أصل لكل خيرية، وهي الهدف من وجود الإنسان على الأرض، لذلك على الإنسان أن يبتعد عن كل أصل من أصول فسادها، والله ترك هذا الأمر للإنسان نفسه وقال ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتينا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾[٤٧].

من هنا جاء عنوان هذه الرسالة، فالشيرازي، يعتقد بوجود ثلاث صفات

---

[٤٣] الشيرازي، محمد: «الأسفار...» م.س، ج١ص٢٠.

[٤٤] القمر ٥٥.

[٤٥] م.ن، المقطع٩.

[٤٦] م.ن، المقطع١٠.

[٤٧] السجدة ١٣.

أساسية في أنفس بعض العلماء بعثت فيهم معاندة الحكماء والقيام ضدهم. وهي:

١- الجهل بمعرفة النفس.

٢- حب الجاه، والميل إلى الشهوات واللذات.

٣- تسويلات النفس، وتدليسات الشيطان المكار.

وهذه الثلاثة: «هي مهلكات النفس، ومبادىء الشرور الأخرى»[٤٨].

أولا: الجهل بمعرفة النفس

في معرض حديثه عن الأصل الأول، يقول الشيرازي: بأن النفس هي حقيقة الإنسان، لذلك فجهل تلك الحقيقة يؤدي إلى الشقاء والضلال، والعلم بالنفس وكل ما يتصل بها من حشر الأجساد والأرواح لا يحصل إلا بالمعرفة القلبية، ومن لا يملك هذه المعرفة يكون **﴿كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾**[٤٩].

ويطرح « الشيرازي» المعرفة القلبية بدلاً من المعرفة العقلية، مع أنه يعترف بالاستدلال العقلي، ولكن طبقًا لمنهجه الخاص، لا يعتبر العقل سبيلاً للوصول إلى الحقيقة، فهو يحتاج إلى المعرفة القلبية، لأثرها في وجود النفس، ومن دون الحصول على هذه المعرفة لا يمكن معرفة الله، وجزاء عدم معرفة الله يكون نسيان كما ورد في قوله تعالى **﴿نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾**[٥٠].

فعبادة الله دون تلك المعرفة المنبثقة من الإشراق والأنس والألفة هي الجهل، والعبادة اللفظية التي لا تمنع النفس عن الهوى كما هي الحال مع معظم المدعين للإيمان من المتدينين، لا تفيد، فالإنسان يفتقد حقيقته الإنسانية بجهله بنفسه، وهو بالتالي يفتقد حقيقته الدينية، فمعرفة الله مبنية على معرفة النفس، وهذا

---

[٤٨] الشيرازي، النص المترجم، م.س، المقطع١٧.

[٤٩] الأعراف ١٧٩.

[٥٠] الحشر ١٤.

المعنى هو الذي أورده أمير المؤمنين عليه السلام: «من عرف نفسه عرف ربه»[51]، والعكس صحيح، إن مرد الكثير من حالات الشقاء، إلى الجهل بالنفس، فمن جهل نفسه فلن يستطيع أن يتخطى هذه الهوة لمعرفة الله تعالى، ومن حرم هذه النعمة، فقد انحط إلى الدرجة الحيوانية ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[52].

وفي معرض حديثه عن المعرفة القلبية، يقول إنها منطبقة كليًا على الذكر ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[53]، والمراد من ذكر الله المعرفة والعلم لا صورة الذكر وحروفه، أو مدّ الأصوات كعادة المتصوفة، فهؤلاء هم من ﴿نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾[54].

ومن خلال هذا الباب يدخل الشيرازي إلى معالجة أثر تصفية النفس على المجتمع، ومن هذا المنطلق انتقد تصرفات العلماء الداعمين لسياسة الدولة، وأثبت تخلّفهم عن الذكر، و «صدرا» يرى السياسة جزئية ناقصة، وهي تتعلق وتستكمل بالشريعة، وبالتالي على السياسي أن يتبع الديني[55]، و: «العارف الحكيم هو بالحقيقة من يعرف الحقائق الإلهية، والمعالم الربوبية على الوجه البرهاني اليقيني، الذي لا يتطرق إليه وصمة ريب وشك، وإن اختلفت عليه الأحوال، ومضت عليه النشآت، مع اتصافه بالزهد الحقيقي، وتهذيب الأخلاق، وتطهير الملكات. فله الرئاسة، سواء انتفع به أو لم ينتفع به أحد»[56]، وبالتالي عندما توجه العالم إلى باب السلطان، أثبت أن النور لم يشرق عليه، فلو: «أشرقت ذرة من نور المعرفة في قلوبهم، لما اتخذوا باب دار الظلمة وأهل الدنيا قبلتهم، ولما خسروا بالنفس والهوى نرد المحبة»[57].

---

(51) جرداق، جورج: «روائع نهج البلاغة» مركز الغدير للدراسات، قم، ط2، 1417، ص216.
وورد هذا القول في: «الاقتصاد والعدالة» للشهيد الثاني، تحقيق مهدي الرجاني، مكتبة آية الله العظمى المرعشي العامة، ص172.

(52) الأعراف 179.

(53) البقرة 152.

(54) الحشر 14.

(55) الشيرازي، محمد: «شرح الهداية الأثيرية» م.س، ص5.

(56) الشيرازي، محمد: «كسر أصنام...» م.س، ص86.

(57) الشيرازي: «الأصول...» م.س، المقطع 29.

ومن خلال المعلومات السابقة، انتبه الشيرازي إلى الزاوية الاجتماعية ومكانتها الفلسفية، ويقول إن النفس مجردة، وهذا ما تنكره طائفتا الظاهرية والحشوية. ويؤكد أيضا أن علماء الكلام، كالعلماء الطبيعيين. لم يتوصلوا إلى معرفة حقيقة الإنسان، ويقول إن الركن الأساس للمسلم هو الإيمان بالآخرة، الذي لا يوجد إلا بمعرفة النفس وكيفياتها وأحوالها، وتحصل هذه المعرفة للعالم بالعلم وللعوام بالتقليد[٥٨].

هذا وفلسف الشيرازي المصطلحات الفقهية، وطرح في معرض انتقاده لعلماء زمانه مسألة هي أن جسد الإنسان قالب كثيف مركب من الأضداد، وعرض قائم على حقيقة الإنسان، وأن الأرواح المجردة، وقبول المعاد يعني الاعتراف بإمكان إعادة المعدوم[٥٩].

والملاحظ أنَّ الشيرازي يطرح من خلال هذا الفصل «ولاية الفقيه»، حيث يصبح الولي العارف المتفاعل مع المجتمع هو الرئيس الفعلي والحاكم، من هنا يجب ان يتبع من الآخرين، ولا يجب أن يكون تابعاً لهم.

قسم الشيرازي العارفين بالحقيقة إلى ثلاثة أنواع متتالية بالأولوية:

١- أهل القرآن

٢- الفلاسفة

٣- العوام

ثانيا: حب الجاه والمال والميل إلى الشهوات

يعتبر الشيرازي، أن كل من جعل عقله منقادًا لحكومة النفس الأمارة بالسوء، يحشر يوم القيامة على مثل نيته، و «صدرا» عندما تحدث في هذه النقطة استخدم مصطلح التناسخ، ولكنه ناقض المصطلح المتداول في الفلسفات والديانات السابقة كالهندوسية والفيثاغورية، التي ترى إمكانية

---

[٥٨] الشيرازي: «الأصول...» م.س، المقطع ٣٢.

[٥٩] الشيرازي: «الأصول...» م.س، المقطع ٣٦.

انتقال الروح من بدن إلى آخر، ومال به إلى معنى جديد، يقوم على مسخ البواطن من غير أن يظهر صورته في الظاهر، فترى الصور أناسًا وفي الباطن غير تلك الصور، من ملك أو شيطان أو كلب أو خنزير أو أسد أو غير ذلك، من حيوان مناسب لما يكون الباطن عليه»[٦٠]، أنظر كيف: «يخبر الحق تعالى عن حال بلعم بن باعوراء ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾[٦١]، أن تهتم بنصيحته، يطيل اللسان، وإن تركته يُظهِرُ سوء الخلق ويلحق الأذى ويسيء[٦٢].

ثالثا: تسويلات النفس وتدليسات الشيطان المكار

يقوم الشيرازي بتطبيق هذه النقطة على علماء الظاهر، ويشرح تصرفاتهم من خلال هذا الأصل، ويستنكر تقليد العوام لهم، ويعتبر جدل أهل الكلام مبنيًا على الهوى الذي لا يهدف إلى بلوغ الحقيقة، ويجرهم إلى شتم بعضهم البعض[٦٣].

ولذلك، يطلب الشيرازي من العلماء المتهتكين والعوام المتعبدين أن يقلدوا الحكماء، ويهتموا بشؤون تعمير البلاد، لكي يخدموا الخلق ويجنبوا أنفسهم عذاب الآخرة، ويقول إن العلماء الظاهريين يخطئون إذ يظنون أن عزلتهم وكثرة تعبدهم ترفعهم إلى مرتبة العلماء، فبالنسبة إليه العارف الحقيقي ليس القابع في الزاوية، يعمل على تطهير نفسه الفردية، إنما هو المتفاعل مع مجتمعه، يعمل على أن يقيم المجتمع على صورة الذات بعد تطهرها من الآثام، فالعرفان هو حالة اجتماعية، هو جهاد الإنسان من أجل إقامة مجتمع الحقيقة المحمدية.

وبعد ذلك انتقل «صدرا» إلى إيراد الباب الرابع،وفيه يعالج، نتائج الباب الأول، وقام بتقسيم هذا الباب إلى فصول:

رابعا: نتيجة الإعراض عن معرفة النفس وعلم المعاد

عالج فيه نتيجة الإعراض عن معرفة النفس، هذا الإعراض الناتج عن

---

[٦٠] سجادي، جعفر: «قاموس المصطلحات ...» م.س، ص١٥٢.

[٦١] الأعراف ١٧٦.

[٦٢] الشيرازي: «الأصول...» م.س، المقطع٥١.

[٦٣] الشيرازي: «الأصول...» م.س، المقطع٥٢-٥٣.

قصور في النظر، وأوضح «الشيرازي» كيفية انقسام أعضاء البدن[٦٤] إلى قسمين ظاهرة وباطنة، والباطن هو العنصر الفاعل في الإنسان، فكيفية الرؤيا في يوم القيامة مرتبطة بالرؤيا الباطنية في هذه الدنيا، وكيفية النفس وأعمالها تبين كيفية حالة القبر وما بعدها. وهنا يركز على أهمية العمل في تطور حقيقة الإنسان، ويزيد من أهمية العمل إلى حد جعل الجنة والجحيم انعكاسا عينيا له.

و«الشيرازي» عمل من خلال هذه الرؤية إلى نقض رؤية دينية شاعت في زمانه، وتقوم على مبدأ الشفاعة، القاضية بأن هناك من يمحي العمل السيء، وهي إعادة صياغة شيعية لمبدأ الفصل بين الإيمان والعمل، بحيث يكفي الإقرار بولاية آل البيت للخلاص، من دون أن يترافق هذا الإيمان بعمل يثبته، وهذا الأمر يخدم فكرة سلطة الصفويين، ولكنه يبعد الدين عن بعده العملي، وهذا ما حاول أن ينقضه، فالإيمان الإسلامي، لا يمكن أن ينفك عن الممارسة الإسلامية التي تثبته، وتدفعه إلى الأمام، من خلال السعي إلى تطبيقه في كل مفاصل حياة الإنسان. فالتدين هو اقتداء بالأئمة الأطهار، هو فعل يرفض المساومة على اعتبار المصلحة الضيقة، التي تؤدي إلى نجاح تجربة محددة أو فشلها، هو فعل قد يؤدي بالإنسان إلى خسارة كل شيء في سبيل رضوان الله.

من هنا يرفض النزعة السائدة في المجتمع للشفاعة، وينتقد أرباب العلوم الحكمية الرسمية الذين غيروا من معناها، ويُمَثِّل «صدرا» على رفض المعنى المتداول، ما ورد في قصة النبي نوح عليه السلام: «الذي ظل تسعماية عام يدعو قومه إلى الهدى لإنقاذهم من المصير المحتوم الذي كان بانتظارهم، وفي تلك اللحظات وعندما كان نوح يدخل الحيوانات والطيور إلى سفينة النجاة، وقعت عينه على ابنه الذي كان في معرض الغرق في الطوفان. فسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر له إكرامًا لأبيه فجاء الرد الإلهي حاسما بالرفض، وجاء الجواب على شفاعة النبي العظيم بتعبير عميق **﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾**[٦٥] [٦٦]، فالشفاعة هي تمام الإسلام المحمدي، الذي يصعب التوصل إليه عبر العقل واستدلالاته؛ إنما

[٦٤] الشيرازي: «الأسفار...» ج١صص٢٩-٣٩ البدن جوهر اسطقسي مركب من عناصر تتنازع وتتسارع للإنفكاك بالطبع، وما يجبرها على الامتزاج والاختلاط، فهي قوة خارجة عنها وغيرها.

[٦٥] هود ٤٣.

[٦٦] شريعتي، علي: «التشيع العلوي...» م.س، ص٢٧٢.

يحتاج إلى الاقتداء بالسيرة المحمدية والكشف بالعلم اللدني بواسطة العلم.

من هنا يقول: إن الإيمان نور يضيء طريق المؤمن، وهو يقسم إلى ثلاثة مراتب:

١- نور إيمان العوام، ويشبه نور النجوم.

٢- نور إيمان الأولياء، وهو يشبه نور القمر.

٣- ونور إيمان الأنبياء، المماثل لنور الشمس.

خامسا: متابعة الشهوة واتباع الأعراض الدنيوية

يشرح فيه آراءه الفلسفية في المعاد الجسماني، ويقول: «كل صفة تغلب على أحد في الدنيا، فإنما هي بسبب الكثير من الأفعال والأعمال التي تكون لصاحب تلك الصفة، ويحشر صاحبها في يوم القيامة بالصورة التي تناسبها»[٦٧]، فالحشر يكون نتيجة أخلاق الشخص وأعماله في هذه الدنيا.

وفي هذا الفصل، يشرح بالتفصيل موضوع التناسخ، فيظهر اعتقاده: أن الباطن يمسخ ويبدل في الدنيا، وتتبدل الفطرة الأصلية، وتبعث يوم القيامة والبعث من القبر بصورة مناسبة لهذا الخلق. لأن الأجساد في الآخرة بمنزلة ظلال الأرواح. وكل روح يلزمه بدن مكتسب لا ينفك عنه أبدًا»[٦٨]، لذلك إذا نظرنا: «إن هذا النسخ للباطل كثير في هذه الأمة. إن المشاهدة تتطلّب بصرًا ليرى كم من القردة والخنازير وعبدة الطاغوت هم في لباس الزهد والصلاح والرياء والنكر، وكيف ارتدوا كلهم بسبب اتباع الشهوة والغضب والضلال ومتابعة الشيطان، عن الفطرة الأصلية، وساووا البهائم والسباع والشياطين، وفي يوم ﴿إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[٦٩] سيصورون ويجسمون بهذه الصور ويبرزون بهيئة هذه الحيوانات»[٧٠].

سادسا: في نتيجة الأصل الثالث وثمرته

تظهر نتائج تسويلات النفس الأمارة بالسوء من خلال العذاب الأبدي، والاحتراق

---

[٦٧] الشيرازي: «الأصول...» م.س، المقطع ٧٣.

[٦٨] م.ن، المقطع ٧٦.

[٦٩] الحشر ٥.

[٧٠] م.ن، المقطع ٧٧.

في جهنم، كما هي موجودة اليوم في أنفس المتكبرين، ويمكن رؤيتها بعين البصيرة واليقين، من خلال ذلك نستطيع أن نستنتج بأن العلماء الظاهريين لا يتسنى لهم إدراك الحقيقة عن طريق علم الفقه والمنطق، والطريق الوحيد لكشف الحقيقة هو تصفية الباطن بواسطة الحدس والكشف ثم السلوك والبرهان القاطع.

وهذه النقطة التي أثارها «صدرا»، تتبع نظرته المنهجية، التي تعتبر الفقه: «علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفس ومفسدات الأعمال وقسوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الأبرار، واستيلاء الخوف على القلب، كما يدلك قوله تعالى﴿**لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ**﴾، وما به الإنذار والتخويف هو هذا العلم، فالفقه بالمعنى المتداول يقسي القلب، وينزع الخشية منه كما يشاهد من المتجردين له ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا**﴾[(٧١)]، وأراد به معاني الآيات دون الفتاوى. وقال رسول الله: «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس ويتأمل ذات الله ويرى للقرآن وجوها كثيرة»[(٧٢)]، أو رفضه للمنطق فيعود إلى كون المنطق عنده ميزان: «للفكر في العلوم النظرية»[(٧٣)]، وبالتالي فهو لا يمكن أن يكون أداة للمعرفة في العلوم الموصلة إلى الله.

ونظرة «الشيرازي» للفقه، أنه يحمل في طياته أمرين، الأول يتعلق في دور الفقه في المرحلة الصفوية، حيث تحول إلى أداة في يد السلطة السياسية، يستخدمها الحاكم في الأمور المتعلقة بالضرائب والموقف من الآخر، بالإضافة إلى إصدار الفتاوى التي تساير وضعه السياسي: «يقال في هذا الصدد إن أحدهم جاء إلى فقيه من فقهاء التشيع الصفوي، وأدى رسوم الطاعة والولاء، فركع أمام الفقيه، وقبل يديه وعاد القهقرى، وما أن بلغ الباب إذا به يخرج من جيبه قارورة خمر، وقال للشيخ الفقيه: أنتم الذين تحللون الحرام وتحرمون الحلال فلماذا لا تمنّ علي بتحليل هذه القارورة الصغيرة»[(٧٤)].

كما أن نظرة «الشيرازي»، تحتوي على قدرة تحليلية للذات الإنسانية، فهي

---

(٧١) الحشر ٥.

(٧٢) الشيرازي: «تفسير القرآن» م.س، ج٢ ص٣٥٠ و «الأسفار» ج٣ ص٥١٣، كما يمكن مراجعة المصطلحات الفلسفية للشيرازي لأحمد ماجد.

(٧٣) الشيرازي: «الأسفار» م.س، ج٩ص٢٩٩.

(٧٤) شريعتي، علي: «التشيع...» م.س، ص١٥٦.

عندما تعتاد أن تقدم الحكم القيمي، وتتعود عليه، تتعاطى مع الموضوعات الدينية بشكل وظائفي، مما يفقدها الطاقة الروحية التي تحتويها، وبالتالي تصبح الأحكام وإصدارها، هي الأصل، وتغيب الذات الإنسانية عن فعاليتها التي أوجدت من أجلها، وهي الإنسان.

ويتابع «صدرا» في هذا الفصل، بالحديث عن الآخرة، ويعتبر أن المدخل إليها، المكاشفات، وليس العقل النظري، والحكمة والكلام، ومن هذه الأمور يتطرق إلى المعراج الجسماني، الذي يعترف به كحالة خاصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وموقفه في هذه النقطة محاولة لرفع الشبهات والاتهامات عنه، لكن هذا لا يدل على اعتقاده به، لأنه يورده في سياق حديثه عن الأسرار الإلهية، التي لا يمكن الحصول عليها بواسطة العلوم المعروفة، بل تحتاج إلى العلوم التي يعدها العلماء كفرا وزندقة.

وبعد هذين البابين، يواصل «الشيرازي»، تحليلاته في باب سابع من ثمانية فصول، أشبه ما تكون برسائل موجهة إلى العلماء، جاءت على الشكل التالي:

ثامنا: في بيان النصيحة والتنبيه على طريق السعادة والشقاء

يبدأ «صدرا» بتوجيه كلامه إلى رجال الدين داعيًا إياهم للتخلص من الأمراض النفسية المهلكة، التي تؤدي إلى جهنم، فيطلب منهم مراجعة هذه الخصائص في أنفسهم، والانتقال إلى مرحلة العلم الحقيقي للعلماء.

ويقوم «الشيرازي» في هذا الفصل بتحليل طريقة استخدام الدين من قبل البعض للمحافظة على دورهم الوظائفي ومنفعتهم الخاصة، فيقول: «ومثل هؤلاء أيضًا فريق ينكرون العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية، ويذمون طريق أهل الحقيقة والعرفان، كما أنهم بسبب التعارف الأصلي وبسبب التناسب والتشابه الجبلي الذي يربط النفوس المعطلة وعبدة آلهة الهوى وعباد هياكل الدنيا وأصنامها، واتباع الشياطين وأهل البدع والأهواء وخدمتهم، يثنون على طريقة الجهال وعبدة البدن. ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾[٧٥] [٧٦]، ويعالج كيف ينسب هؤلاء بعض الناس إلى الكفر لمجرد إبداء رأي مُخالف لهم.

---

[٧٥] الجاثية ٢٣.

[٧٦] الشيرازي: «رسالة الأصول...» م.س، المقطع ١٠١.

تاسعا: في وجدان سبيل الله الذي هو مسلوك السالكين ومسلك المبصرين

يبدأ الشيرازي بالحديث عن موقعية الإنسان في النظام الكوني: «اعلم آن الإنسان، وإن كان من جهة كثافة البدن من جنس البهائم والأنعام، ولكنه يمتاز عنها بأن روحه النفسانية مستعدة تقبل فيض الروح القدسية، وهو وإن كان من حيث لطافة النفس مشاركًا لملائكة السماوات، ولكنّه يمتاز عنها بقدرته على التطور، ويمكن أن يميل إلى أية صورة، ويسير في المقامات الكونية، ويتطور في الأطوار الملكية والملكوتية والمعارج النفسانية والروحانية، ويمكنه التخلق بالأخلاق الإلهية وتعلم الأسماء الربانية»[77]، فهو خليفة الله على الأرض، وهو مسجود ملائكة الأرض والسماء، وهو حامل الأمانة التي تعجز السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن من حملها، وهذا الأمر لا يكتمل إلا من خلال العلم والعمل: «والعلم الذي هو المقصد الأصلي والكمال الحقيقي، والذي يوجب قرب الحق تعالى، هو العلم الإلهي وعلم المكاشفات، لا علم المعاملات، وجميع أبواب العلوم غايتها مجرد العمل، وفائدة العمل تصفية الظاهر والباطن وتهذيبهما، وفائدة تهذيب الباطن حصول صور العلوم الحقيقية، وتستفاد هذه الدعوة من القرآن والحديث وكلمات الأولياء والعرفاء على الوجه الأتم»[78].

من هنا يعود إلى انتقاد مفهوم الفقه، كما هو متعارف عليه، ويدعو إلى تصحيحه، وجعله: «عبارة عن إفاضة المعارف من الله_، تنزع من قلوبهم، لآن وجوه قلوبهم انصرفت وانحرفت عن الجانب القدس ومنبع الفيض إلى جانب الخلق وشغل الدنيا ومعدن الجهل والإخفاق»[79].

عاشرا: خطاب إلى العالم المنكر للعلم الحقيقي والعرفان الربوبي

وفيه يبدأ بتوجيه اللوم إلى مدّعي العلم، فيسألهم عن نوعية العلم الذي دعا إليه الباري تعالى، وهذا الأمر يتمثل في مقابلة الجور والظلم، وهذا

---

(77) الشيرازي: «رسالة الأصول...» م.س، المقطع ١٠٥.

(78) الشيرازي: «رسالة الأصول..» م.س، المقطع ١١١.

(79) الشيرازي: «رسالة الأصول...» م.س، المقطع ١١٧.

العلم يكون في الاجتهاد، والمجتهد هو الذي يتحمل كل المصائب والمتاعب، ولا يستبعد للآخرين، لذلك يفضل الشيرازي المؤمن بالتقليد ألف مرة على المتكلم الذي يزن القرآن والحديث بميزان أهل الكلام، وينهي الشيرازي هذا الفصل بتوجيه رسالة إلى العلماء، فيقول: «يا عزيزي، لو كان العلم هذا الذي تعرفه والذي سميته علم الشريعة والحديث، وكان ما لا تعرفه ولا تقدر على معرفته غير صحيح، فكم ستكون قامة العلم قصيرة، وكم ستكون عرصة القلب مظلمة سوداء، وكم ستكون ساحة ميدان المعركة ومجال العلم ضيقين، وكم ستكون رجل العقل واهية عرجاء»[٨٠].

حادي عشر: في الذين يعاندون الإيمان الحقيقي وبيان هذا الإيمان

يواصل «الملا صدرا» هجومه على علماء الظاهر، ويصفهم بالزندقة والكفر، وتحليل النقطة التي يعالجها الشيرازي شديدة الأهمية، فهي تطرح إشكالية ظهرت في الحركات الإسلاموية، التي ربطت الفقه بالعقيدة بشكل جذري بعد تحويلها إلى نصية جامدة لا علاقة لها بالواقع وحركة توجه الإنسان إلى الله، فأصبحت حاكمية العقيدة هي الأصل، والمقياس الذي تقاس عليه الأمور، مما أدى إلى سرعة الرمي بالكفر والإلحاد على الآخر، وهنا تثار إشكالية لا بد من بحثها بشكل جدي في الفكر الإسلامي المعاصر، فالحركات الإسلاموية المعاصرة، اعتبرت العقيدة أصلاً تقام على أساسه حركة الفقه، وهذا الأمر يصبح أكثر إلحاحًا عندما يدرك الباحث أن فضل الرحمن أحد مؤسسي الجماعة الإسلامية في باكستان هو من أهم دارسي ملا صدرا، وقام بترجمة بعض أعمال الشيرازي.

ثاني عشر: القلب ومرآته والموانع الواقعة بينها وبين الإيمان الحقيقي

وفيه يبين الإيمان الحقيقي الذي ينعكس نوره في مرآة القلب، ويتحدث فيه عن خمس موانع تكدر صفاء المرآة، أو بمعنى آخر انعكاس نور الإيمان والولاية في القلب، وهي كما يلي:

المانع الأول: نقصان جوهر القلب الذي يسمى بالنفس الناطقة[٨١].

---

[٨٠] الشيرازي: «رسالة الأصول...» م.س، المقطع ١٢٦.

[٨١] الشيرازي: «رسالة الأصول...» م.س، المقطع ١٤٠.

المانع الثاني: كدورة المعاصي وخبث النفس[٨٢] .

المانع الثالث: عدم وقوع نور المعرفة في مرآة القلب بسبب الانحراف عن الجهة المطلوبة[٨٣]

المانع الرابع: حجاب التقليد والتعصب أو الاستبداد الديني[٨٤].

المانع الخامس: الجهل بالجهة التي فيها المطلوب والحقيقة[٨٥]، في هذه النقطة ماهية النفس الكلية، وإدراك العلوم النظرية، ويقول إن المحسوسات أقرب إلى الذهن، فإدراكها أسهل، أما العلوم النظرية فهي أبعد، لأنها تحتاج إلى مرايا كثيرة، وهذه المرايا هي أجزاء النفس التي تتوحد في النهاية، وتشكّل النفس الكلية، وعلى هذا الأساس، جميع المرايا مجتمعة هي النفس الكلية، والصور المتحدة فيها هي العقل الكلي. لكن بمعنى أنها يجب أن تكشف عن أجزائها، فهذه المرايا روحانية ويستفيد منها السالك كمعالم الطرق، حتى يصل إلى مقام: «إني ربك فاخلع نعليك»[٨٦]، هناك تتحد نفس الإنسان في إدراك المعقولات مع العقل الفعال، ويسمى العقل الفعّال بقلم الله[٨٧]، إن طي مراحل سير النفس بواسطة المرايا، هو السير إلى الله: «وبعد ذلك يكون السير في الله ومن الله إلى الله»[٨٨]. ونلاحظ كيف مزج الشيرازي طريقة سلوك الصوفية بالفلسفة والحكمة بوجه لا يمكن الفصل بينهما.

ثالث عشر: علم التوحيد وعلم الآفاق والأنفس

يشرح الشيرازي كيفية السلوك والسير من الخلق إلى الحق، ومن الحق

---

(٨٢) الشيرازي: «رسالة الأصول...» م.س، المقطع١٤١.

(٨٣) الشيرازي: «رسالة الأصول...» م.س، المقطع١٤٢.

(٨٤) الشيرازي: «رسالة الأصول...» م.س، المقطع ١٤٤.

(٨٥) الشيرازي: «رسالة الأصول..» م.س، المقطع ١٤٥.

(٨٦) الشيرازي: «رسالة الأصول...» م.س، المقطع ١٤٩.

(٨٧) الشيرازي: «رسالة الأصول...» م.س، المقطع ١٤٧.

(٨٨) الشيرازي: «رسالة الأصول...» م.س، المقطع ١٥٢.

إلى الخلق، ويسمى الأول علم التوحيد والثاني علم الآفاق والأنفس، اللذان بنظره، لا يوجدان عند أرباب العلم والفضيلة[٨٩]. فالعلم الأول، هو الذي: «إذا أراد_ الله_ بعبد خيرًا وسعادة وأراد أن يقربه إليه، أشرق على روحه نور التوحيد، ومنحه ذوق التجريد»[٩٠] .

وأما العلم الثاني في عرف الحكماء الطبيعيين، فينقسم إلى قسمين: أحدهما علم السماء والعالم، والثاني علم النفس، وكل منهما يدور حول علم التوحيد[٩١].

رابع عشر: خطاب إلى العالم المتشرع المغرور

وفيه يحذر الشيرازي من مغبة المحافظة على ظواهر الدين والعبادات الظاهرية، ومن متابعة الجحود والعناد لأهل المعنى واليقين، لأن المسؤولية والعمل بها يزداد بنسبة زيادة العلم والعقل، ويشترط على المؤمن معرفة جميع العلوم الإلهية.

ويعتقد الشيرازي بأن النفس هي أحط جواهر عالم الملكوت، والطبيعة جوهر متقلب في جميع الأجسام، ويبين أن علم النبي وأهل بيته هو علم لدني وليس تقليدًا من جبرائيل، لأن العلم نور من عند الله ينزل على القلب، ومن ثم ينتقل إلى اللسان، يأتي من الغيب إلى الشهادة[٩٢].

وينهي الشيرازي شرحه بالتأكيد على أنه لا يجدي أي طريق غير هذه الطرق الثلاث لكشف الحقيقة وبلوغها. ومع ذلك كله اتهمه علماء عصره ومن بعدهم بالحلولية والتشبيه والتجسيم، وأحيانًا بالكفر والزندقة.

خامس عشر: في معرفة العمل الصالح والعلم النافع

في هذا الفصل، يشرح الشيرازي ماهية العلم النافع والعمل الصالح، مؤيدًا ذلك ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ويوضح بأن الأعمال الظاهرية مضرة وليست نافعة، إذا لم تتوجه لله، فالاغترار بالعبادة والعجب

(٨٩) الشيرازي: «رسالة الأصول...» م.س، المقطع ١٥٥.

(٩٠) الشيرازي: «رسالة الأصول..» م.س، المقطع ١٣٢.

(٩١) الشيرازي: «رسالة الأصول...» م.س، المقطع ١٥٤.

(٩٢) الشيرازي: «رسالة الأصول...» م.س، المقطع ١٦١.

بها ، يؤدي إلى أنحرافها عن هدفهابالتوجه الى الباري خالق السماوات والأرض، فالمقياس عند المسلم هو إخلاص العبادة لله. ويدعم براهينه بوقائع تاريخية عدة منها قوله إن ابن ملجم لم يقتل عليًا عليه السلام إلا بسبب اغتراره بعبادته[٩٣]، وهذا الأمر ينطبق على قاتل الإمام الحسين عليه السلام.

إلا أن الشيرازي، بعد هجومه العنيف والمتواصل على بعض العلماء، يعطيهم فرصة أخيرة فيدعوهم إلى ترك أعمالهم المشينة، والعودة إلى الإنسانية، والتخلي عن المناصب الدنيوية.

وينهي رسالته بآية قرآنية تذكر العلماء بمعنى الإيمان والإصلاح وحقيقة المؤمن والصالح، وهي ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ* دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[٩٤]

---

[٩٣] الشيرازي: «رسالة الأصول...» م.س، المقطع ١٦٨-١٧٤.

[٩٤] يونس ٩-١٠.

الكتاب الثاني

نص رسالة الأصول الثلاثة

القسم الثاني

رسالة الأصول الثلاثة

ملاحظات حول النص

المقدمة

الباب الأول: الفصل الأول: في الأصل الأول: وهو الجهل بمعرفة النفس التي هي حقيقة الإنسان.

الباب الثاني: الفصل الثاني: في بيان الأصل الثاني.

الباب الثالث: الفصل الثالث: في بيان الأصل الثالث: وهو تسويلات النفس الأمارة.

الباب الرابع: الفصل الأول: في بيان نتيجة الإعراض عن معرفة النفس وعلم المعاد.

الباب الخامس: الفصل الثاني: في نتيجة الأصل الثاني وهي متابعة الشهوة.

الباب السادس: الفصل الثالث: في نتيجة الأصل الثالث وثمرته من رؤساء الشياطين.

الباب السابع: فصل آخر في بيان النصيحة والتنبيه على طريق السعادة والشقاء.

الباب الثامن: فصل: في وجدان سبيل الله الذي هو مسلوك السالكين ومسلك المبصرين.

ملاحظات حول النص

اعْتُمِدَ في ترجمة النص على تحقيق سيد حسين نصر الصادر عن مركز حفظ آثار ملا صدرا، وأبقي على أسماء الأبواب والفصول كما هي، مع العلم أنه كان بالإمكان إعادة تقسيم الكتاب طبقا للمخطط التالي:

المقدمة.

الباب الأول:

الفصل الأول: وهو الجهل بمعرفة النفس التي هي حقيقة الإنسان.

الفصل الثاني: حب المال والشهوة واللذة هو جامعة كل حب الدنيا.

الفصل الثالث: وهو تسويلات النفس الأمارة.

الباب الثاني:

الفصل الأول: في بيان نتيجة الإعراض عن معرفة النفس وعلم المعاد.

الفصل الثاني: وهي متابعة الشهوة واتباع الأعراض الدنيوية.

الفصل الثالث: وثمرته من رؤساء الشياطين الذين هم الأسباب والدواعي الشيطانية.

الباب الثالث:

فصل آخر : في بيان النصيحة والتنبيه على طريق السعادة والشقاء.

الفصل الثاني: في وجدان سبيل الله الذي هو مسلوك السالكين ومسلك المبصرين.

الفصل الثالث: خطاب إلى العالم المنكر للعلم الحقيقي والعرفان الربوبي.

الفصل الرابع: في الذين يعاندون الإيمان الحقيقي وبيان هذا الإيمان.

الفصل الخامس: القلب ومرآته والموانع الواقعة بينها وبين الإيمان الحقيقي.

الفصل السادس: علم التوحيد وعلم الآفاق والأنفس.

الفصل السابع: خطاب إلى العالم المتشرع المغرور.

الفصل الثامن: في معرفة العمل الصالح والعلم النافع. وهذا التقسيم، هو الذي اعتمده السيد نيستاني، ولكن هذا الأمر، كان سيجعل العودة إلى الأصل صعبة.

كما أننا أثناء التحقيق أبقينا على النصوص كما هي، حتى لو ورد فيها بعض السهو أو الحذف أو الإضافة، لكي لا نتدخل في النص، فنحن لا نعرف الخلفيات التي دعت الملا للقيام بهذا الأمر، فهل قام بها عن طريق السهو أو القصد. ولكننا أوردنا النصوص الأصلية في الهامش، وأثبتناها لكي يقارن الباحث والقارىء بينها.

وقمنا بالنسبة للأبيات الشعرية بالبحث عن مصادرها، فأثبتنا ما استطعنا الوصول إليه، وما لم نستطع بلوغه، فوضعناه تحت عنوان شاعر غير معروف، فهذه الأبيات قد تكون من صياغة الملا نفسه، أو لشعراء غير معروفين لدينا.

هذا واستخدمنا في النص [ ] وهي تعني إن الموارد بينها، ليس من أصل النص.

نُظِّمت بعض الأبيات من قبل **الشاعر عبد هاشم**، وأبقي على بعضها الآخر بترجمته العربية الحرفية، وهذا الأمر لم يكن عشوائياً، إنّما أريد منه القيام باختبار، نتلمس من خلاله إمكانية اعتماد الصياغات الشعرية، ولذلك، أبقينا على النص الحرفي في هامش النص.

باسمه تعالى

المقدمة

[صلاة وسلام]

[الحمد]

١- الحمد بلا انتهاء، والثناء الخارج عن حد العد والإحصاء، للرب الذي صفّى قلوب الأطهار من الغل، وجعلها مصحفا لآياته البينات ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[١]،﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ﴾[٢]. ونقش أسرار اليقين والتوحيد بقلم التقديس والتمجيد، على اللوح المحفوظ لقلب المقربين الحقيقي ونورهم النطقي[٣]، الذي ينتج عنه الكتاب المسطور والرق المنشور ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾[٤].

روح الأطهار كتاب مسطور

ورق منشور وبيت معمور[٥]

٢- وأوصل (تعالى) إلى مسامع صوامع الملكوت ومجامع جوامع الجبروت،

---

[١] سورة العنكبوت: الآية ٤٩.

[٢] سورة العنكبوت: الآية ٤٧.

[٣] النور الساطع الصادر عن العقل الذي يعكس أسرار اليقين.

[٤] سورة المجادلة: الآية ٢٢.

[٥] البيت لشاعر غير معروف وأصله في الفارسية:

جان پاكان كتاب مسطور است   رق منشور وبيت معمور است

صوت علو شأن الكتاب الناطق بصنوف إنعام الأبرار. وكرم مقربي الملأ الأعلى برفع أعلام قدرهم ومنزلتهم، ورايات جاههم وعزتهم إلى حد مقعد الصدق[٦]، وقال عز من قائل: **﴿إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ❁ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ❁ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ❁ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾**[٧].

حين يصفو لوح القلب من شك وريب

يستعد لاستقبال نقوش الحي من الغيب[٨]

٣- وفعل (تعالى) بذلك الكتاب الكريم المكنون، والسر المكتوم الناصع، كما فعل بالسماء[٩] فصانه من الشياطين الأشرار، وحفظه من اقتراب حواس الأرجاس الإبليسيي الطباع: **﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ❁ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ❁ لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾**[١٠].

رب أعظم بما شرعت من سنن

فجعلت ما دون العلى لمعاند سدّا

فأقمت للشيطان حدا زاجرًا

ومنعت أن يتجاوز الحدّا

بنيت في وجه يأجوجيي الطباع

بقطر الجهالة دون السما سدّا حائلا

وجعلت لذوي قلوب الحديد طريقا

---

[٦] إشارة إلى الآية ٥٥ من سورة القمر.

[٧] سورة المطففين: الآيات ١٨-٢١.

[٨] البيت لشاعر غير معروف وأصله في الفارسية:

لوح دل چون صاف گشت از شك وريب   مى فتد در وى زحق ارقام غيب

[٩] إشارة إلى قوله تعالى﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ سورة الصافات: الآية ٦، و ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ سورة الملك: الآية ٥.

[١٠] سورة الواقعة: الآيات ٧٧- ٧٩.

إلى الأرض وضيقت عليهم سبل السماء[11]

٤- وجعل (تعالى) كتاب القاسية قلوبهم _ الفجار، ذوي الأعمال السيئة، وأصحاب الأفعال الردئية، الأشرار المفسدين_ ملأى بفنون الكذب والبهتان، ومشتملة على أصناف المغالطة والكذب والهذيان، وهو كتاب جدير بالإشعال، وحري بالإحراق. فألقاه في نار الجحيم، وجعل هاوية جهنم الحامية معمورة وملتهبة به **﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ❖ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ❖ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾**[12].

يسعى ليكتسبَ العلوم تواصلاً

بفواجر الإحساس من سجِّيل

بالنَّار لوحُ الحسِّ أحرق ما حوى

فما إلى الإحساس كلّ سبيل

من مثل هذا اللوح أفهل يُرتجى

علمٌ وَهَلْ من قابل التبديل؟[13]

[الصلاة]

٥- والصلاة التي لا غاية لعددها، على سيد الكائنات وصفوة الممكنات[14]، الذي بعث نفوس مقبرة الطبيعة، وأرواح مضطجعي القوالب

---

[11] الأبيات لشاعر غير معروف وأصلها في الفارسية:

خــداونــدا عــجب رسمی نمادی   كه ديوان را بــه بــالا ره نــدادی

كشــيدی بــهر ابــلــيسان يكي سدّ   كــه كس ننهد بــرون گامي از آن حد

بــريــن يــأجــوج طبعان بــد آئين   كشــيدی از جــهــالت ســدّ رونــين

بــرين دلهــای هــمجون آهن وسنث   بشــد راه زمــيــن وآسمــان تــنــگ

[12] سورة المطففين: الآيات ٧- ١٠.

[13] اصل البيتين بالفارسية:

دائــم از ســجّــيــن كــنــد كسب عــلــوم   از حــواس خــود كــه فجّــارند وشوم

لــوح حــس ســوزد در آتش همچو خس   از چــيــنــي لــوحــی چو خــواهــد علم كس

[14] الممكنات: الموجودات بالقوة.

البشرية، فتحركت من أمكنتها، بإمداد لوامع الإشراقات الصبحية لشمس نبوته.

والصلاة عليه، لما قام به كتاب رسالته من تنبيه وتخليص للنفوس الضالة في مراتع المعصية، ولما بيّض من ظلمة ليالي الورطات الثلاث: البهيمية، والسبعية، والشيطانية. فقامت من الموت الجمادي، والنوم النباتي، والوسن الحيواني، والرؤية الشيطانية الزائفة، وتوصلت إلى مقام اليقظة الإنسانية؛ لذلك أصغوا بأُذن الذكاء إلى نداء ﴿**يا أيها الناس**﴾[15]، وصدقوا ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾[16]، فسلكوا صراط الحق، وطووا بقدمي العلم والعمل سبيل الله، فاستعدوا لقيام الساعة، وظهور نشأة القيامة ويوم جمعة الآخرة[17]. وطار كل واحد من خواص أمته العالية المناقب إلى عالم القدس بمقدار ما توفر عليه من نور العلم والعرفان، وقوة التقوى والإيمان؛ وحظوا من عيش الآخرة والنعيم المقيم؛ وشربوا كأس التوحيد من أشعة جمال الآحدية وجلال الصمدية.

شمس الوجود التي أحيت أشعَّتُها

دنيا الخلائق لم تأت من العدم

يا غارقاً ناحلاً والذل يقتله

والجسمَ ألهبه قلب من الحمم

هيا بروحك للقرآن يسعفها

أو لا بعقلك للآيات فاحتكم

فسنة المصطفى باب النجاة بها

---

[15] سورة البقرة: الآية ٢١.

[16] سورة الجمعة: الآية ٩.

[17] يشبّه الكاتب قيام الساعة بالجمعة، بسبب الاجتماع العام في ذلك اليوم، وكما في النص، تتكوّن مقدّمات الحضور فيه، في اجتماع صلاة الجمعة.

فاسع إلى كسبها بالكف والقدم[18]

❖❖❖❖

نبي عاش من ماءٍ وطينِ

ربيبُ الأرضِ مبعوثٌ بدين

إلى السبع العلى بعظيم شأنِ

تسرَّى ليلاً فأفضى لليقين

وبالمعراج أفلاك تهاوت

به بالحق والهدي المبين

بنور الله أحيا كلَّ خلق

وأغنى الكون حيناً بعد حين[19]

[سلام]

٦- والسلام والصلوات التي لا نهاية لأمدها، والثناء والتحيات الوافرة على آله الطاهرين، الذين هم أئمة صراط اليقين والعرفان، ونجوم سماء

---

[18] الشعر لشاعر غير معروف، وأصل الأبيات في الفارسية:

تا شب نيست، روز هستى زاد — آفتابى چنان نتدارد ياد

اى فرومانده زار وخوار وخجل — در جحيم تن وجهنَم دل

از در تن بمنظر جان آى — بتماشاى باغ قرآن آى

مصطفى(ص) از كناره برزخ — درى آوبختته أست در دوزخ

سنَتش آن دار است هين برخيز — در رداى محمَدى آويز

[19] الأبيات لشاعر غير معروف وأصلها في الفارسية:

نبوّت را زآب وگل عيان كرد — زمين را سوى علّيين روان كر

زمين برورده اى از خاك زادة — بدوش هفت كردون يا نهاده

زماء وطين به علّيين علم زد — همه افلاك را زير قدم زد

هزاران نور رحمت بر دل او — فروغ آسمانها بر گل او

التوحيد والإيمان، ومشاعل منازل الجنان والرضوان؛ لأن نفوسهم وأرواحهم النقية معصومة ومطهرة، ومرآة طينتهم خالصة بعيدة عن رجس الجهالة، منورة بنور التقديس ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[٢٠] من لوث المعصية.

[مدخل الكتاب]

٧- وبعد، يقول خادم الفقراء، والمعتكف بباب العزلة والانزواء محمد بن إبراهيم بن يحيى المشهور بالصدر الشيرازي_ هداه الله طريق التوفيق وسقاه رحيق التحقيق[٢١]_:

فلست أستطيع طي الدرب منفرداً

أعلنت رأيي بهذا دائماً أبداً

إني جعلت كمثل الببغاء إذا

ما قال: ربي قل! كنت المردد والصدى[٢٢]

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[٢٣]

مذاهب شتى للمحبين في الهوى

ولي مذهب فرد أعيش به وحدي[٢٤]

---

[٢٠] سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

[٢١] وردت هذه العبارة باللغة العربية.

[٢٢] الشعر لشاعر غير معروف، وأصلها في الفارسية:

نبوت را زآب وگل عيان كرد	زمين را سوى علّيين روان كرد
زمين برووه اى از خاك زاده	بدوش هفت كردون يا نهاه
زماء وطين به عليين علم زد	همه افلاك را زير قدم زد
هزاران نور رحمت بر دل او	فروع آسمانها بر كل أو

[٢٣] سورة يوسف: الآية ١٠٨.

[٢٤] الصدر لأبي نواس والعجز من صياغة الكاتب.

إنـي عشقـت ومـا في الـعـشـق من بـأس[٢٥]

مـا أطـيـب الـعـيـش لـولا شنعة الـنـاس

مـا لـي ولـلـنـاس كـم يـؤذونـني سفهاً

ديني لـنـفـسي وديـن الـنـاس لـلـنـاس[٢٦]

[إشكالية الكتاب]

٨- إن أشباه العلماء الكثيري الشر والفساد، والمتكلمين خارج منطق الصواب والحساب، وبعيدًا عن دائرة السداد والرشاد، والمتشرِّعين البعيدين عن شرع العبودية والانقياد، المنحرفين عن مسلك الاعتقاد بالمبدإ والمعاد، قد ربطوا في أعناقهم رسن التقليد، وجعلوا شعارهم إبعاد الدراويش، وهم يسعون دائما إلى ذم الحكمة وعلم التوحيد، وعلم سبيل الحق والتجريد، الذي هو مسلك الأنبياء والأولياء عليهم السلام، مع أنه قد ذكر بالحسنى، ووصف بالخير والفضيلة، في مواضع عدة من الكتاب الكريم والحديث الشريف، كما في قوله تعالى **﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾**[٢٧]، ومثل: **﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾**[٢٨] **﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**[٢٩].

٩- وقد سمَّى الحق جلَّ وعلا هذا العلم نورًا في كتابه الكريم، كما في قوله تعالى: **﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾**[٣٠]، وقال أيضاً: **﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾**[٣١].

---

[٢٥] الصدر لأبي نواس والعجز من صياغة الكاتب.

[٢٦] هذا البيت من قصيدة لأبي نواس، ولكن الكاتب أجرى عليه تعديلا:

ما لي وَللناسِ كَم يَلحَونَني سَفَهاً — ديني لِنَفسي وَدينُ الناسِ لِلناسِ

[٢٧] سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

[٢٨] سورة المائدة: الآية ٥٤.

[٢٩] سورة البقرة: الآية ١٠٥، مع العلم بأن الآية الرابعة من سورة الجمعة ورد فيها **﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**.

[٣٠] سورة المائدة: الآية ١٥.

[٣١] سورة التحريم: الآية ٨.

وليس المراد من هذا العلم؛ ما يسمَّى بالفلسفة مما يعلمه الفلاسفة ويتعلمونه، بل المقصود منه الإيمان بالله تعالى، وملائكته المقربين، وكتبه، وأنبيائه والإيمان باليوم الآخر، كما ورد «في القرآن الكريم: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ **بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾[٣٢]. ويقول في موضع آخر: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مبيناً**﴾[٣٣].

١٠- ويندرج في الإيمان بالمعاد علم النفس، الذي هو مفتاح العلوم جميعها، وليس عند علماء الرسم والرسوم خبرٌ عن هذا العلم قط، ولم يصلوا إليه ولم يصل إليهم، فكيف يعلمونه غيرهم؟! وقد اكتفوا من أكثر العقائد الإيمانيَّة والأركان الدينيَّة بالاسم والرسم، ولكنَّك مع ذلك تراهم يجعلون غيرهم هدفًا لسهام طعنهم، وتراهم يصبُّون سمَّ القهر على صدور المجروحين، ويزدادون في كل لحظة إصراراً على الرّدّ والإنكار والوم والتجريح.

١١- لذلك، أيُّها العالم العزيز، والمتكلِّم المعجب بنفسه، إلى متى وإلى أي مدى، تطبع خال الوحشة على وجه الإلفة؟ وإلى متى تظل تعكر صفاء رؤية الوفاء بحثوك تراب الاغتشاش تكلفاً؟ وحتّام تبقى في مقام الرد والتعيير والجفاء لأهل الصفاء وأصحاب الوفاء؟ وإلى متى ترتدي لباس التلبيس والرياء؟ وتقضي بالحيلة والدهاء؟ وتشرب كأس الغرور من يد الشيطان المغرور؟ وتسعى إلى إبطال الحق وترويج الباطل، وتقبيح العالم وتحسين الجاهل؟ وإلى متى ستظل تشد حزام العداوة، وتسلك طريق العناد والعداء مع من يريد أن يبتعد عن جادة الهوى بضع خطوات، أو من يريد أن يسعى، ولو بعض السعي في تلافي تضييع العمر هباءً: «يأسًا عن تمام التلافي»[٣٤]، أو يريد أن يخطو خطوتين أو ثلاثًا يسيرها بسيرة العلماء المتّقين، ويشتمل شعار سالكي طريق اليقين: «**رجاء لرحمة الله من بركاتهم يوم التلاقي**»؟[٣٥]

١٢- بلى، إنَّك استجابة منك لدواعي النفس التي دأبت على الضلال،

---

[٣٢] سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

[٣٣] سورة النساء: الآية ١٣٦، مع الإشارة إلى أن الآية على الشكل التالي: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بعيداً**﴾.

[٣٤] وردت هذه العبارة باللغة العربية.

[٣٥] وردت هذه العبارة باللغة العربية.

وانسجاما منك مع وساوس الوهم الذي ديدنه التطلع إلى المحال، تحسب أنَّ طريقة اتباع الهوى لا تقبل النقض والبطلان، وأنَّ أحكام إباحة اللذات، وتحسين المتع الحيوانية، والسوم في مراتع الدنيا، تأبى عن النسخ والإبطال. وتعتقد بأنَّ مذاهب التشبيه والتعطيل والتجسيم ثابتة غير قابلة للنقض.

يا أيُّها الغارق في ذلك الفكر المسارع فيه

إنَّك بذلك تزيل الفرق بينك وبين الدواب[٣٦]

١٣- ولو أنَّ من يتحلى بهذه الهمَّة والعزيمة، يبذل جهده في معرفة الحق. واقفا سمعه على الصدق، مخلصًا في الأعمال الشرعيَّة، مصغيًا إلى علوم الحقيقة، لكان ذلك أولى به من الاشتغال بمثل هذه المكاسب الدنيوية. كما قال الحق تعالى **﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إلاَ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾**[٣٧]. وقال كذلك: **﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدِيهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾**[٣٨]. ولكنَّ عمارة الدنيا التي هي معبر لحياة الآخرة ودار البقاء، تحتاج إلى التنوع والاختلاف في الوظائف والمهام، من هنا كان من الضروري أن تتألَّف هذه الحياة من مختلف الأصناف من ثقيلي الأرواح وغليظي الطباع، فحفظ النظام لا يتمُّ دون عبدة الظاهر، وذوي الصفات الشيطانيَّة، والنفوس الخاسئة العاتية، والقلوب الخبيثة المكَّارة، والطبائع الظلمانيَّة الكدرة **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾**[٣٩].

هام الخنازير لا تزدان في تاج

إنَّ البهائم لا تسعى لمعراج[٤٠]

---

[٣٦] الشعر لشاعر غير معروف، وأصل الأبيات في الفارسية:

تو در آن فكرى هميشه با شتاب　　كه نباشد فرق با تو از دواب

[٣٧] سورة هود: الآية ١١٨- ١١٩.

[٣٨] سورة السجدة: الآية ١٣، ولكن الآية وردت على الشكل التالي﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾.

[٣٩] سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

[٤٠] البيت لشاعر غير معروف، وأصله في الفارسيّة:

دد ودام را ره بمعراج نيست　　سرخوك شايسته تاج نيست

١٤- ويقول بعض علماء الدين في هذا الباب:

«ولا يتمشى الأمور الخسيسة التي يحتاج إليها بقاء النفوس الشريفة الفاضلة، إلا بوجود أهل القوّة والظلمة، والبعداء عن عالم الرحمة والمحبّة والنور، ووجود النفوس الشرِّيرة الجاحدة للأنوار[٤١] العقليَّة التي كفرت بأنعم الله: ولو لم يكن الكنَّاس والحجَّام وما يشبههما[٤٢] من أهل القوّة في الممالك. لاضطر الحكيم إلى مباشرة الكنس والحجامة وغير ذلك، فاختلّ النظام ووقع الناس في المهالك. بعدم القائمين بعمارة البدن. وحصب النيران، وانسدّ طريق المعرفة وطلب اليقين على أهل الدين، وانحسم باب خدمة رب العالمين»[٤٣].

إنَّ الممالك في عوز لكنَّاس

لولاه لا عيش للناس كالناس[٤٤]

[سبب الرسالة]

١٥- والآن تهيَّأ أيُّها العالم المعجب بنفسه، فقد أتى إذن الخطاب، وارتفع خاتم السقوط عن درج الفم وحلقة جواهر النفس: وانحلت عقدة الصمت من باب خزانة الأسرار الخفيَّة، وانقضى زمان **﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إلاَ بِاللهِ﴾**[٤٥]، ووردت بشارة **﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾**[٤٦] وآذنت بشارة: **﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾**[٤٧]، وقرع سمعَ الروح أمرُ: **﴿ادْعُ**[٤٨] **إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾**[٤٩].

---

[٤١] ورد في بعض النسخ الخطية الأنوار.

[٤٢] في بعض النسخ الخطية، وردت العبارة باللغة العربية، وورد عبارة الحجامة وما يشبهها.

[٤٣] لم يورد الكاتب مصدر هذا الشاهد.

[٤٤] الشعر للعارف محمود شبستري، وأصل في الفارسية:

أگر كناس نبود در ممالك فتادى مردمان اندر مهالك

[٤٥] سورة النحل: الآية ١٢٧.

[٤٦] سورة الحجر: الآية ٩٥.

[٤٧] سورة المائدة: الآية ٦٧.

[٤٨] ورد في بعض النسخ الخطية، وادع.

[٤٩] سورة النحل: الآية ١٢٥.

وإذا فـؤادَك للـصـديـق وهـبْـتَـه

فاسـتـبـدل الأذنـيـن منـك بأربـع[50]

١٦- ثم اعلم أيُها العدوُّ المتظاهر بالحب لسبيل الله. وأيُها المنكر للسالكين والأصحاب الأصفياء، أنَّ أعظم الأسباب التي تحملك، وغيرَك من آهل المكر والرياء وعلماء الدنيا، على ذمِّ الحكمة وإنكار الحكماء الحقيقيِّين والصوفيين، هو عداوة إخوان الصفاء والتجريد وأصحاب الوفاء والتفريد. فإنَّكم تصرون على بذر بذور الخصومة للسالكين على جادة اليقين، وعلماء التوحيد البعيدين عن الجزاف. وها أنتم تزرعون في أرض القلب شجرة العداوة للأوفياء، وتغرسونها في الأرض الموات: ﴿**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ**﴾[51]، وتتعهدونها بسقيها بماء هوى النفس المكَّارة ﴿**كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً**﴾[52]، ولا تجنون بعد التعب والشقاء، من تلك الشجرة الخبيثة التي هي: ﴿**كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ**﴾[53]، لا تجنون إلا ثمرة: ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾[54]. وتُعدُّون من هذه النميمة وغيرها من الخبائث التي هي بمثابة أكل لحم الميتة، كما يصفه الله تعالى بقوله: ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً**﴾[55]، تُعِدُّون من هذه الخبائث طعام الخاطئين وأهل جهنم وعملة نار الجحيم؛ التي هي مصداق قوله تعالى: ﴿**شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ**﴾[56]، وتُغلون مادة العداوة والغضب القديم في قدر الصدور الحاقدة ﴿**كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ**﴾[57]؛ لتملأوا من طعامكم الذي تصنعون بطون المنافقين بالحقد والكبر والتعالي: ﴿**فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ**﴾[58].

---

[50] أصل الشعر في الفارسية:

اكنون دل وسمع يار گردان آن گوش كه دوست چار گردان

[51] سورة الصافات: الآية ٦٤.

[52] سورة النور: الآية ٣٩.

[53] سورة ابراهيم: الآية ٢٦.

[54] سورة الصافات: الآية ٦٥.

[55] سورة الحجرات: الآية ١٢.

[56] سورة الدخان: الآيتان ٤٣- ٤٤.

[57] سورة الدخان: الآيتان ٤٥-٤٦.

[58] سورة الصافات: الآية ٦٦.

وثمّة ثلاثة أصولٍ هي في الحقيقة، عند أرباب البصيرة، رؤوس الشياطين المهلكة للنفوس. وهي الأصول ومنها تتشعب مبادىء الشرور الأخرى التي هي رؤوس ثعابين الجور والشقاء، ورؤوس تِنّينات عذاب القبر والقيامة التي أخبر عنها رسول الله(ص) في حديث قبر المنافق: «**يُسلَّط عليه تسعةٌ وتسعون تنّينا، وهل تدرون ما التنّين؟ تسعُ حيّاتٍ، لكلّ حيّة تسعة رؤوس، ينهشونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون**»[٥٩].

١٧- أيُّها المستبد برأيه، المعجب بنفسه، أقسم بالله، إنَّ لله عبادًا يشاهدون رؤوس تلك الحيّات في باطنك الآن، ويرونك معذبًا بها في القبر، وأنت غافل عن ذلك، «وسوف تقول غدًا»: ﴿**قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا**﴾[٦٠].

الجسم منك في غفلة وسرور

وباطن الروح منك والعقل يستصرخان[٦١]

١٨- امكث حتّى يرتفعَ حجاب الدنيا الموهوم من أمام ناظريك، واصبر حتّى يحينَ أوان: ﴿**فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾[٦٢]، وتأنَّ حتّى تنكشف بواطن الأسرار، فتُعاين صُوَرَ تلك الحيّات، التي هي اليوم أصحابك وقرناؤك. وعندئذ يظهر صوتك بالصراخ: ﴿**فَبِئْسَ الْقَرِينُ**﴾[٦٣]، وتسعى إلى الفرار من نفسك مناديًا: ﴿**يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ**﴾[٦٤].

١٩- هيهات هيهات، كيف تفرُّ من نفسك التي تصحبك أينما ولّيت؟ وأيُّ شقاءٍ أشد من الخوف من النفس، والهرب من الطبع والعادة. يا مسودَّ الوجه كم فيك من الفضائح التي يحتاج شرحها إلى سنوات.

وللنفوس رؤوس لا عداد لها

---

[٥٩] السيوطي، جلال الدين: «الدر المنثور» دار المعرفة، طبعة فتح، جدة، ج٤ ص٣١١.

[٦٠] سورة الأنبياء: الآية ٩٧، مع العلم أن الآية﴿ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾.

[٦١] الشعر لشاعر غير معروف، وأصله في الفارسية:

از برون سو تنت ز غفلت شاد   از درون عقل وجانت را فرياد

[٦٢] سورة ق: الآية ٢٢، ورد في بعض النسخ الخطية "كشفنا".

[٦٣] سورة الزخرف: الآية ٣٨.

[٦٤] سورة الزخرف: الآية ٣٨.

تحـوي الفضاء إلى دون الثرى أمـدًا

لاقـت أفــاعي في ذات ومــا وجدت

لهـمِّهــا سـبـبـاً، مـاتـت بـه كمدًا[٦٥]

٢٠- لقد حان وقتُ انقضاءِ ليلِ الدنيا الكئيب، وآن أن تشرق شمس يوم القيامة، وتدفأ الحيَّات النائمة في حفرة البدن، فتستيقظ وتتحرَّك وتضع رؤوسها في أرواح المؤذين وأتباع الهوى.

مـن يَـسْـعَ في كَسْرِ القلوب فإنَّما

زَرَعَ الـنـفـوسَ عقـاريـاً وأفـاعيـاً

وإذا أَذَى بـعـضَ الـورى بـلسانـه

فـلـنـفـسه كـان مـؤاذيـا

ولـئـن حَـرَقْتَ الناسَ قَصْدَ غِواية

فتذكَّر الحـسـرَ الـعـظـيـمَ الآتيا[٦٦]

وبعد المقدمة ندلف إلى بيان تلك الأصول الثلاثة، ونذكر كلاً منها في فصل.

---

[٦٥] البيت الأول لشاعر غير معروف، أما البيت الثاني فهو لمولوي، إذا أخذ بعين الاعتبار الصيغة التي وردت أدناه، ولكن هناك صيغة ثانية وردت في بعض النسخ ازدرها او كى مرده است:

نفـس را نهصد سراست و هر سـرى   از فـراز چـرخ تـا تـحت الـثـرى

نـفس اژر در هـاست اوكـى خفته است   از غـم بـي آلـتى افسـرده اسـت

[٦٦] الشعر لشاعر غير معروف، وأصل الأبيات في الفارسية:

هركه را امروز كردى دلفـكار   مار وگزدوم ميدهى در دل قـرار

از زبان چون مردم آزارى كنـى   مار در سوراخ پروارى كنـى

از درون كـزوى بسـوزى مـردمان   خـود بسـوزى روز حشـر از، دود آن

الباب الأول

الجهل بمعرفة النفس

التي هي حقيقة الإنسان

الباب الأول

الفصل الأول

في بيان الأصل الأول

وهو الجهل بمعرفة النفس التي هي حقيقة الانسان (*)

٢١- تمثِّل المعرفة القلبية أساس الإيمان بالآخرة ومعرفة الحشر والنشر للأرواح والأجساد، وأكثر الناس غافلون عن ذلك جاهلون بهذه الحقيقة، وهذا الجهل هو أعظم أسباب الشقاء وسوء العاقبة الذي ينتظر أكثرَ أهل الدنيا. فالجاهل بنفسه جاهل بربّه، إذ: «من عرف نفسه عرف ربه»[١]، ومن لا يعرف الله فهو والدواب والأنعام سواء، ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ﴾[٢]، ويحشر هؤلاء في اليوم الآخر عمي القلوب ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾[٣]. وقال الله تعالى في شأنهم ﴿نَسُوا الله فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾[٤]، وهذا بمثابة عكس النقيض: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»؛ لأنه مادام نسيان الرب يسبِّب نسيان النفس، فتذكُّر النفس يوجب تذكُّر الرب، وتذكر الرب موجب لتذكر النفس ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٥]، وذكر الرب للنفس هو عين وجودها؛ لأن علم الحق بالأشياء علمٌ حضوري.

---

* هذا العنوان غير موجود في النص الفارسي.

[١] ورد هذا القول في: رسالة «الاقتصاد والعدالة» للشهيد الثاني، تحقيق مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي العامة، ص١٧٢ كما ورد في: جرداق، جورج: «روائع نهج البلاغة»، مركز الغدير للدراسات، قم، ط٢، ١٤١٧، ص٢١٦..

[٢] سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

[٣] سورة البقرة: الآية ١٨.

[٤] سورة الحشر: الآية ١٤.

[٥] سورة البقرة: الآية ١٥٢.

٢٢- إذاً، فمن لا معرفة له بالنفس لا وجود لنفسه؛ لأن وجود النفس هو عين النور والحضور والشعور. فاتضح من هذه المقدمات، أنَّ من لا يعرف نفسه لا يعرف ربه، ولا نصيب له من حياة النشأة الأخرى ﴿**اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[٦].وهذا هو قول العطار[٧]:

حسبك الله هذا الوعظ في العالمين

أن لا تمرَّ لحظة عليك دون الله

اذكر الحق حتَّى ترى أنك

تغرق في الضلال إن أنت نسيته[٨]

٢٣- يا من لا يشعر بالمعاناة، ليأتينَّ يومٌ يدعو الله عباده فيه، ويرفع حجاب الغفلة عنهم، وكلُّ عبد لا يشتغل اليوم بذكره، ولا يشغف به، ولا يأنس بذكره، ولا ينال معرفته، لن يحظى في ذلك اليوم بلطفه: «من كره لقاء الله كره الله لقاءه»[٩]، ويقول لسان حاله:

يا عذب الشفتين أنت عليّ سم نقيع

يا راحة الآخرين أنت عليَّ عذاب

تخفضني حين تستحوذ عليّ

أنت شمس العالم ولا تشع عليّ[١٠]

٢٤- لأنه ينالُ من إشراق نور الأحدية، قَدْرَ ما ينال الخفّاش من نور

---

[٦] سورة الأنفال: الآية ٤٥ وسورة الجمعة: الآية ١٠.

[٧] الشيخ فريد الدين العطار، أديب وشاعر ومتصوف ت ٦٢٧ هـ.

[٨] الشعر للعارف فريد الدين العطار، والأصل الفارسي هو:

ترا اين پند بس در هرد دو عالم — كه برنايد زجانت بي خدا دم

ز حق بايد كه چندان يادآري — كه گم كردى گراز يادشر گذاري

[٩] النراقي، محمد مهدي: «جامع السعادات» تحقيق محمد كلانترى، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ج٣ص٣٤.

[١٠] الشعر لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو :

أى نوس لبان چو زهر نابى بر من — وى راحت ديگران عذابى بر من

پستم سازي چودست يابى بر من — خورشيد جهانى ونتابى بر من

الشمس عنم شروقها، وكما يرى الخفاش طلوع الشمس سببًا لعماه، كذلك يقول [الجاهل]: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾[11]. أما علمت أنَّ النور الذي يرون به الأشياء يوم القيامة نور آخر، هو نور معرفة الله؟! ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ .[12]

وطريق الحس بوجهك إن سُدَّت
تركتك تعاني الوحدة والجهلا
فالوهم وحسك تغترُّ به
لا ينجيك ولا يصحبك إلى الأبد
فلذاك تخيَّر صحباً للسفر [13]

٢٥- وإن كثيرًا من المنتسبين إلى أهل العلم والمعرفة غافلون عن أحوال النفس ودرجاتها ومقاماتها يوم القيامة. ولا يؤمنون بالمعاد حق الإيمان، وإن كانوا يقرون به باللسان ويظهرون الإيمان بالنشأة الباقية لفظاً، لكنّهم يسعون في خدمة البدن، ويستجيبون لدواعي شهوة النفس ويسيرون في طريق الهوى والأماني، ويتّبعون المزاج ويحرصون على تنمية الجسد، ويتتلمذون لجالينوس الطبيعة، ولا يخطون خطوة خارج أنفسهم، وينفقون نَقْدَ عمرهم العزيز في طاعة قوى النفس الأمارة بالسوء، ويشيخون وهم يقولون لأنفسهم:

كان قلبي يريد حرية الكونين
وأنا قد شخت في عبادة النفس والهوى[14] .

---

[11] سورة طه: الآية ١٢٥.

[12] سورة طه: الآية ١٢٦، الآية على الشكل التالي ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾.

[13] الأبيات لشاعر غير معروف وأصلها في الفارسية:

چنان مكن كه اگر راه حس فرو بندند ... تو خويش راهمه يكباره كور وكر يابى
وهم وحس وآنچت كه قوى ميگردند ... گامي دو سه با تو آشنا مى كردند
مغرور مشو باين رفيقان ... يك يك در راه از تو وامى گردند

[14] الشعر لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

آزادى هر دوكون مى خواست دلم ... در بندگى نفس وهوا پير شدم

٢٦- وهذه سيرة أكثر العاملين[١٥] بلا علم، والنسّاك بلا معنى، فهم يحسبون أن الآخرة تمامًا كالدنيا فإنك تراهم ينظرون إلى الاخرة بعيين الطمع بـ: ﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِي الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾[١٦]، ويؤدون أعمالاً بدنية وعبادات بلا معنى*. ولأنّهم في الحقيقة غافلون عن ذكر الله، فهم يعبدون النفس والهوى. وهم يدَّعون معرفة المبدإ والمعاد، ولكنهم يهتمون بخسيس المآرب والحسي من المطالب، عاجلة كانت أم آجلة ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ❁ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾[١٧]، ولم يتعلّموا شيئًا قط من العلوم الإلهية التي هي معرفة الله والملائكة المقربين ومعرفة الوحي والرسالة والنبوة والولاية وسر المعاد، ولأجل ذلك كلّه فقد أعرضوا عنها جميعًا، ولم يؤدّوا عملاً آخر غير عبادة الصورة:

لقــد أغــرم قــلبه بــعالم الصــورة حتى

لو أنه وصل إلى عــالم المعنى وجــده صــورا[١٨]

٢٧- أنظر كم أكثر الرب القديم في كلامه الكريم من الأمر بذكره، مثل: ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ﴾[١٩] و﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم﴾[٢٠]، ﴿اذْكُرْ رَبَّكَ﴾[٢١] ونظائرها، والمقصود من ذكر الله هو المعرفة والعلم. لا مجرد الكلام والصورة، وذكر اللسان ومد الصوت، كما هي عادة متصوِّفة هذا الزمان والنفوس المعطلة من ذكر خالق الإنس والجان، وهؤلاء في الحقيقة ممن نسي الحق لا ممن يذكره، ومن أولئك الجماعة الذين أوجب الله على خاصّته ترك صحبتهم؛ حيث قال ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ❁ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾[٢٢].

---

(١٥) تركنا العبارة كما وردت في نص الرسالة لنظهر عمق المعاناة التي كان يعاني منها الملا، والتي دفعته إلى التعبير بهذا الشكل الحاد.

(١٦) سورة الزخرف: الآية ٧١، أصل الآية ﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾.

(١٧) سورة القيامة: الآية ٢٠-٢١، ورد في بعض النسخ «ويزرون الآخرة».

(١٨) أصل البيت بالفارسية، وهي لشاعر غير معروف :

جــنان بعــالم صــورت دلــش برآشفــته است   كــه گر بــعالم مــعنى رسد صور يابد

(١٩) سورة البقرة: الاية ١٩٨.

(٢٠) سورة البقرة: الاية ١٥٢.

(٢١) سورة آل عمران: الاية ٤١ و الأعراف: ٢٠٥، والكهف: ٢٤..

(٢٢) سورة النجم: الآية ٢٩-٣٠.

* لا يقصد صدرا في هذا الأمر، إن العبادة بلا معنى، ولكنّه يشير الى أن العبادة التي لا يتوجه فيها العابد إلى الله بإخلاص هي بلا معنى حقيقي؛ لأنها تهدف الى هدف شخصي، ولعله هنا يشير إلى قول أمير المؤمنين: إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار».

إن جلســت مــعه ولــم يرتــح قــلبك إليه

ولم يفارقك حديث المـاء والـطين فيـك

فـــإيـــاك لا تَــدُرْ حـــول صــحـبتـه

والا لــم تــحل أرواح الأعــزاء في نـفســك[٢٣]

٢٨- مثل هؤلاء الغافلين عن ذكر الله، من ذوي القلوب، ولو كانوا كذلك، لأشرقت ذرة من نور المعرفة في قلوبهم، ولو أضاءت قلوبهم بنور المعرفة لما اتخذوا من أبواب بيوت الظَّلَمة وأهل الدنيا قبلة لهم، ولما خسروا نرد المحبة باتباعهم النفس الأمّارة بالسوء والهوى.[٢٤]

لا تــطـــع النفــس الأمــارة بالشـــهـــوة

التـــي لهـــا في كـل ســاعـــة قبـــلة

إلا أن تـــصبــــح صـــابـرًا على التنـــعم

وألا ترغمك الضرورة أن تذهب إلى أبواب الــناس

وإن كنت معجبا بنفسك فاجعل البطن غايتك

واتـــخــــذ بـــاب هـــذا وذاك قبـلـتــــك[٢٥]

٢٩- وهكذا حال أولئك الذين يعدون أنفسهم من العلماء الذين صرفوا وجوههم عن جانب القدس وطلب اليقين، وتوجهوا إلى محراب أبواب السلاطين وتركوا الإخلاص والتوكُّل، وطلبوا الرزق من غيره تعالى: «لمًا تركوا الإخلاص والتوكل ألجأهم الله إلى أبواب السلاطين، وحوَّل وجوههم عن طلب الحق واليقين إلى خدمة الهوى وطاعة المجرمين وصحبة الفاسقين»[٢٦].

---

[٢٣] البيت الأول لمولوي والثاني لشاعر غير معروف، وأصلها في الفارسية :

بـا هر كـه نشسـتى ونلـت جمع نشد وز تـو نـرميد صـحبـت آب وگـلت
زنـهـار بـگـرد صحبتش هيچ مگرد ورنـه نـكـنـد جـان عـزيـزان بحلت
وكـر خـود بسندي شـكم طـبله كـن در خـانـه ايـــن وآن قـــبـتـه كن

[٢٤] تشبيه فقد المحبة بالخسارة في لعبة النرد.

[٢٥] البيت الأول لشاعر غير معروف، والثاني والثالث لسعدي وأصلها في الفارسية :

مـكن طـاعت نـفـس شـهوت بـرست كـه هـر سـاعـتش قبلة ديـگراست
مـگـــر كـــز تنـعـم شكيـبـا شـوى وگـرنـــة ضـرورت بـدرهـا شـوى
وگـر خـــود پسـنـدى شكـم طبله كن در خــانـــهء ايـــن وآن قـبلـه كـن

[٢٦] وردت هذه العبارة باللغة العربية، ومن بعض النسخ وردت عبارة السلاطين بدل المجرمين وصحبة الفاسقين.

٣٠- وكيف يسمي نفسه عالماً، من لا يعرف دثور الدنيا وزوالها وفناءها وارتحالها، ثمَّ يخلد إلى الأرض، ويوجِّه بوصلة قلبه إلى الزراعة والعمارة، ويتشبَّه بأهل الدنيا الغافلين عن عاقبة الهوى، اللاهين عن المأوى، ويشاركهم في عمارة دار الباطل وتشييد بنيانها.

دع العمارة للدار الآخرة

فالدنيا ليس لها أساس محكم[٢٧]

٣١- وكيف يكون حي القلب وبصيراً من يُدْمن صحبة موتى القلوب وكدري الطباع في الدنيا، والذي يطفيء سراج عقله بأنفاس العوام الباردة وزفراتهم الخائبة، فهل تُنال الآخرة على ضوء هذا السراج المطفإ بلا نور.

متى كان الميت أستاذاً مرشداً ومعلماً

ومتى اهتدى بضوء الرماد من اختاره مصباحاً لطريقه؟![٢٨]

٣٢- بلى إن من يحظى بالحياة الحقيقية، ويشرق على قلبه نور الملكوت، يشعُّ من قلبه نور العلم واليقين، ويستوحش من صحبة الناس، وينفر منهم كنفور الناس من صحبة الأموات. فهؤلاء [الجهلة] لم يصلوا إلى تمام الحياة، ولذلك يجالسون الموتى ويصطحبونهم طوعًا. أنظر كيف رسم جبار العالم رقم ﴿**أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ**﴾[٢٩] على صفحة الحال والمال من موتى القلوب، ووسم بسمة ﴿**يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ**﴾[٣٠] جبين النائمين في مضجع الغفلة والجهالة.

كل قلب ليس حي بالعشق في هذه الدار

فبفتواي، صلوا عليه قبل الموت[٣١]

---

[٢٧] أصل البيت باللغة الفارسية:

عمارت با سراى ديگر انداز — كه دنيا را اساسى نيست محكم

[٢٨] الشعر للعارف محمود شبستري وأصله في الفارسية:

كسى از مرده علم آموخت هرگز — ز خاكستر چراغ افروخت هرگز .

[٢٩] سورة النحل: الآية ٢١.

[٣٠] سورة الممتحنة: الآية ١٣.

[٣١] الشعر لشاعر غير معروف وأصله في الفارسية:

هر آن دلى كه درين خانه زنده نيست بعشق — برو نمرده بفتواى من نماز كنيد

٣٣- قال سقراط الحكيم: «قلوب المغرقين في الحقائق منابر الملائكة، وبطون المتلذذين بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة»[٣٢]

طبــائع الــــفلك الـــدوار

ميـتــات آكــلات للــحيــاة[٣٣]

٣٤- واعلم حقاً، واسمع صدقاً، أنَّ هذه الجماعة تُعَدُّ عند أهل البصيرة وعلماء الآخرة، منكرةً لتجرُّد النفس ونشأة الأرواح، وأنهم من الظاهرية[٣٤] والحشوية[٣٥]. ويضعف في هذه الجماعة أكثر المتكلمين وكافَّة الأطباء والطبيعيين وإخوان جالينوس الذين لم يصلوا في الحقيقة إلى مقام الإنسانية ومرتبتها بعد، وليسوا من زمرة أهل المعرفة والبصيرة، فهؤلاء لم يشرق نور الإيمان بالآخرة، الذي هو ركن عظيم في الإسلام، في قلوبهم، وهم في الحقيقة في عداد الكفرة، وإن كان حكم الإسلام يجري عليهم في الظاهر؛ وذلك لأنّ أساس الاعتقاد بالآخرة مبني على معرفة النفس، حيث يجب على كل إنسان تحصيل العلم أو الاعتقاد بها. فإنْ كان من أهل الرأي والاجتهاد، فعن طريق البصيرة. وإنْ كان من ضعفاء العقول، كالعوام والصبيان، فعن طريق الانقياد والتقليد.

٣٥- ولكلٍّ نوعٍ من الأنواع نجاة خاصَّة به، فإن كان من أهل الرأي والاجتهاد، وكان يعتقد خلاف ذلك، واستنكف عن التعليم، فهو يعاند الحق وسوف يجازى بالعذاب الأبدي، وينال جزاء أهل الكفر **﴿يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾**[٣٦]. وكاف التشبيه تشير إلى أن هؤلاء مسلمون في الظاهر، ولكنهم في الحقيقة مماثلون للكفار؛ لأنَّ من لا يعرف ما هو الإنسان ومن أين هو؟ لا يعرف إلى أين مرجعه. ومن لا يعترف بأنَّ حقيقية الإنسان هي غير هذا القالب الكثيف المركب من الأضداد، أو جزء منه، أو عرض قائم عليه، ويعتقد باستحالة إعادة المعدوم، فلا بدَّ من أن

[٣٢] هذه العبارة وردت؛ باللغة العربية، وهي للشهرستاني، وردت في كتاب الملل والنحل، ج٢ص٨٧ مع بعض الاختلاف، حيث ورد: «قلوب المغرقين في المعرفة بالحقائق منابر الملائكة وبطون المتلذذين بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة».

[٣٣] البيت لشاعر غير معروف وأصله:

آخشيــجــان گنبد دوّار مـــردگاننــد زندگانـــي خوار

[٣٤] الظاهرية: هي مذهب فكري يعتمد ظاهر النص، ويعتبر ابن حزم و الشوكاني والألباني ومسلماً والبخاري الأصفهاني من أبرز رواد هذه المدرسة.

[٣٥] الحشوية: هي مذهب إسلامي، قال بالتجسيم.

[٣٦] سورة الممتحنة: الاية ١٣.

ينكر المعاد حتماً، ويتعجب من بعث الإنسان الذي يرمى في القبر ويتحلل جسده، ويصبح طعاما للحشرات والحيات، ومن نهوضه من القبر في نشأة القيامة ويوم الرجعة والبعث، فيقول متعجباً ومنكراً ومستبعداً في وقوع المعاد: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٣٧]، و﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٣٨] ولسان حاله ومقاله يترنّم بهذه النغمة: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[٣٩]، وعلى حد قول أحد شعراء العرب على سبيل الاستهزاء:

حـياةٌ ثُمَّ مـوتٌ ثُـمَّ بـعْثٌ
حَـديثُ خُـرافَةٍ يـا أُمَّ عَمْـرِو[٤٠]

٣٦- «وعندنا أن هؤلاء المنكرين لتجرد الأرواح، المحبوسين في مجالس الأشباح، الذين انحصر عندهم الموجود في المحسوس، ولم يرتق نظرهم عن هذه الوهدة السوداء، والمقبرة الظلماء، إلى عالم النور والضياء والملأ الأعلى، هم أخس درجة وأدنى منزلة من أن يستحقوا للخطاب كسائر الدواب، ويستأهلوا لتقرير الجواب عما يبدونه من مكنون الضمير عند السؤال، سبحان الله!»[٤١].

٣٧- ولو أنَّ الإنسان يفنى بموت الجسد ويبطل ويضمحل بفساد المزاج، لما قال رسول الله عند ارتحاله إلى ربه: «الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والعيش الأصفى»[٤٢]، مع أنَّه خُيِّرَ بين سفر الآخرة والبقاء في الدنيا، ولهذا قال: «القبر

[٣٧] سورة الإسراء: الآيتان ٤٩ و ٩٨.

[٣٨] سورة المؤمنون: الآية ٨٢ والصافات: الآية ١٦ والواقعة: الآية ٤٧.

[٣٩] سورة المؤمنون: الآية ٣٤.

[٤٠] ديك الجن الحمصي « ديوان ديك الجن، الحمصي: تحقيق أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري، دار الثقافة، بيروت.

[٤١] وردت هذه العبارة باللغة العربية في الأصل.

[٤٢] السيد مرتضى العسكري، أحاديث أم المؤمنين عائشة، ج ٢، ص ٢٠٠:

فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة وتشدَّد لنا فقال: مرحبا بكم حياكم الله بالسلام، رحمكم الله، حفظكم الله، جبركم الله، رزقكم الله، رفعكم الله، نفعكم الله، أدلكم الله، وقاكم الله! أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم، أستخلفه عليكم وأحذركم الله، إني لكم منه نذير مبين ألا تعلوا على الله في عباده وبلاده، فإنَّه قال لي ولكم: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. وقال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ قلنا: يا رسول الله متى أجلك؟ قال: دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى جنة المأوى وإلى سدرة المنتهى وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والحظ والعيش الهني».

روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران»[٤٣]. ولو كان الإنسان يفنى بموت الجسد، لما بقي من فرق عنده بين الروضة والحفرة؟ ولا أدري ماذا ستفهم من قول الرسولﷺ: «القبر أول منزل من منازل الآخرة»[٤٤]، إنَّ هذا الحديث نفسه بعيد عن حد إدراكك ولم يأن أوان شرحه بعد.

٢٨- ومن الدلائل السمعيَّة على بقاء النفس أيضاً، أنَّ فاطمة حين قال لها رسول الله ﷺ عند رحيله: «أنتِ أسرع أهل بيتي لحاقاً بي»[٤٥] فَرِحَتْ. ولو لم يكن بقاء النفس معلوماً، لما أسعدها هذا الخبر؟ ومن الأدلة أيضاً قول المرتضى ؓ عند تلقيه ضربة ابن ملجم: «فزت ورب الكعبة»[٤٦]؟ ولولا بقاء النفس لما رضي أصحاب الحسين عليه السلام في كربلاء بالضرب والعطش والقتل والمصيبة، بسبب امتناعهم عن بيعة يزيد. ولولا اليقين ببقاء النفس لما رضي أحد منهم بذلك. إنَّ أدلة هذا الأمر أكثر من أن تحصى، ومع ذلك فمعرفة حقيقة النفس وماهيتها بنور الكشف واليقين ليست إلا من نصيب العارفين، ولذا لم يفشوا سر الروح: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلاَ قَلِيلاً﴾[٤٧] .

لا تبحثوا عن ماهية العلم

لا تتحدثوا عن الحرباء

لأنها تظهر كل لحظة بلون

إنها تميل كل آن إلى حقيقة[٤٨]

---

[٤٣] قطب الدين الراوندي، الخراج والجراح، ج١، ص ١٧٢ ؛ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص ٢٠٥ والترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٥٥ .

[٤٤] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص ١٥٩: «القبر أول منزل من منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعده أيسر ومن لم ينج فما بعده شر له»

[٤٥] مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ١٠٥ : ورد في تاريخ البلاذري أنَّ النبي قال لفاطمة : أنت أسرع أهلي لحاقا بي، فوجمت، فقال لها: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة ؟ فتبسمت . الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: أسرَّ النبي إلى فاطمة شيئاً . فضحكت، فسألتها فقالت: قال لي: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء أمتي .، وورد في صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام رقم ٣٣٥٣: «إنَّك أول أهل بيتي لحاقا بي فبكت، فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين فضحكت لذلك».

[٤٦] المقداد السيوري، نضد القواعد الفقهية، ص ٧٢ :

وأنّه قال حين ضربه ابن ملجم عليه اللعنة: فزت ورب الكعبة .

[٤٧] سورة الإسراء: الآية ٨٥.

[٤٨] الشعر لشاعر غير معروف، والأصل في الفارسية هو:

ماهيّت علم را مجوئيد از بوقلمون سخن مگوئيد

هر لحظه بصورتي برآيد هردم بحقيقتى گرايد

٣٩- وإياك أن تتّهم النبيﷺ، بالجهل بحقيقة الروح، واحذر من هذا الاعتقاد: لأنه عرف حقيقة النشأة الأخرى، ووصل إلى مقام ﴿أَوْ أَدْنَى﴾[٤٩] وسمع الخطاب بلا واسطة، لكن غلبة غشاوة الطبع، و ظلمة الحاكمة على الناس دعته إلى التزام الصمت، خشية وقوع الناس في الضلال لو كُشفت لهم ماهية الروح. والحكماء من الفلاسفة، على الرغم من أن لهم حظاً كبيراً من عرفة هذه الحقيقة، إلا أنّ نسبة علمهم إلى علم علماء الآخرة، وأهل القرآن، كنسبة علم العوام إلى علم المتكلمين:

اكـتـشـف الـنـفس المـسماة بالـنـاطـقـة

حتّى يتبيَّن لك معنى الكنز المخفي في الخراب

تـقـول: عـقلنـا وقـلبـنا وروحـنـا

قـل لـي مـن قال هـذا ال «نحن» وال «أنا» ؟

الإنـسان حقـيـقـة تنتـسب الإحسان

الـعـمـل الـصـالـح نـجم يشرق من جهته

هـو لـب وجـودك وأنـت الـقـشر

بـلا عبـور مـن القـشر كيف تـرى اللباب[٥٠]

٤٠- وإنّ من لا يخطى بمعرفة النفس، سوف تحبط كل أعماله:

مـن لـم يـكن للوصال أهلاً

فـكـل إحسـانـه ذنـوب[٥١]

---

[٤٩] سورة النجم: الآية ٩.

[٥٠] الأبيات الثلاث الأولى لشاعر غير معروف، أما البيت الرابع، فهو لأوحدي مراغي وأصلها في الفارسية:

آن نفـس را كـه نـاطقة خـوانند بازياب	تـا روشـنت شـود كنجـ در خراب
كونـي كـه عـقل ما و دل ما و جان ما	اين ما ومـن كه كفت بمن بازده جـواب
نيكي ستاره ايسـت كـزو ميـكند طلوع	انسـان حقيقتى كه بدو دارد انتسـاب
أو لبّ هستى تو وآنكـه تـو قشـر آن	زين قشر ناكذشته كجـا بينى آن لـباب

[٥١] أبو بكر الشبلي.

٤١- وإن الإيمان الحقيقي، الذي هو منشأ القرب من الحق وولايته. يحصل لمن قد عبر من ظلمات أَوْدِية القوى الجسمانية، ووصل إلى مقام نور الروح: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾[٥٢]، وذلك المقام أخبر عنه قوله تعالى: ﴿**فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾[٥٣]، وقبل هذه المرتبة تكون كل حسنة في حكم السيئة: «وكل إناء يرشح بما فيه»[٥٤]. وعليه فإن العمل الذي يصدر عن الجسم، ظلماني مثله، وغير ثابت، ومثل الجسم يتعرّض للتغيير والزوال وللاضمحلال، وأما بعد المعرفة، فكل عمل يصدر عن الروح، نوراني وباق مثله ولا يزال.

إن كل شراب هو[٥٥] لا يعطيه ليس بنافع

وكل دعوة هو لا يدعو إليها ليست بمستجابة

عهده وفاءٌ صافٍ وقوله كلام صائب

فعله كمال خالص ووضعه حياة مجردة[٥٦] [٥٧]

٤٢- وقد ورد في أخبار داود: «يا داود، اسمع مني، ولا أقول إلا حقاً. ألا أن أوليائي يكفيهم من العمل ما يكفي الطعام من الملح»[٥٨] وهذه إشارة إلى المقام الذي قال عنه الرسول لعلي: «يا علي، أخلص في العمل يَجْزِك القليل»[٥٩]، في توراة موسى عليه السلام: «وما أُرِيدَ به وجهي فقليله كثير، وما أُرِيدَ

---

[٥٢] سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

[٥٣] سورة الفرقان: الآية ٧٠.

[٥٤] الزبيدي، تاج العروس، ج ٢، ص ١٤٤.

[٥٥] الله

[٥٦] حياة مجردة: كلها حياة بلا مادة.

[٥٧] الشعر لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

هر شربتي كه أو ندهد نيست سودمند هر دعوتى كه أو نكند نيست مستجاب

عهدش وفاى صافى وقولش صواب حرف فعلش كمال خاص ووضعش حياة ناب

[٥٨] لم يرد هذا الحديث على الشكل الذي ورد في الكتاب، وأقرب حديث هو الذي جاء في بحار الأنوار ج٦، ص٤، رواية ٤، باب ١٩، حيث جاء فيها: عن المفيد عن الحسين بن محمد التمار عن محمد بن القاسم الأنباري، عن أبيه عن الحسين بن سليمان الزاهد، قال سمعت أبا جعفر الطائي الواعظ، يقول سمعت وهب بن منبه، يقول قرأت في زبور داود أسطرا منها ما حفظت ومنها ما نسيت، فما حفظت قوله: يا داود اسمع مني ما أقول والحق أقول من أتاني وهو مستحي من المعاصي التي عصاني بها غفرتها له ونسيتها .

[٥٩] لم يرد هذا الحديث في كتب الحديث.

به غيرُ وجهي فكثيره قليل»[٦٠].

٤٣- ومن لا يعرف من نفسه إلا الجسد، لن يصل إلى ما هو أبعد منه، ولن يسعى إلى غير السعادة الجسمية، وما لم تشرق شمس الروح من مغرب الجسد، لا يتنوّر وجه الإنسانية بنور الروح، وعندها كل ما يصدر عن الإنسان يكون ناقصاً وقاتماً وكدراً، ومعرضاً للزوال والفساد. ولكن عندما يتنوّر القلب بنور الروح، يتبدّل كل شيء إلى خير وإحسان، حتى أرض الجسم تتبدّل هي أيضاً بأرض نورانية تليق بدخول الجنة، بل تتحول إلى جزء من أرض الجنة، **﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾**[٦١] **﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾**[٦٢]. فكل ما في البيت يشبه صاحب البيت، وهذا هو مصداق قول الشاعر:

وإذا الـحبيبُ أتـى بـذنبٍ واحدٍ

جـاءت محـاسـنـه بألفِ شفيع[٦٣]

في وجهِـه شـافِعٌ يَمْحو إساءَتَه

مـن الـقـلوب ويـأتي بالمعاذير[٦٤]

٤٤- ويظنُّ أكثر العلماء وجمهور الفلاسفة بأن جوهر الإنسان واحدٌ عند الجميع، دون أي تفاوت، وهذا لا يصح عند أصحاب البصيرة. فَرُبَّ إنسان يحيى بالنفس الحيوانية، ولم يبلغ بعد إلى مقام القلب؛ لأن مقام الروح وما فوقها، من أسفل سافلين حتى أعلى عليين، هي من درجات أفراد البشر ومقاماتهم **﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾**[٦٥]، وتكون هذه الدرجات للبعض بالقوة

---

[٦٠] ورد في بحار الأنوار ج١٣، رواية١٣، باب١١، ص٣٣٥: «يا موسى ما أريد به وجهي فكثير قليله، وما أريد به غيري فقليل كثيره»، وورد في أصول الكافي - الشيخ الكليني ج ٨، ص ٤٦ : «يا موسى الموت يأتيك لا محالة فتزود زاد من هو على ما يتزود وارد على اليقين . يا موسى ما أريد به وجهي فكثير قليله وما أريد به غيري فقليل كثيره».

[٦١] سورة الزمر: الآية ٦٩.

[٦٢] سورة إبراهيم: الآية ٤٨.

[٦٣] ابن نباتة المصري: ديوان ابن نباتة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٦٤] هذا البيت لتميم الفاطمي، ولكن الشيرازي عدل فيه، وأصل البيت:

في وجـهه شـافـعٌ يَمْـحو إساءَتَه   من القـلوب وجيـهٌ أينـما شـفعا.

راجع: عارف تامر «تميم الفاطمي شاعر الحب والجمال»، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٩٨٣.

[٦٥] سورة الأنفال: الآية ٤.

وللبعض الآخر بالفعل، وفي البعض مطوية وفي البعضِ الآخر منشورة. يكون مقام شخص هو: ﴿ **الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ**﴾[٦٦] و ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**﴾[٦٧]، وهذه آخر مقامات الإنسانية؛ ولذلك قال النبي: «من رآني فقد رأى الحق»[٦٨]. ويكون مقام شخص آخر أسفل من الحيوانات ﴿**أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**﴾[٦٩] ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم**﴾[٧٠]. ولما كانت معرفة النفس وشرح مقاماتها عظيمة للغاية، لم يُخَصّ بها إلا الكاملين.

---

[٦٦] سورة الفتح: الآية ١٠.

[٦٧] سورة النساء: الآية ٨٠.

[٦٨] ورد هذا الحديث في العديد من كتب الحديث منها: بحار الأنوار ج٦١، رواية ١، باب ٤٥، ص ٢٣٥و صحيح البخاري ج٨، ص٧٢، وفتح الباري لابن حجر ج١٢، ص٣٤٤.

[٦٩] سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

[٧٠] سورة الأعراف: الاية ٩.

الباب الثاني

من الأصول الثلاثة المذكورة

[الباب الثاني]

الفصل الثاني

في بيان الأصل الثاني

من الأصول الثلاثة المذكورة

٤٥- وهو حب المال والجاه والميل إلى الشهوات واللذات وسائر مُتَع النفس الحيوانيَّة، التي يجمعها حب الدنيا، على حد قوله سبحانه وتعالى: **﴿زُيِّنَ للنَّاس حُبُّ الشَّهَوَات منَ النِّسَاء وَالْبَنينَ وَالْقَنَاطير الْمُقَنْطَرَة منَ الذَّهَب وَالْفضَّة وَالْخَيْل الْمُسَوَّمَة وَالأَنْعَام وَالْحَرْث ذَلكَ مَتَاعُ الْحَيَاة الدُّنْيَا وَاللهُ عنْدَهُ حُسْنُ الْمَآب﴾**[1].

٤٦- وإنَّ كلَّ نفس تعتاد ذاتها اليوم على هذه المتع الحيوانية والملذات الجسمانية، وطيبات الدنيا؛ - التي هي خبائث بالقياس الى الآخرة الآخرة، وتودي بصاحبها إلى أن يتخلّق بالصفات البهيمية والسبعية - ما يجعله يُحْشَر يوم القيامة عند بروز النشأة الآخرة مع البهائم والحشرات. فكل من جعل عَقْلَهُ منقاداً لسلطة النفس الأمارة بالسوء، ومن يشد وثاق العبودية على روحه ويسخرها في خدمة القوى البدنية، ويجعل الملك خادما لشيطان الهوى، ويسدّ جنود إبليس الكثير التلبيس على سليمان العقلي الملكي الفطرة، فلا جرم، ينكسه مالك جهنم في سجن الجحيم، وسيصبح مقيدا ومحبوسا بأغلالٍ وسلاسل عديدة، ومعذبا بأنواع العذاب المختلفة في جهنم، ومحروما يائسا من النعيم الأبدي.

---

[1] سورة آل عمران: الاية ١٤.

حوَّلْتَ جسمك في سرٍّ وفي عَلَنِ[2]

سجناً يقيدُ روحاً دَاخِلَ البدنِ

غرَّبت رُوحَكَ في أسمى خصائصها

سلبتها حُلَّةً في خلقها الحسن

أليس فيك حياءٌ بَعْدُ أو خَجْل

يريح نَفْسَكَ من مستنقع أسِنِ؟

جمشيد جوعانُ هل يرْضى بذا أحد؟

والأرضُ عفريتُها في تخمةِ البطنِ؟[3]

٤٧- ومن غمس مرآة القلب القابلة لعكس أنوار المعرفة الإلهية، وشعاع نور التوحيد، في صدأ الشهوات ومرادات النفس، وكدورة المعاصي وغشاوة الطبيعة، ونثر على مرآة الضمير غبار الجهالة والشقاء، وأغرق كأس الروح الصقيل في ظلمات البدن وحمأة الدنيا، فمن أين يرى وجه الفلاح والنجاح؟ وكيف يقبل الصلاح؟ ويصبح قابلا ليصقل كلمات حكمة الآيات الجاذبة للفؤاد؟.

تجلو صدا المرآة لكنَّما

لا تُصْنَعُ المرآة من حَجَرِ[4]

٤٨- وربما توقظ الحكمة والنصيحة والموعظة، القلب الغافل، ولكنَّهما

---

[2] الروح.

[3] الشعر لشاعر غير معروف وأصل الأبيات بالفارسية:

شرم نايد مر ترا شة زاده ملك بقا در سراى تن اسير بند وزندان داشتن

روح را از حله حسن كردى عرى كى روا باشد بعالم شاه عريان داشتن

روح از درون بفاقه وتن از برون بعيش ديو لعين بهيضه وجمشيد نا شتا

[4] الشعر لشاعر مجهول وأصل البيت بالفارسية:

توان پاك كردن ز زنك آئينة وليكن نيايد زسنگ آئينة

لا تجدي مع القلب الميت: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[5] و﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[6].

مــن العـلـم تخـلـو الـروحُ في شهواتها

وتــمسي خـــروفا للـــنوايــا يُـــسَمَّن

ويـــجـهل مـــا يدور حَوْلَ مصيـــره

لســوءٍ بــه كـــان الـطَّعام يـــؤَمَّنُ[7]

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾[8]

إذا ســـدُّوا طـــريـــق الـــحـــسَّ فـــاحـــذر

ولا تســـلـك دروب الـــعـــمـــي والـصُـــمِّ[9]

«من غلـبت شهوته عقله فهو أدنى مـــن البـهـائـم»[10]

في الـــحـــكـــمـــة عِـــلـــمُ الإنســـان

والشـــهـــوة طـــبـــع الـــحـــيـــوانِ

فـــاحـــرص، لا تـــشـــمـــل بـالـغضب

---

[5] سورة المطففين: الآية ١٤.

[6] سورة المنافقون: الآية ٣.

[7] صدر البيت لشاعر غير معروف والعجز لمولوي، والبيت الثاني لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

جـان شـــهوت دوســـت از دانش تهيست   همچـــو حـــيوان از علف در فربهيست

او نـــه بنيـــد جـــزكـــه اصـطبـل دواب   غـــافـــل از انـــديشـــهء يـــوم الحساب

الترجمة: روح المحب للشهوة خالية من العلم، كالحيوان المسمن بالعلف، غافلا عن يوم الحساب.

[8] سورة الكهف: الآية ٥٧.

[9] الشعر لشاعر غير معروف، الأصل الفارسي هو:

چنـــان مكن كه اگـــر راه حس فرو بندند   تـــو خـــويشتن را يكـباره كـور و كر يابى

[10] هذه العبارة وردت في اللغة العربية، وهي تشير إلى حديث الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: « إن الله خلق الملائكة، وركب فيهم العقل، وخلق البهائم، وركب فيها الشهوة، وخلق بني آدم، وركب فيهم العقل والشهوة، فمن غلب عقله على شهوته فهو أعلى من الملائكة، ومن غلب شهوته على عقله فهو أدنى من البهائم».

تــــنــــجُ مِـــــنْ كَــيْــدِ الــشــيـــطـــانِ[11]

٤٩- ولذا، تبدو كلمة المصرِّحين بالحق مُرَّةً في آذان عبدة الهوى، وكلمة الناطقين بالحكمة مَكْرُوهَةً في مذاق المتكبرين وطبع المعجبين المغترين بالجاه والزينة: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾[12]، ومن دخل إليهم من باب النصيحة والصدق شمّروا عن ساعد العداء له، وشرعوا في اللجاج والعناد معه، وطاردوه كالكلب المجنون، ورفضوا كلمته بقوة التلبيس والمكر.

القــلـــب مــشــغــول بـــــمـــــال وجــــاه

كــــلــــب يـــطـــوف بـــجــيـــفـــيـــن[13]

٥٠-انظر كيف يُخْبِرُ الحق تعالى عن حال بلعم بن باعوراء[14] ﴿وَلَوْ شِئْنَا

---

[11] الشعر لشاعر غير معروف، الأصل الفرسي هو :

علـــم وحـــكمت كمال انسانست	خشم وشهوت جمال حيوانيست
تا تو از خشــــم وآرزو مستى	بخـــداى ار تو آدمـــتى هستـــى

[12] سورة الأعراف: الآية ١٤٦.

[13] أصل البيت بالفارسية، لشاعر غير معروف:

دل كــه با مــال وجــاه دارد كار	دل چوسگ دان وآن دو چــون مــردار

[14] ورد في- فيض القدير شرح الجامع الصغير – المناوي ج١، ص ٢٤٢ : قال الغزالي كان بلعم بن باعوراء من العلماء وكان بحيث إذا نظر رأى العرش وهو المعني بقوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه أياتنا فانسلخ منها [ولم يقل آية واحدة ولم يكن له إلا زلة واحدة مال إلى الدنيا وأهلها ميلة واحدة وترك لنبي من الأنبياء حرمة واحدة فسلبه معرفته وجعله بمنزلة الكلب المطرود فقال] فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه [. كما ورد في جامع البيان - إبن جرير الطبري ج ٦ ص ٢٥٢ فإن أهل العلم بأخبار الأولين مجمعون على أن بلعم بن باعوراء كان ممن أعان الجبارين بالدعاء على موسى .وورد في- تفسير ابن كثير - ابن كثير ج ٢، ص ٢٧٧ : بلعم بن باعوراء ويقال ابن أبر ويقال ابن باعور بن شهتوم بن قوشتم بن مآب بن لوط بن هاران، ويقال ابن حران بن آزر وكان يسكن قرية من قرى البلقاء. قال ابن عساكر: هو الذي كان يعرف اسم الله الأعظم فانسلخ من دينه له ذكر في القرآن. ثم أورد من قصته نحوا مما ذكرنا ههنا أورده عن وهب وغيره والله أعلم. وقال محمد بن إسحق بن سيار عن سالم أبي النضر أنه حدث أن موسى عليه السلام لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام إليه فقالوا له هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل وإنا قومك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع الله عليهم قال ويلكم نبي الله معه الملائكة والمؤمنون كيف أذهب أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم ؟ قالوا له ما لنا من منزل فلم يزالوا به يرفقونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب حماره له متوجها إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل وهو جبل حسبان فلما سار عليها غير كثير ربضت به فنزل عنها فضربها حتى إذا أزلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى إذا أزلقها أذن لها فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعم أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا ؟ تذهب إلى نبي الله والمؤمنين لتدعو عليهم ؟ فلم ينزع = =

لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إلى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾[١٥]، إن تهتم بنصيحته، يطيل اللسان، وإن تركته يظهر سوء الخلق ويُلْحِق الأذى ويسيء إليك.

يـــا غــارقـــاً في شـهـــوةٍ أو في غـضـــب
أنـــىَّ لـــك النُصـــحَ الـــذي وفَّـى الطــلب
في القــلبِ كَــلبٌ جُــنَّ مــن خُبْثٍ بــهِ
كُــنْ واعـيـــاً في عــضِّـهِ داءُ الــكــلـــب[١٦].

عنها فضربها فخلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك، فانطلقت به حتى إذا أشرفت به على رأس حسبان على عسكر موسى وبني إسرائيل جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشر إلا صرف الله لسانه إلى قومه ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بني إسرائيل، فقال له قومه أتدري يا بلعم ما تصنع؟ انما تدعو لهم وتدعو علينا قال فهذا ما لا أملك هذا شئ قد غلب الله عليه قال: واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والحيلة فسأمكر لكم وأحتال جملوا النساء وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن إلى المعسكر يبعنها فيه ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فإنهم إن زنى رجل منهم واحد كفيتموهم ففعلوا، فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كسبتي - ابنة صور رأس أمته - برجل من عظماء بني إسرائيل وهو زمري بن شلوم رأس سبط بني شمعون بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام، فلما رآها أعجبته فقام فأخذ بيدها وأتى بها موسى وقال إني أظنك ستقول هذا حرام عليك لا تقربها قال أجل هي حرام عليك قال فوالله لا أطيعك في هذا فدخل بها قبته فوقع عليها وأرسل الله عز وجل الطاعون في بني إسرائيل وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى وكان غائبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس فيهم فأخبر الخبر، فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة إلى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص فوجدوه قد هلك منهم سبعون ألفا والمقلل لهم يقول عشرون ألفا في ساعة من النهار، فمن هنالك تعطي بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها الرقبة والذراع واللحى والبكر من كل أموالهم وأنفسها لأنه كان بكر أبيه اليعازار ففي بلعام بن باعوراء أنزل الله ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾- إلى قوله - لعلهم يتفكرون.

[١٥] سورة الأعراف: الآية ١٧٦.

[١٦] الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

سگ ديــوانـــه دارى انـــدردل   چون نصيحت بذيرى اى جـــاهل ؟
اى مـــقيم از دو ديو ديـوانـــه   شـــهــوت حـــيز وخشـــم مردانه

الترجمة: ان في قلبك كلبا مجنونا، فكيف تقبل النصح يا جاهل، يا من أقمت من عفريتين مجنونتين، شهوة المرأة وغضب الرجولة.

الباب الثالث

تسويلات النفس الأمارة

الباب الثالث

الفصل الثالث

في بيان الأصل الثالث

وهو تسويلات النفس الأمارة (*)

٥١- وهو تسويلات النفس الأمارة، وتدليسات الشيطان المكار اللعين الغدار، الذي يُظهِرُ المحسن مسيئا والمسيء محسناً، ويعد المعروف منكرا والمنكر معروفا، ودأبه ترويج الأقوال الباطلة، وتزيين العمل غير الصالح، والتلبيس والتمويه، واللجوء إلى المكر والحيلة والغرور، وإنكار الحق وإبطال البراهين العقلية، بقوة الخيالات الفاسدة والأوهام الكاذبة، والاعتماد على الكذب والوسواس والسفسطة، وإدراج الشر في عداد الخير، وتصوير الباطل بصورة الحق بالغرور والتلبيس، وإلباس الأعمال لباساً حسناً بالتمويه والتدليس. وليس إلا خسران الدنيا والآخرة؛ لأن فعل الشيطان هو بالتمويه والتخييل، وبالوسواس غير المجدي، لأنَّ عمل أهل الغرور، إنما هو كعمل أهل السيمياء[1]، فهو بلا وجود ولا بقاء ولا يخدع إلا الناقصين، وأصحاب ذوي الطباع الصبيانية.

٥٢- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[2]، ويقول في مكان آخر ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾[3]، ومن هذا القبيل

---

* العنوان ليس موجوداً في الأصل الفارسي.

[1] السحر.

[2] سورة الكهف: الآيتان ١٠٣-١٠٤.

[3] سورة الفرقان: الآية ٢٣.

تقليدات المقلدين بلا بصيرة، وتعصباتهم الباردة، وكذلك أبحاث المتكلمين ومحاورات المجادلين، فإنها هي الأخرى، تصدر عن الطبع والهوى لا عن تحري الحق وسبيل الهدى: **﴿فِي الأَرْضِ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إلى الْهُدَى قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾**[٤]، وطعن أرباب الملل والآراء، ولعن أصحاب البدع والأهواء كلٌّ منهم الآخرَ **﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾**[٥].

٥٣- وكذا هو نسك الجاهلين وعبادة كثير من المعجبين بأنفسهم، فقد جاء في الكافي نقلا عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبُّر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكُّر»[٦]. ونُقِل عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «قصم ظهري رجلان، عالم متهتّك وجاهل متنسّك»[٧]

فما كل مـولود النسا كان عتريـسا
ولا كُـلُّ من يلوج بالعصا مُـوسى[٨]

٥٤- إنَّ الأَوْلى والأنسب بحال هذين الشخصين[٩]، أن يكتفيا بالرواتب اليومية، والفرائض المقررة، وأن يشتغلا كسائر العوام، بأمر النظام ونسق

---

[٤] سورة الأنعام: الآية ٧١،الآية في الأصل على الشكل التالي **﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إلى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾**.

[٥] سورة الأعراف: الآية ٣٨.

[٦] الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٣٦: عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكر ، وفي رواية أخرى: ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة لا فقه فيها، ألا لا خير في نسك لا ورع فيه.

[٧] ابن أبي جمهور الأحسائي، عوالي اللئالي، ج ٤، ص :٧٧ روى عن الصادق (عليه السلام) انه قال: «قطع ظهري اثنان ، عالم متهتك وجاهل متنسك، هذا يصد الناس عن علمه بتهتكه ، وهذا يصد الناس عن نسكه بجهله» - منية المريد- الشهيد الثاني ص ١٨١ : عن علي عليه السلام: «قصم ظهري عالم متهتك وجاهل متنسك ، فالجاهل يغش الناس بتنسكه ، والعالم ينفرهم بتهتكه» العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٨٠١): في قول الصادق عليه السلام قطع ظهري اثنان، عالم متهتك وجاهل متنسك المتعبد على غير فقه كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح، ولم يرد هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

[٨] الشعر، لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

نه هر كـو آيد از كوهى بـود بـا دعـوت مـوسى   نـه هر كو زايد از زالى بود با سطوت دستان

الترجمة: ليس كل من يأتي من جبل، يحمل معه دعوة موسى، ليس كل من يولد من امرأة، يكون قوي الساعدين.

[٩] المقصود هنا الجاهل والمعجب بنفسه.

العالم، ويكفًا عن التشبه ببلعم بن باعوراء والشيخ برصيصا[10]، ويعملا بالكسب وزراعة الدنيا وأمثالها، ويعينا أبناء البشر ويساعدا الخلائق، ويحظيا، في طريق الألفة والجمع بشعاع نور صحبة الأبرار والعظائم، ولا يتعدَّيا فضيلة :«البلاهة أدنى إلى الخلاصة من فطانة بتراء»[11]، كي ينالا اليوم نصيبا عن طريق خدمة عظماء الدين وسالكي طريق اليقين، ويغدوا يوم القيامة في ظل حماية شفاعتهم مشفوعين، ويجدا الروح السرمدية والحياة الأبدية، كالظفر والشعر والعظم التي تحيا بحياة الحيوان، إذ: «من تشبَّه بقوم فهو منهم، ومن أحب شيئا حُشِر معه»[12]؛ لأنَّ نور العزة وأسرار الصمديِّة لا تقع في كل قلب، سطوات حقائق الأحدية لا تحتملها كل أذن.

جئتــماني لتــســألا ســرّ ســعــدى

تــجــداني بســـرّ سعــدى شحيحــا[13]

---

[10] تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج ٩، ص٤٣٨ :

ابن عباس قال: إنه كان في بني إسرائيل عابد اسمه برصيصا، عبد الله زمانا من الدهر، حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ، ويعوذهم فيبرأون على يده، وإنه أتي بامرأة في شرف قد جنت، وكان لها إخوة فأتوه بها، فكانت عنده. فلم يزل به الشيطان يزين له، حتى وقع عليها، فحملت. فلما استبان حملها قتلها ودفنها. فلما فعل ذلك، ذهب الشيطان حتى لقي أحد إخوتها، فاخبره بالذي فعل الراهب، وأنه دفنها في مكان كذا. ثم أتى بقية إخوتها رجلا رجلا، فذكر ذلك له، فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول: والله لقد أتاني آت فذكر لي شيئا يكبر علي ذكره! فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم، فسار الملك والناس، فاستنزلوه، فاقر لهم بالذي فعل ، فأمر به فصلب. فلما رفع على خشبته، تمثل له الشيطان فقال: أنا الذي ألقيتك في هذا، فهل أنت مطيعي فيما أقول لك، أخلصك مما أنت فيه؟ قال: نعم. قال: اسجد لي سجدة واحدة. فقال: كيف أسجد لك، وأنا على هذه الحالة؟ فقال: أكتفي منك بالإيماء. فأومى له بالسجود فكفر بالله، وقتل الرجل. فهو قوله كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر.

[11] الفيض الكاشاني: «التحفة السنية» مخطوط بخط عبد الله نور الدين نعمت، في مكتبة كتابخانة آستان قدس رضوي.

[12] هذا الحديث الذي ورد في اللغة العربية مؤلف من حديثين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أحدهما نقل حرفيا والآخر نقل بمحتواه - البحر الرائق - ابن نجيم المصري ج ٩، ص٣٦٢: قال صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو منهم - العهود المحمدية- الشعراني ص ٤٢: ومن أحبه صلى الله عليه وسلم حشر معه لقوله صلى الله عليه وسلم : يحشر المرء مع من أحب .

[13] البيت لأبي المظفر السمعاني، فعندما سئل عن الاستواء فقال:

جئتمـــاني لتعـلما ســر سعدى	**تجــداني بســــر سعدى شحيحا**
إن سعدى لمنية الـمـتمـنـــي	**جمـــعت عفة ووجـهاً صبيحــا**

يــا زاهداً؛ بالصَّــلا والصَّوم لا تفــرح

إنَّ البــعوضـــة لا تسمــوا إلــى العنقــاء

والعُـذرُ للــزاهـد المحــجـوب عن طــرقٍ

فـــالـــعشق ما كـــان إلا للـذي أتقــى[١٤]

٥٥- وإنّ من تَصَرَّفَ في أسرار الدين وحقائق اليقين ببضاعة العقل المزخرف والبصيرة الحولاء والفطانة البتراء، أو أراد عن طريق العزلة والإكثار من النوافل والصلوات والصيام، أن يَعُدَّ نفسه أحد مختاري الحق وخاصة الدين وعظمائه، وأن يتعالى ويترفّع على غيره، نعوذ بالله، رغم غلظة الطبع، وقسوة القلب وفظاظته، وقصور المعرفة وجسامة قوة الشهوة، فلن يجني ليس إلا الضلالة والحيرة: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١٥] يتحقق منه غير التكبر والنخوة ولن يكون مآله سوى الجحيم المحرقة ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.[١٦]

لــيست الــصلاة ولا الصيــام بكثرة

جــعلت أخــاهــا حاكـماً لطبــاعـه

فــلربــمــا كـــان الــطـوافُ زيـــادة

في حـــوزهـــا يــفــضي إلـى إيقــاعــه[١٧]

---

[١٤] البيت الأول لشاعر غير معروف والثاني لحافظ الشيرازي، الأصل الفارسي هو:

زاهــد بنمـــــاز و روزه خــرسنــد مباش كيــن پشّــه بــروزگار عــنــقــا نشود

زاهــد ار راه بـــه رنــدى نبـرد معذور است عشــق كـــاريست كه موقوف هدايت باشد

الترجمة: لا تفرح بالصلاة والصوم يا زاهد، فان هذه البعوضة لن تصير مع الأيام عنقاء، إن لم يجد الزاهد الطريق فمعذور، لأن العشق عمل على الهداية موقوف.

[١٥] سورة الأعراف: الآية ١٨٦.

[١٦] سورة الزمر: الآية ٦٠.

[١٧] الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

نـــشـــوى بـــر نـــهـــاد خـود ســـالار بـــنـــمـــاز وبـــــروز بســيـــار

زانـكـــه هـــرچنـــد گـــرد بـــرگـردى زيـــن دو هــر روز تيره تر گردى

الترجمة: لن تصير حاكماً على طبعك، بالصلاة والصوم الكثيرين، لأن كلما طفت حولهما، جعلت نفسك أكثر ظلمة.

٥٦- والآن فاعلم أنَّ لتلك الصفات الثلاث[١٨] غير ما ذكر من العداوة والخصومة مع فقراء باب الله، والباحثين عن طريق اليقين، ثمرات ولوازم كثيرة، وتبعات ولواحق لا تُحصى سنبينها في فصول ثلاثة أخرى.

---

(١٨) الصفات الثلاث التي بيّنها في ثلاثة فصول هي:

- الجهل بمعرفة النفس.
- حب الجاه والمال والميل إلى الشهوات.
- تسويلات النفس الأمارة بالسوء.

الباب الرابع

عن معرفة النفس وعلم المعاد

الباب الرابع

الفصل الأول

في بيان نتيجة الإعراض
عن معرفة النفس وعلم المعاد

٥٧- إن أول نتائج الإعراض عن معرفة النفس وعلم المعاد؛ هي ظلمة القلب وعمى البصيرة: ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[١]، وكذلك ضيق الصدر، وعذاب القبر، وضنك في العيش، وضيق القلب هو حظ الجهال بسبب نسيان ذكر الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[٢].

٥٨- واعلم أنَّ العين والأذن، اللتين يرى الإنسان بهما في الحياة الدنيا ويسمع، هما وديعة عند الإنساني عارية، وقوامهما بهذا البدن الذي سوف يتخلل في التراب ويفنى، وسوف يستبدلها الإنسان في الدار الآخر بعين حقيقة وأذن كذلك، وهما باقيتان؛ لأنهما نتيجة نور المعرفة، ومن لوازم حياة النشأة الثانية، التي هي قائمة بالروح، وتظهران في البدن المكتسب الأخروي، كما تبين وثبت للعالمين بمعرفة أحوال المعاد.

٥٩- فالآن، لما كان الجاهل بعلم النفس يظن أن هذه العين والأذن والحواس الدنيوية حقيقية، وليست عارية، ويحسب نفسه بهاتين العين والأذن بصيرا وسميعا، ففي يوم القيامة، الذي هو يوم الحقائق، الذي تُسْتَرَدُّ فيه العارية، وحيث أنه لم يكتسب عينا لرؤية الآخرة، فإنه يظن يومئذ أنه قد كانت له عين فأعموها، فيقول: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾[٣]. وهو لا يعلم

---

[١] سورة الحج: الآية ٤٦.

[٢] سورة طه: الاية ١٢٤.

[٣] سورة طه: الآية ١٢٥.

أنه لم يكن يملك سوى تلك العين المستعارة التي تجدي في الآخرة.

إذهب وبع العين التي منعت

عنك البصيره في الأشهاد والغيب

واسعَ لتكتسبَ عيناً أنت تطلبها

عوناً تكون بلا نقصٍ ولا عيب[٤]

والأمر عينه يقال في أذن الحمار والثور وجميع الحيوانات، لا تجدي في يوم العقبى.

وماذا تنفع الآذان قُل لي:

إذا لم يدركِ السمعَ الحمار[٥]

﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[٦]

٦٠- فلا نور يوم القيامة، إلا نور عين البصيرة، لأن غيرها من العيون لا ترى بنور المعرفة، فكل من لم يُكسِب قلبه اليوم نور المعرفة، ولم يحيي قلبه بالعلم، فسوف لن يجديه لأنه سوف ينطمس في ذلك الحين،كما تنطمس نور الشمس والقمر وغيرهما، كما قال تعالى: **﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ❖ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾**[٧]. وهذا معنى قوله تعالى: **﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾**[٨]. وكذا عذاب القبر وضغطته، وضيق الرمس وظلمته تنشأ من سوء الخلق وضيق الصدر، لأن أحوال القبر تابعة لأحوال الصدر؛ فكلُ من

---

[٤] الشعر لشاعر غير معروف والأهل الفارسي هو:

برو بفروش اين چشمي كه داری كه در ديدن ندارد استواری

يكی چشمی دكر بی غش وبی عيب بدست آور برای ديدن غيب

الترجمة: إذهب وبع هذه العين التي تملكها، لأنها في الرؤية بعدُ لا سداد لها، وأحصل من أجل رؤية الغيب، على عين أخرى بلا نقص ولا عيب.

[٥] الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

گوش خر بفروش وديگر گوش خر كين سخنها را نبايد گوش خير.

الترجمة: بع أُذن الحمار واشتر أُذناً أخرى، لأن هذه الكلمات لا تدركها أُذن الحمار.

[٦] سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

[٧] سورة التكوير: الآية ١-٢.

[٨] سورة البقرة: الآية ١٧.

كان في الدنيا منشرح الصدر بالإيمان، فهو في القبر في فسحة روضة الرضوان. وكل من كان قلبه مملوءا بالأسرار، فقلبه مليء بنور عالم الأنوار. وكذلك كل من كانت روحه جاهلة وقاسية وجسمانية، فجسده أهل للاحتراق بنار الجحيم. وكل من كانت عين قلبه عمياء، فهو دائماً معذب ومحبوس في القبر، والعالم النوراني قاتم ومظلم بعينه.

وقبر الكافرين كعين عميا

ظلامٌ أطبقت فيه الصدورُ

وقلبٌ لا حضورَ له بتاتاً

سراجٌ خامدٌ ما فيه نور[9]

٦٢- واعلم، أنّ من له معرفة بالنفس كما هي، ويعرف أحوالها كما يعرفها العرفاء، يسهل عليه كشف القبور، وهو يعلم ما معنى: «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»[10]

ولـلأحـرار أرواح ريـاضٌ

---

[9] أصل البيتين باللغة الفارسية، وهما لشاعر غير معروف:

جـو جشـم كـور باشد گور كـافر   سـيـاه وتنـگ وتـاريـك ومكدر

دل بـي عـلم او نـبـود حضـوري   چـراغ مـرده راكـي هست نورى

الترجمة: إن قبر الكافر كالعين العمياء، أسود ضيق مظلم ومكدر، لا حضور لقلبه الذي لا علم له، متى كان لنسراج المنطفىء نور؟

[10] ورد هذا الحديث في الصيغة التي أوردها الكاتب في: الشيخ الحويزي، تفسير الثقلين، ج ٣، ص ٥٥٣: عن علي بن الحسين (عليهما السلام): إن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. وورد في العلامة المجلسي، بحار الأنوار - ج ٦، ص ١٥٩: عن أبي، عن سعد، عن الأصبهاني، عن المنقري عن عبد الرزاق، عن معمر عن الزهري قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام: أشد ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: الساعة التي يعاين فيها ملك الموت، والساعة التي يقوم فيها من قبره، والساعة التي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى فإما إلى الجنة وإما إلى النار. ثم قال: إن نجوت ابن آدم عند الموت فأنت أنت وإلا هلكت، وإن نجوت ابن آدم حين توضع في قبرك فأنت أنت وإلا هلكت، وإن نجوت حين يحمل الناس على الصراط فأنت أنت وإلا هلكت، وإن نجوت حين يقوم الناس لرب العالمين فأنت أنت وإلا هلكت. ثم تلا: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ قال: هو القبر، وإن لهم فيه لمعيشة ضنكا، والله إن القبر لروضة مَن رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار. ثم أقبل على رجل من جلسائه فقال له: قد علم ساكن السماء ساكن الجنة من ساكن النار فأي الرجلين أنت؟ وأي الدارين دارك؟ كما ورد في العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦، ص٢٠٥: عن الرسول (صلى الله عليه وآله): «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران».

ولـــلأشـــرار أرواحُ الـــحـفــر[11]

٦٣- وثمة صدر يزوره أنبياء الله وأولياؤه ألفي مرة كل يوم؛ لأنّه يذكرهم ويستحضرهم. والحقّ جلّ وعلا يتجلى على صدر قلبه بذكر الله، وتأتي الملائكة والأرواح للسلام عليه: **﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾**[12]، ويبلغونه السلام من الحق **﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾**[13]. فكلُّ كلام حق يسمعه ينفذ من تلك الأبواب إلى الجنة، وثمة صدر يحارب المسلمين ألفي مرة كل يوم، ويخاصم الناس وهو عامر باللعن والكذب والافتراء والنفاق والفحش، وفي مثل هذا الصدر تشتعل دائما في ذلك الصدر نار غضب الله **﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾**[14]، وذلك الصدر هو في الحقيقة حفرة من حفر جهنم، والكلام الذي يقع فيه، إنما يقع في جهنم.

نـــارُ الـسرائــر آتـون مـــن اللـــهبِ

قــد أحرقت أهــلها في سـورة الغـضبِ

فـانـظر سـريـرتـك التي تحيا بجمرتها

إن كنت تطلبُ أكـل الـنار للحطبِ

لقـــد علا صـوتُنا والخـوف إن فَـلُتت

من قـولـنا لـفظةٌ تـودي الى العطبِ[15]

---

[11] الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

بســان روضــة باشد جــان احـرار   كــه باشد حـفرة جــان نتگاشرار

الترجمة: إن روح الأحرار إنما هي كالروضة، وروح الأشرار الضيقة إنما هي كالحفرة.

[12] سورة الرعد: الآية ٢٣.

[13] سورة القدر: الآية ٤-٥.

[14] سورة الهمزة: الآيتان ٦-٧.

[15] الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

اي آنــكــة ز آتــش درون مـــى ســـوزى   از نـــار جحيم خـشم تــون مــى ســوزى

گـــر زآنــكــه نــمـونـه اى ز دوزخ طـلـبى   بنگر بـدرون خـود كــه چـون مـى سوزى

ســخـنـم شد بلـنـد ومــى تـرسـم   كـــه مــرا چيـزى از زبــان بـجـهـد

الترجمة: يا من تحترق من نار سريرتك، إنك تحرق أتونا من جحيم الغضب، إن تطلب نموذجا من جهنم، فانظر الى سريرتك كيف تحترق، لقد ارتفع صوتي وإني أخاف، أن يقفز شيء من لساني.

٦٤- اللهم اجعل هذه الكلمات في رياض صدور الأطهار، وذوي القلوب النيرة، وأبعدها عن جحيم ضعيفي الطباع المحرقة، وعن حفرة نيران ذوي القلوب المظلمة المليئة بالشر والفتنة ونار الفساد.

٦٥- واعلم أنَّ جميع العرفاء وكافَّة الحكماء المحققين يرون أنَّ قوام النشأة الآخرة منوط بقلب الإنسان، وحياة القلب بالمعرفة.

بالعلم تحيا روحُ جِسمٍ قائمِ

والكلُّ يحيا من قؤومٍ عالمِ[١٦]

٦٦- وعمارة الجنة والقصور والأنهار والأشجار والطيور والحور والغلمان، كلها بتعمير القلب وتكميله بالاعتقادات الحقَّة والنيَّات الصادقة: «بأنَّ الجنة قاع صفصف وأنَّ غراسها سبحان الله»[١٧]. إنَّ أشجار الجنة وثمارها إنَّما نشؤها ونموها من حب العلم وماء اليقين، وإن تنقية أرضها إنما تكون من خلاص القلب بسبب الأعمال اللائقة والأفعال المحمودة، التي تُطهِّر أرضَ الآخرة من الشوك والقش والنباتات السامة المالحة والمرَّة والبريَّة، لتغدو أهلاً لغرس شجرة العلم وثمرة اليقين: ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[١٨] دليل واضح على ان قوام الآخرة وحياة الجميع هناك بالعلم.

والجنة لم يصنعوها من الآلات

بل صنعوها من الأعمال والنيَّات

---

[١٦] الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

جسد از روح وروح از علم برپاست حيات جمله از قيوم داناست

الترجمة: الجسد قائم بالروح والروح بالعلم، وحياة الكل من القيوم العالم.

[١٧] اصل الحديث مكون من حديثين أحدهما ورد في: السيد عبد الله الجزائري، التحفة السنية (مخطوط)، ص ١٥٢ : الميرزا محمد المشهدي، تفسير كنز الدقائق، ج ١، ص ١٩٢: حيث ورد قوله (صلى الله عليه وآله): إن الجنة قاع صفصف ليس فيها عمارة، فأكثروا من غراس الجنة في الدنيا، قيل يا رسول الله: وما غراس الجنة ؟ قال (صلى الله عليه وآله) : فهذه الجنة ما فيها من الأشجار والأنهار والثمرات وغيرها من الحور والقصور والغلمان والولدان هي أعمالهم وأخلاقهم ومقاماتهم وأحوالهم مثلت وصورت في أمثلة وصور مناسبة ، ثم ردت إليهم ، ولهذا يقال لهم : إنَّما هي أعمالكم ترد إليكم . والقسم الآخر ورد في أكثر من كتاب منها: روضة الطالبين، محيى الدين النووي، ج ١، ص ٨٦ : عن ابن مسعود قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لقيت ابراهيم حين أسري ، بي ، فقال : أقرئ أمتك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله ، والحمد الله ولا إله إلا الله، والله أكبر .

[١٨] سورة العنكبوت: الآية ٦٤.

يــقــول الــحـــق إنَّ جدار الجنة لـــيس
كـــالـــجـــدران بشــعـــا ويــلا روح
بــل كالماء والطين في المســـكن الآدمـــي
حيـث يشــرق النــور من قطعــات الكــلس
والســريــر والقــصر والــتــاج والــثياب
هــي مع قاطن الجــنة في ســؤال وجــواب[١٩]

٦٧- نعم في الجنة يكفي أن يُتَصوَّر الشيء حتى يتم الحصول عليه، فقد جاء في الحديث: «إن في الجنة سوقا يباع فيها الصور»[٢٠]، قال بعض العلماء: السوق «عبارة عن اللطف الإلهي، الذي هو منبع القدرة على اختراع الصور بحسب المشيئة، وانطباع القوة الباصرة به انطباعا ثابتا ما دامت المشيئة»[٢١].

٦٨- أيها العزيز، إنَّ الإيمان بالجنة والنار ركن عظيم في الدين، وقلَّ من يتأتى له الاعتقاد بهما عن طريق البرهان واليقين، لا عن طريق الظنّ والتخمين. وإنّ أكثر العلماء والمجتهدين في هذه المسألة مُقَلِّدون. وقد رضي بالتقليد في هذه

---

[١٩] الشعر لمولوي.

وانــكه جــنّت رانـــه زآلت بسته اند	بلــكـــه از اعــمال ونيّت بستـــه اند
حــق هــمـــي گــويد ديوار بهشت	نيــست چــون ديوارها بيجان وزشت
بلكـــــه چون آب وگــل وآدم كـــده	نور از آهــك بـــارها تـــابـان شـــده
هم ســريـــر وقصر وهم تاج وثياب	بــا بـــهشتي در سؤال ودر جـــواب

[٢٠] ورد هذا الحديث في- مسند أحمد - الإمام أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٥٦: عن عبد الله حدثنى أبو بكر ابن أبى شيبة عن أبو معاوية عن عبد الرحمن بن إسحق عن النعمان بن سعد عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من النساء والرجال فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها، وان فيها لمجمعا للحور العين يرفعن أصواتا لم ير الخلائق مثلها، كما ورد في - أمالي المحاملي- الحسين بن إسماعيل المحاملي ص ١٥١ :عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل صورة دخلها، قال وفيها مجتمع للحور العين يرفعن أصواتا لم يسمع الخلائق بمثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا نسخط وطوبى لمن كان لنا وكنا له.

[٢١] ورد هذا الكلام باللغة العربية، وهو للراغب الأصفهاني مع بعض التغييرات: «السوق عبارة عن اللفظ الإلهي الذي هو منبع القدرة على اختراع الصورة بحسب المشيئة، وانطباع القوة الباصرة ثابت إلى دوام المشيئة، وليس مجرد انطباع معرض للزوال دون اختيار..»، وهي تشرح قوله صلى الله عليه وآله «إن في الجنة سوقاً تباع فيها الصور».

المسألة (فلاسفة) مثل أبي علي بن سينا، الذي يعدونه رئيساً لفلاسفة الإسلام، فسلّم بها، ولم يقل فيها بالكشف والبرهان، فكيف بغيره أرباب البحث. وإن حقائق أحوال تلك النشأة لا يمكن دركها إلا بنور سيد الأنبياء (عليه وعلى آله السلام)، لأنَّ معرفة الدنيا والآخرة، والجنة والنار، ومعرفة الملائكة والجن والروح والكروبيين، وأحوال المعراج، ومعية الحق تعالى مع كل الموجودات. وكذلك سير المعراج وطيّ السماوات ونظائرها فهذه جميعاً من المكاشفات، التي عجزت عقول أرباب الفكر وأهل النظر عن إدراكها، ولا يكتب على لوح تلك العلوم إلا في مدرسة [القرآن والله] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾[٢٢]. بعد أن تُصقَّل مرآة قلب الإنسان بصقل الإيمان والطهارة من غشاوة التعلق بالدناءات، وبعد نفض اليد من غبار النشأة الصوريَّة والحياة المجازيَّة.

ملِكَ المعاني طالما عزَّ القَدَر

إلا إذا حَرِمَ الوَرَى مُلكَ الصُّور[٢٣]

٦٩- ولكي لا نبعد عن المقصود فإننا نترك متابعة البحث في هذا الأمر، ونقول، إذا عرفت أن نور تلك النشأة يكون بمعرفة القلب ونور اليقين، فكلّ مؤمن يرى هذا الطريق بمقدار نور إيمانه وعرفانه حتى يصل إلى المقصد الأصلي، فمن كان قلبه منوراً بنور اليقين بل ربما لا كالشمس يشرق على جميع العالم، وغير المؤمن لا يرى سوى أمام أقدامه فقط، يجاوز الضوء إبهام قدمه، وهو يضيء مرة وينطفيء أخرى: «فإذا أضاء قدم مشى وإذا طفىء قام»[٢٤]. ومراتب الأوساط من نوره كنور القمر والزهرة والمشتري وسائر الكواكب، ثم بعدها ما نوره كنور المصابيح الكبيرة والصغيرة. وسعي الناس وحركتهم في طريق الآخرة، أيضا بمقدار نور علمهم وإيمانهم، وعبور كل واحد على الصراط بمقدار نوره، يَدُلُّ عليه قوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[٢٥] وقد جاء في الخبر، بعد ذكر تفاوت مراتب النور والإيمان، إن: «مرورهم على الصراط على قدر نورهم، فمنهم من يمرُّ كطراف العين، ومنهم من يمرُّ

---

[٢٢] سورة الكهف: الآية ٦٥.

[٢٣] البيت لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

دير شد تا هيچكس را از عزيزان نامدست بى زوال ملك صورت ملك معنى در كنار

الترجمة: طالما مضى الزمان ولم يحصل من الأعزاء أحد، على ملك المعنى بدون زوال ملك الصورة.

[٢٤] وردت هذه العبارة باللغة العربية، وهي مأخوذة من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي الباب السابع، ج١.

[٢٥] سورة التحريم: الآية ٨.

كالبرق، ومنهم كالسحاب، ومنهم كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمرُّ كشد الفرس والذى أُعطِي نوراً على قدرِ إبهام قدمه يحبو على وجهه ورجليه، يجر يداً ويعلق أخرى، ويجر رجلا ويعلِّق أخرى، وتصيب جوانبهم النار. فلا يزال كذلك حتّى يخلص»[٢٦].

٧٠- فما جاء في الحديث عن النبي ﷺ من أنَّه: «لو وُزن إيمان علي بإيمان الخلائق لرجح»[٢٧]، يشبه الموازنة بين نور الشمس ونور جميع المصابيح ومن

[٢٦] ورد هذا الحديث في: مجمع الزوائد، للهيثمي، ج ١٠، ص ٣٤٠: عن عبدالله بن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وسلم قال: يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء، قال: وينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ثم ينادي منادٍ: أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا أن يولى كل أناس منكم ما كانوا يعبدون في الدنيا؟ أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا بلى قال: فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويقولون: في الدنيا قال فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر والأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ويمثّل لمن كان يعبد عزيرا شيطان عزير، ويبقى محمد صلى الله عليه وآله وأمته قال: فيتمثّل الرب تبارك وتعالى فيأتيهم فيقول ما لكم لا تنطلقون كانطلاق الناس، فيقولون إنَّ لنا إلها ما رأيناه، فيقول هل تعرفونه إن رأيتموه فيقولون إنَّ بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناها، قال فيقول ما هي؟ فنقول يكشف عن ساقه قال فعند ذلك يكشف عن ساقه فيخرُّ كل من كان نظره ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود، فلا يستطيعون وقد كانوا يُدعون إلى السجود، وهم سالمون ثم يقول ارفعوا رؤوسكم، فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يُعطى نوره أصغر من ذلك، ومنهم من يُعطى مثل النخلة بيده، ومنهم من يُعطى أصغر من ذلك حتّى يكون آخرهم رجلاً يُعطى نوره على إبهام قدميه يضيء مرة ويطفأ مرة، فإذا أضاء قدم قدمه وإذا طفئ قام، قال والرب تبارك وتعالى أمامهم حتّى يمّر في النار فيبقى أثره كحد السيف، قال: فيقول مرّوا فيمرّون على قدر نورهم منهم من يمرُّ كطرفة العين ومنهم من يمرّ كالبرق ومنهم من يمرّ كالسحاب ومنهم من يمرّ كانقضاض الكوكب ومنهم من يمرُّ كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرحل حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدميه يجثو على وجهه ويديه ورجليه تخريد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها فقال الحمد لله فقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها قال فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم فيرى ما في الجنة من خلل الباب فيقول رب أدخلني الجنة، فيقول الله أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول رب اجعل بيني وبينها حجابا لا أسمع حسيسها قال فيدخل الجنة ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأن ما هو فيه إليه حلم فيقول رب اعطني ذلك المنزل فيقول له لعلك إن أعطيتكه تسأل غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره وأنى منزل أحسن منه فيعطى فينزله ويرى أمام ذلك منزلا كأن ما هو فيه إليه حلم قال رب أعطني ذلك المنزل فيقول الله تبارك وتعالى له فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره فيقول وعزتك يا رب وأنى منزل يكون أحسن منه فيعطاه وينزله ثم يسكت فيقول الله جل ذكره مالك لا تسأل فيقول رب قد سألتك حتى قد استحييتك وأقسمت حتى استحييتك فيقول الله جل ذكره ألم ترض أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه، فيقول أتهزأ بي وأنت رب العزة فيضحك الرب تبارك وتعالى من قوله.

[٢٧] مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب ج١، ص ٢٩٢: روى المخالف والمؤالف من طرق مختلفة منها عن=

الطبيعي أن يفوقها كلها، لأنَّ نور إيمان العوام كنور المصابيح، ونور إيمان الأولياء كنور القمر والنجوم الكبيرة، وإيمان الأنبياء كنور الشمس.

وكذا تفاوت انشراح الصدور كتفاوت اتساع مواقع النور، وكما تنكشف الصور التي في الآفاق، بنور الشمس، ولا تنكشف بنور المصباح الذي لا يضيئ سوى زاوية ضيقة من المنزل، هكذا ينكشف بنور علم العارفين بالحق وبإيمانهم به جميع عوالم الملكوت وكل ما في آفاق ذلك العالم على اتساعه. ونحن قد بيَّنا هذه المسألة في موضعها، وأوضحنا أنَّ ظهور الأشياء بالعلم والنور العقلي هي (بمعنى) تواجدها، وليس ذلك كظهور الأشياء المحسوسة بنور محسوس، كضوء الشمس وغيره. وبينا أن لكل عالم في تلك النشأة عالماً من الملك والملكوت، قائماً كله به بلا تضييق ولا تضايق، وليس هنا موضع بيانه.

ومـا أدراك مـا جـنـة الله

ومـا أدراك مـا جـنـة الـروح [28]

﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [29]

= أبي بصير مصقلة بن عبد الله عن عمر بن الخطاب عن النبي قال: لو وزن ايمان علي بإيمان أمتي، وفي رواية وايمان أمتي لرجح إيمان علي على إيمان أمتي إلى يوم القيامة.

[28] الشعر لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

توچه دانى بهشت يزدان چيست   توچه دانى كه جنّت جان چيست

[29] سورة السجدة: الآية ١٧.

الباب الخامس

متابعة الشهوة
واتباع الأعراض الدنيوية

الباب الخامس

الفصل الثاني

في نتيجة الأصل الثاني

وهي متابعة الشهوة واتباع الأعراض الدنيوية

٧١- وهي الانسلاخ من الفطرة الأصلية، والحشر في حالة العمى والخرس مع البهائم والحشرات؛ لأنّ كل صفة تغلب على الإنسان في الدنيا، إنّما هي بسبب كثير من الأفعال والأعمال التي تصدر عن صاحب تلك الصفة، ويحشر صاحبها يوم القيامة على الصورة التي تناسبها. فإن غلبت عليه صفة الشهوة، يُحشر بصورة الدب والخنزير. وإن كانت الغلبة صفة الغضب والافتراس يحشر على شاكلة الكلب والذئب. وإن كانت اللدغ والإيذاء فبصورة الحية والعقرب، وإن كانت السرقة والحيلة فبصورة الفأر والغراب. وإن تكن التكبر فبصورة الأسد والنمر. وان تكن الرعونة والتبهرج فبصورة الطاووس والحجل. وان تكن الحرص وادخار الأشياء فبصورة النملة.

٧٢- واعلم، أن سائر الصفات كذلك، كما ورد في الحديث: «يحشر الناس على صور نياتهم، يحشر بعض الناس على صورة يحسن عندها القردة والخنازير»[١]، ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: **﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾**[٢]، و **﴿إذا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾**[٣] .

---

[١] العبارة باللغة العربية.

[٢] سورة الطارق: الآية ٩.

[٣] سورة التكوير: الآية ٥.

ما تأتِه في باطن أو ظاهر

لم تأتِه إلا بقدرة قادر

والطبعُ يُصبح بالتعَّوّدِ سيمةً

والزهر يعطي كلَّ نفحٍ عاطرِ

والمرءُ في أحواله وفعاله

أو ليس يوماً للحساب بسائر؟

وبعالم حاز التفردَ وحدهُ

أخلاقُكُم أجسَامُ خلقٍ صائِرِ

أقَرَأت في تبلى السرائر آيةً

تحتاج في تفسيرِها لبَصَائِرِ؟[٤]

٧٣- واعلم أنَّ هذا المعنى، عند علماء النفس ومتتبعي نتائج الأخلاق والضمائر، ولوازم تبعات السرائر، واضح وبيِّن جداً. وإن أحوال النشأة الآخرى كانت تنكشف لبعضهم حتى أنَّهم كانوا يشاهدون كل شخص في الصورة التي سيحشر عليها في يوم القيامة. حتى أن العلامة الدواني نقل عن أستاذه أنه سمع عن بعض الثقات أن شخصاً من أهل الكشف في نواحي فارس كان يوماً مستغرقاً في حال نفسه إذ أتاه رجل من أهل الدنيا، فقال مخاطباً خادمه: «لم تركت هذا الحمار يدخل؟ أخرجه»، فلما استفاق من حاله، عرض عليه الخادم ما كان قد جرى، فقال: «ما قلت لك إلا ما رأيت ولم أكن مُطَّلعاً على ما تقول». وفي هذا المعنى أيضاً هذه الرباعية:

---

[٤] الشعر للعارف محمود شبستري والأصل الفارسي هو:

ز تو هر فعل كاوّل گشت ظاهر   برآن كردى بيارى چند قادر

بعادت حالها باخوي گردد   بمدت ميوها خوش بوى گردد

همه احوال وافعال مدخَر   هويدا كردد اندر روز محشر

همه بپدا شود آنجا ضمائر   بخوان تو آية «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ»

دگرباره بوفق عالم خاص   شود اخلاق تو اجسام واشخاص

الترجمة: كل فعل ظهر منك اولا، فعلته بمساعدة عدة قادر، بالتعود تتطبع الأحوال شيما، ومع الزمان تصير الثمار عطرة، إن الأحوال والأفعال المدخرة كلها، تظهر بارز يوم المحشر، أقرأت انت اية (تبلى السرائر، ومرة أخرى وفقا للعالم الخاص، تصير أخلاقك أجساماً وأشخاصا.

صفـات الطِّيبِ جَـنَّــاتُ الخُــلُــودِ
وعـيبُ النَّفــسِ في شــيم القعـــودِ
فحسبُــكَ من حياتِــكَ مــن لهيبٍ
بقــاءُ الــذَّاتِ في حــالِ الـصُّـدودِ[٥]

٧٤- والتناسخ الذي هو حق وليس بباطل، هو أن الباطن يمسخ ويبدل في الدنيا، وتتبدَّل الفطرة الأصلية، وتبعث يوم القيامة من القبر على صورة مناسبة لهذا الخلق؛ لأن الأجساد في الآخرة بمنزلة ظلال الأرواح. وكل روح يلزمه بدن مكتسب لا ينفك عنها أبداً:

الـروح والـجسم مثل السيـف في الـغَمْدِ
لـكنـهـا غـلفــت مــن جـوهــرٍ فــردِ[٦]

٧٥- ولا يعلم علم الآخرة وكيفية حشر الأجساد إلا أهل البصيرة والشهود، وإنَّ أرباب العلوم الحكمية الرسمية يجهلون كيفيته، فكيف بأهل الظاهر. وهذا النسخ للباطن كثير في هذه الأمة. ولا يحتاج الناظر إلا إلى بعر حديد ليرى كم من القردة والخنازير وعبدة الطاغوت هم في لباس الزهد والصلاح والرياء والنكر، كيف ارتدوا كلهم بسبب اتباع الشهوة والغضب والضلال ومتابعة الشيطان، عن الفطرة الأصلية، وساووا البهائم والسباع والشياطين، وفي يوم ﴿إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[٧] سيصوَّرون ويُجسَّمون على هذه الصور ويبرزون بهيئة هذه الحيوانات.

---

[٥] أصل الأبيات باللغة الفارسية، وهي لشاعر غير معروف.

خـوى خــوش تــو بـهشت وباغ تو بس أست   تسلـيم ورضــا چشـم وچـراغ تو بس است
آنـكة نـعــوذ بالله ايــن وصــف تــو نــيست   مــحــرومي اين صفات داغ تــو بــس اســت

الترجمة: حسبك شيمتك الطيبة جنة وبستانا لك، حسبك التسليم والرضى عيناً وسراجاً لك، وإذا لم يكن، نعوذ بالله، هذا وصفك، حسبك لهيباً حرمانك من هذه الصفات.

[٦] اصل الرباعية باللغة الفارسية:

گويــم ســخنى ز حــشر چــون خور از ميغ   بشنــكه نــدارم ازتـــو ايــن نكته دريــغ
اين جــان وتــنـست كه هست شمشير وغلاف   آن روز بـــود غــلافش از جـــوهـــر تـيـغ

الترجمة: أقول عن الحشر كلاماً كما عن الشمس السحاب، فاسمع لأنني لن أبخل عليك بهذه النقطة، إنما الروح والجسد هذان سيف وغمد، والغمد في ذلك اليوم يكون من جوهر السيف.

[٧] سورة الحشر: الآية ٥.

٧٦- أيها العزيز، إنَّ السمع والبصر اللذين تعرفهما، هما يوم القيامة باطل وهباء، وهاتان العين والأذن اللتان تحسبهما عيناً وأذناً، وبهما ترى الأشياء وتسمعها، معزولتان ومعطلتان في ذلك اليوم. والعمى هناك عمى القلب ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٨]. والصمم هناك صمم سمع الروح ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[٩] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[١٠] وهذا النطق الذي تسمعه نطقاً وتكلماً هو مساو للخرس والبكم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[١١].

٧٧- امتلك كفّار قريش والمنافقون كأبي لهب وأبي جهل وغيرهما جميعا، هذه العين والأذن والعقل الدنيوي، وكانوا يسمعون ويبصرون ويتكلمون ويجادلون، وكانوا يحاورون رسول الله ﷺ، كما يحاور المتكلمون، ولكن: «والله إنَّ عيونهم وإنَّ أسماعهم لفي آذانهم وإن قلوبهم لفي صدورهم ولكن العناية الإلهية ما سبقت لهم بالحسنى»[١٢].

أيــهـا الــجاهــل بعــالــم المعنــى

كيــف أشــرح لــك بــيِّن المعنــى[١٣]

٧٨- وذلك الختم والطبع المذكوران في القرآن ليسا على هذا الفم الذي سيصبح تراباً، وإنما هو على القلب ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١٤]، فهيئة البدن وأشكال اليد والرجل تشهد أية صفة لصاحب هذا البدن وماذا كانت نيته. وكذا الطمس ليس لهذه العين، بل هو نصيب عين الضالين الباطنة ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾[١٥].

---

[٨] سورة الحج: الآية ٤٦.

[٩] سورة الشعراء: الآية ٢١٢.

[١٠] سورة ق: الآية ١٧١.

[١١] البقرة ١٧١.

[١٢] وردت العبارة باللغة العربية.

[١٣] البيت لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

اى بــى خبر از جهــان مــعــنى   بــا تو چــه كــنم بيــان معنى

[١٤] سورة يس: الآية ٦٥.

[١٥] سورة يس: الآية ٦٦.

٧٩- وهذه الصور، بسبب مسخ الباطن والحشر في اليوم الآخر، تتحقق وتبدو كالكلب والخنزير والفأر والقرد والنمر و الحية وغيرها ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلاَ يَرْجِعُونَ﴾[16]. وما كان يقع في قوم موسى عليه السلام كان نموذجاً من أحوال الآخرة، وقد كان يسوغ تلك الصفات في نفوسكم يؤدي إلى تحول أبدانهم إلى تلك الصور. ولا يقع ذلك في أمّة محمد (ص). ولكن يدل الحديث: «إخوان العلانية أعداء السريرة يلبسون مسوك الكباش، وقلوبهم كالذئاب»[17]، على وجود مسخ الباطن في هذه الأمة.

---

[16] سورة يس: الآية ٦٧.

[17] لم نعثر على مصدر لهذا الحديث وقد رواه المؤلف بهذا النص بالعربية.

الباب السادس

ثمرة الأصل الثالث

رؤوس الشياطين والدواعي الشيطانية

الباب السادس

الفصل الثالث

في نتيجة الأصل الثالث

وثمرته من رؤساء الشياطين الذين هم الأسباب والدواعي الشيطانية

٨٠- اعلم، أنّ نتيجة تسويلات النفس الأمارة ومكائد القوة الشيطانية كثيرة أيضاً، منها العذاب الأبدي، والخسران السرمدي، والاحتراق بنار الجحيم، والتقييد بالعذاب الأليم، وتلك النار هي التي تتراقص ألسنة لهبها في بواطن المتكبرين وأصحاب العجب، حتى ليشاهدها اليوم أهل البصيرة وأصحاب الكشف بحسب ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾[1]. والنار التي تضرم فيهم في الآخرة ويحترقون بها، يجدونها اليوم بعلم اليقين وعين اليقين ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾[2]. وهذا ما تصوره هذه الأبيات:

من ذلك النور الذي روحي استتر

إنّي أرى من حاله الكون انفجر

وجحيمه رأساً على عقب بدت

من شأنها في الجسم تذويب الحجر

في كل لحظٍ برق آتون بها

هيهات أم هيهات تبقى أو تَذَرْ!

---

[1] سورة النازعات: الآية ٣٦.

[2] سورة التكاثر: الآيات ٥-٦-٧.

مـــن عيـنـــه تسقــط الصـديـــق بلـمحة

رأســـــاً علـــى عقـــب تـــردّ في ســقـــر

وســـلاســـلُ الـــنيـــران تشـوي جســـمَـــهُ

ويـــعنقــه أصــفادُهــــا أبـــقـــت أثـــر

ينـــهـــــالُ بـــرقٌ قـــــد تقــــاطر نحـــوه

بـــغـــــزارة فـــكــــأنـــة زخ الـــمـــطـــر

٨١- ويبدو من مضمون ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٤]، إنّ نِعَمَ هذه الدنيا ولذاتها، ولذات النفس وأماني الهوى، هي التي ستصبح غداً منشأ النعم والعقوبات الأخروية.

وما أحسن ما قال العطار_ روحي فداء ذلك الرفيق _ في منظومته «الهي نامه» (الرسالة الإلهية)[٥]:

أعـــمــاقـــنـا نـــارٌ تـلـظّـــى كَـــوَّنَـــت

مـــن حـــرصنــــا فـــوق الـــجبـــين لجاما

نـــحـــنُ امـــتلكـــنا الـــحِـــرصَ كُـلاً كاملاً

حســــنـــاً، تـــركـــنـــا للـــبعيـــر خُـــطامـــا

ومـــــن البطـــون تسعـــرت نــــــارٌ لـــنـــا

ولســوف نلـــقى في الجـــحيـــم مـــقـــامـــا[٦]

---

[٤] سورة التكاثر، الآية٨.

[٥] إلهي نامة أو الرسالة الإلهية آخر منظومة دونها الشيخ فريد الدين العطار، حققها وقدم لها الدكتور فؤاد روحاني (طهران، ١٩٦٠) كما ترجمها إلى الفرنسية وقدم لها لويس ماسينيون ١٩٥٩.

[٦] الأصل الفارسي هو:

از ايـــن آتش كـــه مـــا را در نـهادست مسـلمـــان در جـــهـــان كمتر فتادست

حــرتيصي بر ســـرت كـــرده فساری ترا حرص است واشتـــر را مــــهـــارى

شكـــم كـــز تـــو بـــروآرد آتش و دود از ايـــن دوزخ بـــدان دوزخ رسى زود

الترجمة: بسبب هذه النار التي في أعماقنا، قلما وقع لمسلم في هذا العالم، لقد وضع الحرص على رأسك لجاما، فلك الحرص وللبعير حطام، إن البطن هو الذي صعدت منك النار والدخان، وسريعاً ستصل من هذا الجحيم إلى تلك.

٨٢- [وقوله تعالى] ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾[٧]، [يعني] كلما انطفأت نار الفتنة والفساد تلك، بسبب الجوع أو النوم، هاجت مادة الشر والعناد مرة أخرى بسبب عودة أسبابها، وأحرقت ثمرة التفكير في العاقبة: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٨].

إن الـــبواطن مثـــل نـــارٍ تُــضـــرمُ

بـــالـــناس تـــوقـــدُ والـــحـــجـــارة تُقحمُ

فـــأنشـــد مـــن نـــارِ الـجحـيم لـهـيـبُها

يُـكـوى كـمـا إبـليـسُ فـيـهـا ابن آدم[٩]

٨٣- تلك هي النار التي يمكن إطفاؤها اليوم بماء التوبة وبضع قطرات من الدمع ابتهالاً وتضرعاً، وغداً حين تبدأ في الاشتعال ومد ألسنتها، لا يكفي مائة ألف بحر لإطفاء شرارة منها..

ومن جملة نتائج الغرور الشيطاني والتسويلات النفسانية الخوض موضوعات دون علم فيها، ودون امتلاك المنهج الصالح للتعاطي معها، فأكثر المتكلمين وعبدة الظاهر، يريدون بهذا العقل الخادع والنقل المنحرف أن يجدوا الحق ويتحدثوا عن الأسماء والصفات الإلهية، وأن يكشفوا سر المعاد وحشر الأجساد عن طريق الحواس، وأن يثبتوا الأحكام الإلهية بالنقل والقياس من غير اتباع مسلك أهل الرياضة وأصحاب القلوب: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[١٠]، فهم لم يعلموا أنَّ هذه العلوم لا تتيسر إلا بتصفية الباطن

---

[٧] سورة الإسراء: الآية ٩٧.

[٨] سورة البقرة: الآية ٢٤.

[٩] الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

درونـت آتـشـى شـد برشراره   كـه ميسوزد زوى ناس وحجارة

ز نـفـس آتـش فتاده در جهنم   زوى سـوزد همـى ابليس وآدم

الترجمة: لقد غدا باطنك ناراً كثيرة الشرر، بها تحترق الناس والحجارة، من النفس أضر من النار في جهنم، وبها يحترق دوماً دوماً إبليس وآدم.

[١٠] سورة الروم: الآية ٧.

ورياضة البدن وترك الجاه والشهرة والصيت وأهل الدنيا والتجرد من سنن الخلق وعاداتهم. وأنه بدون السير على منهج أهل القلب في متابعة الأنبياء والأولياء عليهم السلام، واقتباس نور المعرفة من مشكاة أبواب خاتم النبوة وخاتم الولاية، لا تشرق ذرة من نور اليقين على قلب أي سالك.

طالما مضى الزمان ولم يحصل من الأعزاء أحد

على ملك المعنى بدون زوال ملك الصورة[11].

٨٤- لأن شرط السالك هو أن يطلب الحق عن طريق القلب فقط، لا عن طريق اللسان، وأن يتبع القرآن وأهل بيت نبي آخر الزمان (صلى الله عليه وآله)، عن طريق الباطن، لا بمجرد النقل والحكاية عن طريق اللسان. قال الرسول ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أولهما كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي»[12]، كما أنَّ في القرآن والكتاب متشابهات لا يدركها إلا العلماء الراسخون في العلم، كذلك في الحديث والخبر ألفاظ مشتركة ومتشابهة لا تدركها إلا عقول أهل البصيرة واليقين.

ضلالُ البعض عن فهم الكِتابِ

بتحويلِ الثَّوابِ إلى عقابِ

فَحَبْلُ البئر لا ينجي عنيداً

إذا رفض التمسُّكَ بالطلابِ

ولا يشفي النبيُ عليل جسمٍ

---

[11] البيت لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

دير شد تا هيچكس را از عزيزان نامده است ... بي زوال ملك صورت ملك معنى در كنار

[12] ورد هذا الحديث في: خلاصة عبقات الأنوار، للسيد حامد النقوي ج ٢، ص ٣:

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

إذا مَالَتْ بِه شمسُ الغِيابِ[١٣]

٨٥- وإذا كانت رؤية النبي(ص) ومشاهدة شخصه الشريف لا تنفع إن لم تكن مصحوبة بالوعي ويقظة الباطن؛ فإن من الواضح أن سماع الحديث دون دراية ووعيٍ لا يجدي نفعاً، بل أنه يوجب عدة أنواع من الغرور والاعوجاج والضلال ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾[١٤]. وإن أكثر المتكلمين وأصحاب الرسوم يعتمدون على مجرد السماع والرواية فيضلون، ويريدون تصحيح الأحكام الإلهية من غير نور العرفان، عن طريق الحواس التي هي مثار الغلط والالتباس، وينكرون على السلوك ما يجدونه عندهم من مخالفة لنهج عقولهم التي ترى الظواهر، ويشرعون في الإيذاء واللجاج والاستهزاء:

إن أشرقت شمس الحقيقة في غدٍ

خجلان من سلك المجاز سيغتدي[١٥]

٨٦- وإنَّ هذه الحواس وإن تكن حاجة بوجه، فهي حجاب للطريق بوجه آخر. وإنَّ النفس تحتاج إلى هذه الحواس؛ لأنها في أول وجودها ناقصة جداً وبالقوة، وهي مجردة من جميع العلوم، وهذه الحواس لها، بمثابة لوح مدرسة الطفولة؛ لأن النقوش وصور الموجودات تدرك بها، وبها تسلك الطريق وتنتقل من الصورة إلى المعنى إذ: «إن من فقد حساً فقد علماً»[١٦]، فهي التي تنقل الإنسان من المعنى إلى الحقيقة.

٨٧- والسير إلى الآخرة يُخرج كلَّ شيء من القوة إلى الفعل، لكنَّ ذلك

---

[١٣] الشعر للعارف مولوي، والأصل الفارسي هو:

زانكه از قرآن بسى گمره شدند   زان رسن قومى درون چه شدند

مر رسن را نيست جرمى اى عنود   چون ورا سوداى سربالا نبود

هركه را روى به بهبود نبود   ديدن روى نبى سود نبود

الترجمة: لأن ضل كثيرون عن طريق القرآن، وعن طريق الحبل وقع قوم في البئر، فالذنب ليس ذنب الحبل يا عنيد، اذا لم يكن لك أنت شغف بالصعود، من لم يكن مائلاً نحو الشفاء، لا تنفعه رؤية الوجه النبي.

[١٤] سورة البقرة: الاية ٢٦.

[١٥] الشعر لحافظ الشيرازي، والأصل الفارسي هو:

فردا كه پيشگاه حقيقت شود بديد   شرمنده رهروى كه عمل بر مجاز كرد

الترجمة: عندما تظهر سدة الحقيقة غدا، خجلان السالك الذي عمل بالمجاز.

[١٦] أنظر: ابن العلامة، إيضاح الفوائد، ج ٤، ص ٢٩٩.

لا يتم إلا عندما يرى الطريق السالك بنور الحدس والكشف الساطع، فيقطع السبيل ويطويها بقدم السلوك والبرهان القاطع.

يُهدي المحارب إبنه سيفاً «كذا»

كَم ذا له في هديهِ من مقصدِ

فبذي الفقار الطفل بدَّل سيفهُ

لما التقى سنَّ البلوغ بموعد

فالعالمُ المحسُوسُ مع أوهامهِ

لُعَب ونحن الطفلُ وابن المذوَدِ[١٧]

٨٨- وإنَّ كل من اعتمد على إدراك الحواس، التي هي مثار الغلط والالتباس، وعدَّ سير الآخرة كسير الدنيا، وأراد عقله الناظر للظاهر أن ينظر في ارتفاع شمس القيامة من ثقب أسطرلاب البدن وهذه الآلات الجسمانية، وأن يعد بها كواكب حقائق الملكوت الأعلى؛ لن ينال سوى كلال البصر واضمحلال العين والأذن وملل الطبع وزوال العقل واختلال الفكر **﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾**[١٨].

لن ترى الخالق بالعيون

فلا تزعج عينيك[١٩]

٨٩- وماذا تنفع الحواس إن لم يساندها العقل ويسير معها إلى المقصد الأصلي، وما لم تتنور بنور العشق. فكما أن الحواس عاجزة عن إدراك

---

[١٧] الشعر لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

غازيان طفل خويش را پيو ست — تيغ چوبين از آن دهند بدست

كه چون اين طفل مرد كار شود — تيغ چوبينش ذو الفقار شود

عالم حس وهم وفكر وخيال — همه بازيچة اند وما اطفال

الترجمة: المحاربون يحملون أطفالهم دائماً، سيفا خشبيا والغرض منه، حينما يصبح الطفل رجل حرب، يتحول سيفه إلى ذي فقار، ان عالم الحس والوهم والخيال، كله لعبة ونحن أطفال.

[١٨] سورة الملك: الآية ٤.

[١٩] الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

زبينند گان آفريننده را — نبيني مرنجان دو بيننده را

مدركات القوَّة النظريَّة، كذلك العقل النظري عاجز عن إدراك أوّليّات الأمور الأخرويّة. ومن هذا القبيل معرفة يوم القيامة الذي يبلغ مقداره خمسين ألف سنة[٢٠] من سنيٍّ الدنيا. والحشر ورجوع جميع الخلائق إلى خالق العالم، وحشر الأرواح والأجساد، ونشر الصحائف، وتطاير الكتب، ومعنى الصراط والميزان، والفرق بين القرآن والكتاب، وسر الشفاعة، ومعنى الكوثر والأنهار الأربعة، وشجرة طوبى، والجنة والنار وطبقات كل منهما، ومعنى الأعراف، ونزول الملائكة والشياطين والحفظة والكرام الكاتبين، وسر المعراج الروحاني والجسماني الذي هو خاص بخاتم الأنبياء (عليه وآله الصلاة)، وسائر أحوال الآخرة ونشأة القبر، وكل ما حكي من هذه المقولات عن الأنبياء (عليهم السلام)، وغير ذلك من العلوم والمكاشفات أسرار يعجز العقل النظري عن إدراكها، ولا يتاح إدراكها إلا بنور متابعة وحي السيد العربي وأهل بيت النبوة والولاية عليهم السلام والثناء، وليس لأهل الحكمة والكلام في ذلك إلا نصيب قليل.

حبيبي حديثُ العشقِ مختلفُ الهوى
وهذا حديث للسُّماعِ مخالفُ
فلولا فتحت القلب لحظ بصيرةٍ
فهمت تمامَ الفهمِ ما أنا هادفُ[٢١]

٩٠- لا يُدَوَّن على صفحات هذا الكتاب إلا في مدرسة التقديس بقلم إبداع ﴿**عَلَّمَ بِالْقَلَم * عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[٢٢]، ولا تتيسَّر قراءته إلا بسعي ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إنْ هُوَ إلاَ وَحْيٌ يُوحَى**﴾[٢٣]، وسواد ذلك الخط لا ينتقل من القوَّة إلى الفعل إلا بتأييد ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[٢٤]، ولا يدرك

---

[٢٠] إشارة إلى الآية القرآنية في سورة المعراج ﴿**تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾ سورة المعراج: الآية ٤.

[٢١] الشعر لشاعر غير معروف و الأصل الفارسي هو:

اى دوست حديث عشق ديگر گونست   وزگفت وشنيد اين سخن بيرونست

گر ديده ء دل بازكشائي نفسى   معلوم شود كه اين حكاية چونست

الترجمة: أيها الحبيب إن حديث العشق لمختلف، وهذا الحديث خارج عن القول والسماع، لو فتحت بصر القلب لحظة، لتضح لك كيف هي هذه الحكاية.

[٢٢] سورة العلق: الآيتان ٤-٥.

[٢٣] سورة النجم: الآية ٣ - ٤.

[٢٤] سورة النجم: الآية ٥.

العلم إلا بتعليم: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾[٢٥].

مَن رامَــهُ بـِـالعَــقلِ مُستَرشِـــداً
أســرى بـــه في حَــيــرَةٍ يَــلــهو
و شــابَ بــالتَّلــبيــسِ أسرارُهُ
يَــقــولُ في حَــيــرَتــهِ هَــل هــو[٢٦]

❖❖❖

بعــين الــعــقل مــا عُرفت
طــريــق الله أو طـــلـــبــت
فــعــين الــرُوح لا تــجــرح
بــشــوك مـــاؤه نــضــبــت
لأنَ الـــرُّوح قـــد قُــهِــرت
إلا الله أو صُــــلـِــبَــتْ
على غصــنــين مــن لــفــظٍ
لا في اللــوح مُـــذ كتبــت
قتــلــتُ مثــيــلــكــم ألــفــاً

---

[٢٥] سورة الكهف: الآية ٦٥.

[٢٦] الشعر للحلاج، وقد أدخل المؤلف عليها بعض التعديل و أصلها:

مَن رامَهُ بالعَقل مُسترشِداً — أسرَحَهُ في حَيرَةٍ يَلهو
قد شابَ بالتَدليسِ أسرارُهُ — يَقولُ في حَيرَتِهِ هَل هو

لعشق الغمِّ إذ نُسيت

وما لطخت من دِمها

لأنملة بها سُكبت[٢٧]

[٢٧] الشعر للشاعر سناني غزنوي والأصل الفارسي هو:

راه توحيد را بعقل مجو ديدهء را بخار مخار

زانكه كرده است قهر إلا الله روح را بر دوشاخ "لا" بردار

من چون تو هزار عاشق از غم كشتم كزخون كس آلودة نشد انگشتم

الترجمة:لا تطلب طريق التوحيد بالعقل، ولا تجرح عين الروح بالشوك، لأن قهر «إلا الله» جعل الروح، مسلوبة على غصني «لا»، أنا قتلت مثلك ألف عاشق من الغم، ولم يتلطخ من دم أحد أصبعي.

الباب السابع



فصل آخر

في بيان النصيحة والتنبيه
على طريق السعادة والشقاء

٩١- أيها الصُّوَرِي الغافل، إنَّ ما قلته لك، كان كله على سبيل النصيحة وسلامة القلب للتخلص من آفة الغضب والغيظ والحقد والحسد، ومن باب الإشفاق عليك، ولست أضمر لك العداوة الخصومة. وبعد أن علمت بهذا البيان الواضح، أن حب الجاه والمنصب ولذة المال والرئاسة وغرور النفس الأمارة بالمكر والحيلة وكل ما يماثلها، وهي من الأمراض النفسانيّة والمهلكات ومن أصول جهنم، وإذا ما رسخت في النفس وصارت مزمِنة، عجز عن معالجتها الأطباء الروحانيون، وما قدروا على حسم مادتها، كما يعجز الأطباء الجسمانيون عن معالجة الأكمه والأبرص. فقد نُقِلَ عن عيسى (على نبينا وعليه السلام)، أنَّه قال: «لست أعجز عن معالجة الأكمه والأبرص، ولكنني أعجز عن معالجة الجهل المركب»؛ وذلك لأنّه من الأمراض النفسانية، وكلّ الأمراض النفسانية إذا رسخت في النفس، أوجبت الهلاك الأبدي واستحال زوالها.

٩٢- فالآن، إن لم تكن حجراً، ولم تترسخ فيك تلك الصفات، فسيظهر أثر الوعظ فيك سريعاً، وإلا يكون قد مضى زمن العودة الى الرشد، نعيتك أنت وأشباهك من المتحجرين، وقرأت على مقبرتك: **﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾**[1]. ولو أنك جعلت أمر الآخرة نصب عينيك، لما كنت ابتليت بهذا الإدبار كلِّه. ولو كانت الحرية في الآخرة مبتغاك ومطلبك، ما كنت قيدت نفسك بعدة سلاسل وأغلال **﴿الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ﴾**[2].

٩٣- وإذا لمست أنَّ تلك الأصول الثلاثة من أصول جهنم، وأن جميع

---

[1] سورة النحل: الآية ٢١.

[2] سورة الأحقاف: الآية ٢٣.

آغصان الشقاء والتعاسة تنبت من هذه الجذور، ومن نتائج هذه الأصول وثمراتها وأوزارها وتبعاتها، فارجع الآن ساعة إلى نفسك، وانغمس لحظة فيها، وانظر هل هذه الأصول موجودة فيك أم لا؟

٩٤- فإن وجدت أنَّ هذه الأصول الثلاثة مغروسة في باطنك كلها أو بعضها، فاعلم أنك مريض النفس، واسع في علاج ذلك المرض؛ لأنه من المهلكات. واعمل بما يمليع عليك أطباء الأرواح والنفوس، من قوانين تؤدي إلى دفع كل تلك الأمراض النفسانية وإزالتها. واعمل على تطهير نفسك، واتهم نفسك بكل سيئة ترمي الناس بها، سواء كان ذلك الاعتقادات أو الأعمال، وعُدَّ رأيك باطلاً عليلاً، لأن رأي العليل ضعيف. واعلم أنَّ المشكلة العظمى هي تنزيهك ذاتك من تلك الصفات، سيما الجهل. وأنك التحفت أنَّ غرور الشيطان،وتحسب نفسك عالماً ولست بعالم، وما ادعاؤك العلم إلا لأنك تلفت شيئاً من عمرك في دروس العلماء أو قراءة ما يكتبون. والأدهى إنك ربما كتبت لا تفهم شيئاً من حقيقة ما قرأت أو سمعت .

هذا الحصاد من العلم الذي اجتمعا

خير منه رأس مال رجل قاطف للعناقيد[٣]

٩٥- لو كان فكرك خالياً من هذه الزخارف، أو لو عاد إلى سذاجته الأصلية - «إذ البلاهة أدنى إلى الخلاص من فطانة بتراء»[٤]- لكان خيراً لك.

إن قصتك واكتسابك العلوم وتصويرك نفسك بالصور الفاسدة، إنما هي حكاية ذلك النقاش في بلاد اليونان، الذي كان يقول لأحد الحكماء: «جصص بيتك لأصوّره»[٥]، فقال الحكيم في جوابه: «صوره لأجصصه»[٦].

---

[٣] البيت لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

اين خرمن دا نش كه تو اندوخته اى　　سرماية مرد خوشه چيني به از اوست

[٤] التحفة السنية (مخطوط)- السيد عبد الله الجزائري، ص ٦٩ مع تغيير بسيط في العبارة: وان البلاهة اقرب إلى السلامة من فطانة بتراء.

[٥] هذه العبارة وردت باللغة العربية، وهي منتزعة من كتاب الملل والنحل للشهرستاني ج٢ ص٢١٢: «وكان بأثينه نقاش غير حاذق فأتى ديمقريطيس وقال جصّص بيتك فاصوره قال صوره أولا حتى أجصصه، وقال مثل العلم مع من لا يقبل، وإن قبل لا يعمل، كمثل دواء مع سقيم وهو لا يداوى به، وقيل له: لا تنظر فغمض عينيه، قيل له: لا تسمع فسد أذنيه، قيل له: لا تتكلم فوضع يده على شفتيه، قيل له: لا تعلم قال لا أقدر وإنما أراد به أن البواطن لا تندرج تحت الاختيار فأشار إلى ضرورة السر واختيار الظاهر ولما كان الإنسان مضطر الحدوث كان معزول الولاية عن قلبه وهو بقلبه أكبر منه بسائر جوارحه فلهذا لم يستطع =

[٦] وردت هذه العبارة باللغة العربية، وهي تابعة للنص السابق. .

هذه العلوم التي جعلت بيت القلب منقوشاً ومزيناً بها، هذا القلب الذي هو في الأصل جدير بأن يكون محلاً لمعرفة الحكمتين، ينبغي أن يغسل بماء النسيان، ويجصص بغسالة السذاجة، كي ينقش فيه بعد المحو، مرة أخرى، إن شاء الله شيء ينفع: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[7].

إن القلب هـو أكـبـر خـزائـن المـعـرفـة

قـد جـعـلـتـه لـرسـوم الأطـفـال مـلـعـباً

مـتـى يـقـبـل ضميرك آثار الفيض، هيهات

إلا أن تـمـحـوه عـن الـنـفـوس المشـتـتـة[8]

٩٦- لكن ما الفائدة إذا كان أكثر الجهلة يحسبون أنفسهم كاملين، وأكثر أهل التلبيس والغرور يعدون أنفسهم محقّين ومصيبين، وإن كثيراً من مرضى النفس والهوى يظنون أنفسهم أصحاء، ولكن ماذا تقول في باب حب الجاه والرئاسة ومحبة الدنيا والمال والعزة؟ وكيف ستنكر هذا؟ وبأي حيلة وغرور ستعذر نفسك؟ ألا ترى كيف تكدح في جميع الأسباب وتحصيل المستلذات؟ وأي عمر تضيع في خدمة أهل الثروة والمنصب؟ وكيف تتلف أوقاتك في عبودية الحكام والسلاطين؟ وكيف تسعى بفنون الحيل والمكر في سبيل توسيع أسباب العيش، وتصرف الروح والإيمان على الدوام في أمر الجمال والزينة لك ولمن يتعلّق بك؟

٩٧- إن لم تعلم هذا أيضاً فما أجهلك وما أشد غرورك، والجهال في الدنيا أشرف منك؛ لأنهم معترفون بمرض محبة الدنيا، وأنت لست كذلك. وإن اكتشفت هذه العلة في نفسك، فاقرع لنفسك ساعة، واعلم أن سر الشقاء كله إنما هو هذا، فقد روي رسول الله: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[9]. وإن هذه

= أن يتصرف في أصله لاستحالة أن يكون فاعل أصله. ولهذا الكلام شرح آخر وهو أنه أراد التمييز بين العقل والحس، فإن الإدراك العقلي لا يتصور للانفكاك عنه وإذا حصل لن يتصور نسيانه بالاختيار والإعراض عنه بخلاف الإدراك الحسي وهذا يدل على أن العقل ليس من جنس الحس ولا النفس من حيز البدن».

[7] سورة الرعد: الآية ٣٩.

[8] الشعر لحافظ الشيرازي، والأصل الفارسي هو :

دل راكـه مهين خـزانـهء مـعـرفـتست   بازيـكـه نـقـشـهاى طـفـلان كردى

خـاطـرت كـى رقـم فيض پذيرد هيهات   مـگـر از نـقـش پـراكنده ورق ساده كنى

[9] مجمع الفائدة، المحقق الأردبيلي، ج ٢١، ص ٣٦٧.

العلة هي التي صارت منشأ عداوتك وعداوة أترابك للفقراء والمنزوين؛ لأنكم وهم تريدون، عن طريق الخديعة والرياء والتشبه بالعلماء، أن تكتسبوا الجاه والعزة، وتحصلوا على المال والثروة، وتصطادوا العوام بقوة الحيلة والتلبيس، وتهيأوا أسباب التمتع بالدنيا من خلال التظاهر بالصلاح والتقوى. وإذا شعرتم أن أحداً ما مطلع حسب الباطن، وعارف بما تضمرونه من مكر وغدر وجهالة وكيد وبطالة، فإنكم تريدون استئصاله عن وجه الأرض، خوفاً من أن يظهر منه شيء من الفعل والقول والعمل ينافي مسلك عبادة الهوى والغرور. وإن عمد هو نفسه أحيانا إلى النصيحة، أو ذم الجهلة والمنافقين، أو تكلم على وجه الحقيقة بكلمة مضادة لطبيعة أصحاب الخديعة والمكر، يرتفع في الحال دخان الكبر والنخوة من مهوى قذر الغضب والشهوة إلى مصعد الدماغ كدراً مظلماً؛ بحيث لا يبقى فيه مكان لأيّ فكر سليم. ويغطي غبار الحقد والحسد صفحة مرآة الإدراك، حتى لا يبقى فيها محل لصورة النصيحة، وينطفئ سراج العقل في رؤوسكم بأقل نفخة مما يعتمل فيها من رياح النخوة والكبر كيف لا وهو خافت الضياء أصلاً.

تطفيء شمع قلوبهم دائما

تلك الرياح التي في أدمغتهم[10]

ومثل هؤلاء المرضى ردهم الخصومات والجدل، أو المكر والاحتيال، ودفع النصيحة بالنقض، رغبة في تحقير الناصح وتسخيف رأيه.

ينقّص العدو قدري أحيانا

كما نُقّصَ الكتابُ من نَفَسِ باسم الله

متى ينقص من آفة الكاتب والقلم

قدر يأسهم بفعل هذين[11]

---

[10] الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي:

شمع دلشان نشانده پيوست آن باد كه در ماغشان هست.

[11] الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

قدر من كم كنند عدو گه گه جون دبيران زنقش بسم الله

كي شود زآفت دبير وقلم قدر بسم الله أز دو بدرءء كم

٩٨-وتختلف أساليب هؤلاء وأدواتهم وردات أفعالهم من شخص إلى آخر، ومن حال إلى حال فتارة يتلبسون بلباس الفقه وأهله، وأخرى يستعينون بالمكر والخديعة، وثالثة يتلبسون بلباس علماء الكلام ويعتمدون أساليبهم في الجدل والمكابرة، ورابعة يعتمدون طريقة أهل الكبر والرعونه، وهي التعالي والتجاهل، وقد ابتلي رسول الله (ص) بجمع من المنافقين وأحبار اليهود مارسوا الأساليب نفسها في مواجهته والكيد له.

٩٩- وبعض هؤلاء أيضاً، من ينكر العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية، ويذم طريق أهل الحقيقة والعرفان، ومنهم من يثني على الجهال وعشاق الأبدان المادية الذين لا يهمهم سواها همّ، بسبب التعارف الأصلي وبسبب التناسب والتشابه الجبلي الذي يربط النفوس المعطلة وعبدة آلهة الهوى وعباد هياكل الدنيا وأصنامها، وأتباع الشياطين وأهل البدع والأهواء وخدمتهم: **﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾**[١٢]، ويستفاد من بعض الآيات القرآنيّة أن اليهود كانوا منكرين للملائكة المقدسين ولا يؤمنون بالروحانيات وعالم الملكوت والتجرد، وأنهم كانوا يحصرون العالم في نشأة الأجساد، ومن ذلك هذه الآية: **﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً للهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾**[١٣]، **﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾**[١٤] **﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾**[١٥].

١٠٠- وإذا ثبت بالبرهان العقلي والكشف القلبي، طبقاً للشواهد النقلية، وجود الملائكة الروحانية والعالم العقلي والأرواح المقدسة المطهرة من تلوث الطبيعة، المبرأة من رجس آثار الشهوة والغضب والمنزهة عن الأكل والشرب كما يدل عليه كلام أمير المؤمنين وإمام الموحدين(عليه السلام) في مواضع عديدة من خطبه وكلماته الحقة، فإنَّ من ينكر حقيقة الملائكة، وينفي ما لم تدركه الحواس الخمس، هو عند العارف المُحِقّ والبصير المُحَدِّق بحكم

[١٢] سورة الجاثية: الآية ٢٣.

[١٣] سورة البقرة: الآية ٩٧.

[١٤] سورة البقرة: الآية ٩٤.

[١٥] سورة البقرة: الآية ١٣٦.

كفار اليهود، مثل الظاهرية والحشوية.

١٠١- ومن هذا الصنف من ينكر كل مجرد غير الحق تعالى، وقد عُلم سابقاً أن من حصر العالم في عالم الحس والشهادة هو من منكري نشأة القيامة ضميراً واعتقاداً، وليس من الذين يصدق عليهم: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾[١٦] ومن يعد يوم الآخرة من نوع أيام الدنيا. فإنه لن يكون حقاً من جملة من ﴿**يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾[١٧].

١٠٢- وقد ظهر مما تقدم أنَّ بين الإسلام اللساني والإيمان القلبي فرق شاسع، كالفرق ما بين الأرض والسماء. فليس كل من أقر بأركان الدين باللسان مؤمناً، وإن جرت عليه أحكام المسلمين بحسب. فالمؤمن الحقيقي هو العارف بالله وملائكته ورسله واليوم الآخِر: ﴿**والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**﴾[١٨] و ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً**﴾[١٩]، وهذا الإيمان العطائي نور يقذفه الله في قلب المؤمن، وبذاك النور يدرك المؤمن كل نور من أنوار عالم الغيب.

بنور الحق أشرقت السماء

وفي الأرضين قد عَمَّ الضياءُ

ألا فاسلك طريقَ الحقِّ وَاسْعَ

إلى ملك العدالة لا تُساءُ

فأنت الآن محجوبٌ بعتمٍ

وقليل من سنا الدنيا براءُ

وإذ رجلاك في الأوحال خبت

بيأس لبابك انقطع الرجاء

---

[١٦] سورة البقرة: الآية ٣.

[١٧] إشارة إلى آيات متعددة من القرآن الكريم مثل: آل عمران: الآية ١١٤، سورة التوبة: الآية ٤٤، سورة الحشر: الآية ٢٢.

[١٨] سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

[١٩] سورة النساء: الآية ١٣٦.

فما في الكون كالإنسان عبدٌ

له مع ربه أبداً لقاءُ

حقائقه، به اتصلت جميعاً

فأوّلها لثانيها غطاءُ

وشمسُ الروح ظَلّلْها بروح

له لو لم تَكُنْ كان الفناءُ

حياة الكائنات رهينُ عينٍ

وقلبُ وجوده للعين ماءُ

وللأموات نفخُ الصُّور بعثٌ

ضميرُ كيانه فيه الدُعاءُ

حقيقة صورة المحسُوس قبرٌ

تفتَّحَ حين يأتيه النداءُ

ليوم الحشر يدعي كلُّ خَلْقٍ

بِعَرْصَةِ محشرٍ فيها ابتلاءُ

فيخرجُ كلًّ محسوسٍ بروحٍ

هو القاضي متى حلّ القضاءُ[20]

من الأرواح قد يُنشي وجُودا

---

[20] الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

يكى نوريست از حق برتو افكن — زمين وآسمان زان گشته روشن
بنور الحق توان راه يقين يافت — از ان ماندى بدنيا پاى در گل
تو اى محجوب ازآن نور اى سيه دل — ازآن ماندى بدنيا باي در كل
چنان محبوس اين محسوس گشتي — كه از عقل وخرد مايوس كشتى
وجودى در جهان چون آدمى نيست — جز او كس را بايزد همدمى نيست
حقائق رابدو بيوند از آنست — كه جانش سايهء خورشيد جانست
اكرنه جانش از حق نور تابست — چراهر جيز را باوى حسابست
دل او چشمهء آب حيات است — كه در وى زندگى كائناتست=

ويَضعُ عالماً أنَّى يشاءُ

ويطوي العالمين بذاتِ نفسٍ

ويُطوى بين كفَّيهِ الفضاءُ

= ضميرش هست چون صحراى محشر   كه صورت هر حقيقت راچو كورست

برون آرد زهر محسوس جانى   بسازد در خود از جانها جهانى

بيكدم طى كندهر دو جهان را   زمين بگذارد وهم آسمان را

الترجمة: ثمة نور من جانب الحق مشرق، صارت الأرض والسماء منه مشرقتين، بنور الحق سلوك طريق الحق ممكن، والذهاب من هنا إلى ملك العدل والدين، أنت يا محجوب من هذا النور يا أسود القلب، بقيت في الدنيا ورجلاك في الوحل، لقد صرت محبوس هذا المحسوس، حتى صرت يانسا من العقل واللب، ليس في العالم وجود كالإنسان، ليس لأحد سواه منادمة مع الله، الحقائق متصلة به، لأن روحه ظل لشمس الروح، لو لم تكن روحه مشرقة من الحق، فلمَ لكل شيء حساب معه، قلبه عين ماء الحياة، لأن فيه حياة الكائنات، ضميره للأموات نفخ الصور؛ لأن الصورة لكل حقيقة كالقبر، ضميره كعرصة المحشر، التي يحشر فيها الجميع دفعة، إنه يخرج من كل محسوس روحاً، وهو يصنع في نفسه من الأرواح عالماً، يطوي العالمين بنفس واحد، يتجاوز الأرض وكذا السماء.

الباب الثامن

في العثور على سبيل الله الذي هو مسير السالكين ومسلك المبصرين

الباب الثامن

فصل الثامن

في العثور على سبيل الله الذي هو مسير السالكين ومسلك المبصرين

١٠٣- قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِه سَبِيلِي أَدْعُو إِلى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَني﴾[١] و﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[٢] و﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهتدى فإنما يهتدي لِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾[٣]. اعلم أنّ الإنسان، وإن كان من جهة كثافة البدن من جنس البهائم والأنعام، ولكنّه يمتاز عنها بأنّ روحه النفسانية مستعدة لتقبل فيض الروح القدسيّة، وهو وإن كان من حيث لطافة النفس مشاركاً لملائكة السماوات، ولكنّه يمتاز عنها بقدرته على التطوُّر، ويمكن أن يميل إلى أيّة صورة، ويسير في المقامات الكونيّة، ويتطوَّر في الأطوار الملكيّة والملكوتية والمعارج النفسانية والروحانية، ويمكنه التخلق بالأخلاق الإلهية وتعلم الأسماء الربانية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[٤]. وهذا الأمر لم يقرر لأي ملاك، فكلُّ واحد منهم له مقام: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[٥]. ولم يتعلم الواحد منهم أكثر من اسم واحد ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[٦]، ويشير إلى هذا المعنى كلام أمير المؤمنين×: «فمنهم سجود لا يركعون وركوع لا يسجدون»[٧].

---

[١] سورة يوسف: الآية ١٠٨.

[٢] سورة النساء:الآية ١٦٣.

[٣] الأنعام: الآية ١٠٤، مع العلم ان الآية ﴿قَدْ جَاءكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾.

[٤] سورة البقرة: الآية ٣١.

[٥] سورة الصافات: الآية ١٦٤.

[٦] سورة البقرةالآية ٣٢.

[٧] نور البراهين، السيد نعمة الله الجزائري، ج ٢، ص ١٠٠ : منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون.

١٠٤- والإنسان يختصُّ أيضاً من بين الممكنات بأنَّ حقيقته ممتزجة من روحين، أحدهما روح حيوانية فانية، والأخرى روح ملكية باقية، فهو لهذا السبب له في كل زمان خلق ولبس جديدان، وموت وحياة متجددان، ويتسنَّى له الترقي من منزل إلى منزل، وُيتَّاح له الانتقال من مقام إلى مقام، ويتحول من نشأة إلى نشأة.

لَقَد صارَ قَلبي قابِلاً كُلَّ صورَةٍ
فَمَرعىً لِغِزلانٍ وَدَيرٌ لِرُهبانِ[8]

١٠٥- إلى أن يتجاوز_ بسبب هذه الفناءات_ جميع المنازل الكونية والمقامات الخلقية ويشرع في المنازل الملكوتية ويسير في الأسماء الإلهية ويتخلق بأخلاق الله إلى أن يصل إلى مقام الفناء الكلي والبقاء الأبدي ويستقر في الموطن الحقيقي: ﴿إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[9].

مات فيَّ الجماد وصرت ناميا
و من النماء وأطلت طلعة من الحيوان
وانقص بعدها عيش الحيوان وصرت آدمياً
فكيف أخشى الموت أو أراه نقصاً؟!
وهكذا يقتلني الموت من البشرية
وهناك لا يسع الخيال ولا الوهم
ما بعد الموت الملاك في
فهناك الفناء والعدم كما
يقول لي: الأرغنون «إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»[10]

---

[8] ابن عربي ، الديوان.

[9] سورة البقرة: الآية ١٥٦.

[10] الشعر لجلال الدين الرومي(ت٦٧٢) في كتابه المثنوي، المجلد الثالث قصة عاشق بخارى:

از جمادي مردم ونامي شدم   وز نما مردم زحيوان سرزدم=

وجــه الــحبـيــب رأيـتــه بــــوضــوحِ

بــأمــر قــلــتـــه لــلـــروح روحــــي

ويــتـــرك رأســي دون قــيــد مــداركــي

رأيـــت الــجــســم مــنــقــلــبـاً لــرُوحِ

لمـــا وضــعـــت الــنــفــس تحت يغـــالها

تستـسهـــل الألــم المُــقــيــم جــروحــي

ورأيـــتُ نــفــسي أزْهِــقَـــتْ بـــقــيــودها

بحـــجـــاب مُــلـــك دائـــرٍ مــقـــمــوحِ[11]

١٠٦- وحاصل الكلام أن الإنسان هو بالقوَّة خليفة الله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[12]، وهو قادر على تعلم الأسماء ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[13]

مــردم از حــيــوانـــي وآدم شـــدم	تـــا بـــر آرم از مـــلائـــك بـــال وپــر
بـــار ديــگر هــم بميــرم از بــشر	آنـجـــه انــدر وهــم نـايد آن شوم
بـــار ديـــگر از مـلـــك قـــربان شوم	گـــويـــدم كـــانـــا الـيــــه راجـعون

هذه الأبيات ترجمة من قبل إبراهيم الدسوقي شتا من خلال ترجمة المثنوي، في ترجمة المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧، وجاءت الترجمة على الشكل التالي:

لقد مت من الجمادية وصرت ناميا، ومت من النماء وانقلبت حيوانا، ومت من الحيوانية وصرت إنسانا، إذا فمن أي شيء أخاف؟ ، ومتى نقصت من الموت؟ ، ما موت مرة أخرى من البشرية، حتى أخذ من الملائكة أجنحتها وقوادمها، ومن الملائكية ينبغي أن أقلع عن الطلب، ذلك، ان كل شيء هالك إلا وجهه، ثم أصير بعدها فداء من الملائكية، وأصير إلى ما لا يحده وهم ، إذا أصير عدما والعدم كالأرغنون، يتغنى لي قائلا: انا اليه راجعون.

[11] أصل الأبيات باللغة الفارسية، وهي لشاعر غير معروف:

از ســرجـان چـو گـذشـتـم راخ جـانـــان ديــدم	تـــرك ســـر كـــردم وســـر تاســـر تـــجان ديدم
در بيـــابـــان فـــنـــا ازپـــى تحـــصـيـــل بـــقـــا	خــــوش زيــــر قــــدم آوردم وآسـان ديـــدم
هر حـــجـا بـى كـه مرا بـود ازآن بود كه خويش	خــستــــهء چـــرخ فـلـك بستهء اركان ديـــدم

لما تركت الروح رأيت وجه المحبوب، تركت الرأس ورأيت الجسم كله روحا، في مفازة الفناء وراء تحصيل البقاء، وضعت نفسي تحت القدم فرأيت الأمر سهلاً، كل حجاب كان لي إنما كان لأنني، رأيت نفسي مرهقا مقيد الأركان بالفلك الدوار.

[12] سورة البقرة: الآية ٣٠.

[13] سورة البقرة: الآية ٣١.

أنـــت بـــالـــقـــوة خـــلـيـفـــة مـــن الله

أدرك قـــوتـــك وحـــولـهـا إلى الـفـعـــل[١٤]

وهو من تسجد له ملائكة الأرض والسماء: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[١٥]

إن تـــكـــن إنـــســـانـــي الـصـفـــة

لأن تراب الإنسان موضع سجود الملاك[١٦]

وهو حامل الأمانة التي عجزت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن من حملها: ﴿**وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾[١٧].

لم تقدر الســمــاء علـــى حـمـل الأمانة

فـاســحـبـوا الـقـرعـــة بـاسـمـي أنـا المجنون[١٨]

❖❖❖❖❖❖❖❖

إن الجـــهـــول مـــع الـــظَّـــلـــوم ســـــواءُ

لـــلـــنُّـــــورِ ضـــدٌ قـــالـــت الـعُـــقَـــلاءُ

بـــطـــلاء مـــــرآةٍ يُـــكـــدِّرُ صـفـــوَهـــا

في وجـــهـــهـــا الـــثـــانـــي يـســـود صـفـاءُ

فضـــلُ الـــقـــبـيـحِ على المليح تـــمـــايـــزٌ

فـــبـــضـــدِّهـــا تـــتـــمـــيَّـــز الأشـــيـــاء

قـــد كُـــنْـــتَ صـــورةَ خالقٍ له خضعت

---

[١٤] الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

تـــو بقـــوت خليفة اى زخدا قـــوت خـــويـــش را بـــيـــار بجا

[١٥] سورة الحجر: الآية ٢٩.

[١٦] الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

گر آدمـــى صفتى از فرشـــتـــه دركذرى كه سجده گاه ملك خـــاك آدمـــيـــزادست

[١٧] الأحزاب ٧٢.

[١٨] الشعر لحافظ الشيرازي والأصل الفارسي هو:

آســـمـــان بـــار امانت نتوانست كشيد قـــرعـــه‌ء فـــال بـنـام مـــن ديوانه زدند

كل الملائك ما بها استثناء

فلشأنِ صورتك العظيم ظهورها

سَجَدَتْ ملائكة السما الغراءُ

وملكت روحاً من جميع جسومها

فلذا أطاعت أمر العزاءُ[19]

١٠٧-وكما يمكن للإنسان _ بسبب الترقي في العلم والعمل والفناء والبقاء_ أن يعرج من الحضيض إلى أعلى عليين وأشرف المقامات والدرجات للملائكة المقربين، كذلك يمكن_ بسبب اتباع النفس والهوى ووفقا لحركة الطبيعة والهيولى_ أن يتدنًّى من المقام الذي هو فيه إلى أدنى منازل الخسائس وأسفل السافلين، ويهوي إلى منزلة الدواب ومهوى الحشرات، فيُحشر مع الشياطين والسباع والوحوش.

١٠٨- ولا يتيسَّر الخلاص من هذه السجون المظلمة ولا يُتاح الإرتقاء إلى المقام العالي المرتفع، إلا بنور العلم وقوة العمل.

الصراط الأفضل نحو سماء الأزل

يشيد من درجات سلم العلم والعمل[20]

والغرض من العمل هو تصفية الباطن وتطهير القلب، والمقصود من العلم تنويره وتكميله ونقش صور الحقائق على صفحاته.

---

[19] الشعر للعارف محمود شبستري والأصل الفارسي هو :

ظلومي وجهولي ضد نورند ... وليكن مظهر عين ظهورند

جو بشت آينه باشد مكدر ... نما يد روى شخص از عكس ديكر

تو بودى عكس معبود ملائك ... از آن كشتى تو مسجود ملائك

بود از هر تنى بيش تو جاني ... از آن دريسته با تو ريسمانى

از آن كشتند امرت را مستخر ... كه جان هريكى درتست مضمر

الترجمة: الظلوم والجهول هما ضد النور، ولكنهما مظهر عين الظهور، وذلك، أنت كنت صورة معبود الملائكة، لذلك صرت أنت مسجود الملائكة، إن عندك من كل جسم روحا، ينعقد منه بك رباط، لذلك صاروا مسخرين لأمرك؛ لأن روح كل منهم مستتر فيك.

[20] الشعر لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

نردبان پاية به زعلم وعمل ... نبود سوى آسمان ازل

لطائر روحك العلم الجناحُ

يزورُ بروحك الفلك العليَّا

ففرق قائمٌ ما بين فهم

وآخر جاهلٍ جهلاً عميًّا

سأعطي فاسمعوا لي إن أردتم

على ما قلته مثلاً سوياً

فهذا كالمهندس في مقام

وذا مستأجر أجراً كدّيا

ومن بالروح يعمل دون شكٍّ

ينل من نخله رُطباً شهياً

فإن تعلم ولم تعمل بعلم

فإنك فاعل شيئاً فرياً

وعلم يُوصف الكبرَ المجليَ

عظيم دونه عملٌ يُهيا

وبين العلم والعمل اختلافٌ

كبعدِ الأرض عن نجم الثريَّا[٢١]

١٠٩- والعلم الذي هو المقصد الأصلي والكمال الحقيقي، والذي يوجب القرب من الحق تعالى، هو العلم الإلهي وعلم المكاشفات، لا علم المعاملات، وجميع أبواب العلوم غايتها مجرد العمل، وفائدة العمل تصفية الظاهر والباطن

---

[٢١] الشعر للشاعر أوحدي مراغي والأصل الفارسي هو:

علم بالست مرغ جانت را ... بر سپهر أو برد روانت را

از عمل مر علم باشد دور ... مثل این مهندس ومزدور

مزد آن کم زمزد این زانست ... کو بتن کرد واین بجان دانست

الترجمة: العلم جناح لطائر روحك، يذهب بروحك إلى الفلك الأعلى، رجل العلم بعيد عن العمل، مثل هذا المهندس والأجير، أجرة هذا أقل من ذاك، لأنه يعمل بالبدن والأخر يعمل بالروح.

وتهذيبهما، وفائدة تهذيب الباطن حصول صور العلوم الحقيقية، وتستفاد هذه الدعوة من القرآن والحديث وكلمات الأولياء والعرفاء على الوجه الأتم، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ**﴾[٢٢]، فمن هذه الآية يعلم أنه لم يَعرف الله، ولم يشهد له بالوحدانية إلا الله والملائكة وأولو العلم، والعلم هنا، هو علم التوحيد لا العلوم الأخرى، كما يعلم من الآية: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ**﴾[٢٣] ومن قوله تعالى: ﴿**قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[٢٤] و لا يعرف رسول الله بالرسالة والنبوة إلا أولو العلم، وأما أرباب العمل والعلوم الجزئية، فمعزولون عن هذا العلم الذي هو علم الحقيقة.

العلم الجزئي ليس إلا للعمل

فإذا لم يكن عمل فالعلم ليس إلا مكرا

لكن العلم المشوب بالكبر

أفضل من كل عمل يصدر عن الجسم

إن نسبة العلم إلى العمل يا جاهل

هي كنسبة الروح إلى البدن

علم الروح إنما هو ليوم الدين

وعلم البدن هو للحب والبغض[٢٥]

١١٠- أيها العزيز: إن الفرق بين عمل القلب وعمل الطين كبير، والتفاوت بينهما بالغ:

---

[٢٢] سورة آل عمران: الآية ١٨.

[٢٣] سورة سبأ: الآية ٦.

[٢٤] سورة الرعد: الآية ٤٣.

[٢٥] الأبيات لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

علم جزئى نيست جز بهر عمل	**چون عمل نبود نباشد جز دغل**
ليك آن علمى كه وصف كبرياست	**به بود از هر عمل كز تن بخاست**
نسبت علم وعمل با يكدگر	**همچو جان وتن بود اي بى خبر**
علم جان از بهر روز دين بود	**علم تن ازبهر مهروكين بود**

إن العمل الذي هو من سريرة الذات

أفضل كثيراً من علم المقال

لكن العمل الذي يأتي من الماء والطين

ليس كالعلم الذي هو عمل القلب

انظر الفرق بين الجسم والروح

وكأنك لتظن هذا غربا وذاك شرقا

فاعرف من هنا أحوال الأعمال

قياسا بعلوم المقال إلى الحال[٢٦]

١١١- وقد نقل عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن رسول الله: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقا إلى الجنة، وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا به، وأنه يستغفر لطالب العلم من في السماء حتى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وأن العلماء ورثة الأنبياء، وإنهم لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن أورثوا العلم ، فمن أخذ منه، أخذ بحظ وافر»[٢٧].

١١٢- أيها الصديق: تَلَقَّ هذا الحديث وتعمَّق فيه جيداً، فإنه بحر مملوء بلآلئ أسرار المعرفة، وهو خزانة ملأى بجواهر الحقائق ومعادنها. فهو يكشف ويشرح لأهل البصيرة معنى السبيل إلى الله، وماهية الطريق إلى الجنة، وماهية أجنحة الملائكة وريشها، ومعنى جناح جبريل، وكيف يستغفر لطلبة

---

[٢٦] أصل الأبيات الفارسية، وهي للعارف محمود شبستري:

عمل كان از سرير حال باشد — بسى بهتر زعلم قال باشد

ولى كارى كه از آب وگل آيد — نه چون علمست كان كار دل آيد

ميان جسم وجان بنگرچه فرقست — كه اين راغرب گيرى وآن چو شرقست

ازينجا بازدان احوال اعمال — به نسبت با علوم قال با حال

[٢٧] ورد هذا الحديث في: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ١، ص ١٦٤ :

قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة. وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا به ، وأنه ليستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر ، وأن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثو العلم ، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر .

العلم من في السماء والأرض حتى أسماك البحر، وإن تلك الوراثة النبوية التي تستلزم السيادة الحقيقية والبنوة المعنية المتأتية عن طريق العلم، و أيَّ حديث عجيب هو، ولكن أين تلك البصيرة الباطنية وتلك الآذان الواعية، اللتان يُدرَك بهما أمثال هذا الحديث

هؤلاء مهووسون لا ينظرون من القرآن والحديث

إلا إلى حـــروفـــهــــمـــــا وأصـــواتـــهـــمــــا

كالأعـمـــى الذي لا يـنـــالـــه مـــن الشمـــس

إلا الـــــحـــــرارة مـــــــن وراء الـــــحـــجـــاب[٢٨]

١١٣- وقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام، أنه قال: «لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج»[٢٩]، ونقل عن أبي عبد الله عليه السلام: «من تعلم العلم وعمل به وعلم لله دُعِي في ملكوت السماوات: عظيما»[٣٠]. والآثار والأخبار في هذا الباب أكثر من أن تُعَدَّ، فمن أراد أن يعرفها حق المعرفة فليراجع كتب الحديث، شرط أن لا يخطىء فهمها بسبب الاشتراك اللفظي في كلمات الفقه والعم والحكمة، فهذا الخطأ يؤدي إلى الانحراف عن طريق الصواب؛ لأن هذه الألفاظ كانت تطلق في عصر النبي ﷺ، وأسياد الطريقة على معان مختلفة عما هي عليه اليوم في استعمالات المتأخرين، فقد تصرف بها بعضها بالتحريف وبعضها بالتخصيص*.

---

[٢٨] أصل الأبيات باللغة الفارسية، وهي لشاعر غير معروف:

ايـن هـــوسـنـــاكـــان ز قـــرآن وخـبـــر — غـيـر حـرف وصــوتـــشـــان نـبـود نظر

هـمـــچو كـــورى كـــش نـصـيب از آفتاب — جز حرارت نيست از بس احـتـجـاب

[٢٩] المحقق الحلي، المعتبر، ج ١، ص ١٨ : وقال جعفر بن محمد: «لو علم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج» و- ابن العلامة، ايضاح الفوائد، ج ٢، ص ٢ : «عن علي بن محمد بن سعد رفعه عن أبي حمزة عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال : لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج»

- الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٣٥ : «عن علي بن محمد بن سعد رفعه ، عن أبي حمزة ، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال : لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج».

[٣٠] رشاد الأذهان - العلامة الحلي ج ١، ص ١٧: «عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : من تعلم العلم وعمل به وعلم لله دعي في ملكوت السماوات : عظيما ، فقيل : تعلم لله ، وعمل لله ، وعلم لله»

- السيد عبد الله الجزائري، التحفة السنية (مخطوط)- ص ١٠ : من تعلم العلم وعمل به وعلم لله دعي في ملكوت السموات عظيما، فقيل تعلم لله وعمل لله وعلم لله .

* يلاحظ أن صدرا، يقدم رؤية عن انزياح المعاني، فهو يرى أن المعاني قد انحرفت عن أصلها نتيجة التطور في المعرفة الإسلامية، وهذه النقطة تثير جانبا غير مبحوث في الفلسفة الإسلامية، وهو فلسفة اللغة.

١١٤- فقد صرّح بعض العلماء بأن كلمة «الفقه» كانت تطلق في الأزمنة السابقة على علم طريق الآخرة ومعرفة النفس ودقائق آفاتها ومكائدها وأمراضها وفهم التسويلات والغرور الشيطاني والإعراض عن لذات الدنيا وأغراض النفس والهوى، والاشتياق إلى معين الآخرة ولقاء الله، والخوف من يوم الحساب[٣١].

١١٥- وأما اليوم فإن الفقه في مصطلح طلاب العلم، في هذا الزمان، عبارة عن استخدام البحث حول مسائل الطلاق والعتاق واللعان والبيع والسلم والرهان، والمهارة في تقسيم المواريث والمناسخات[٣٢]، ومعرفة الحدود والجرائم والتعزيرات[٣٣] والكفارات وغيرها. وكل من يخوض في تلك المسائل، يعتبر فقيها، حتى لو لم يعلم شيئاً من العلوم الحقيقية، بينما الفقيه عند أرباب البصيرة فهو كما يفهم من مؤدّى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٣٤] ومن فحوى ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾[٣٥]، ومن يخشى الله أكثر من غيره، يكون الخوف والخشية أكثر في قلبه. ومعلوم أنَّ هذه الأبواب تتولّد منها الجرأة والجسارة أكثر مما يتولّد الخوف والخشية، ومتى كان العلم الذي يوجب الإنذار والتخويف من هذه الأقسام، بل إنَّ المواظبة والاقتصار على هذه الأبواب ينتجان أضداد ما ذكر، ويصيران سببا لزوال الخوف والخشية من القلوب، بل سبيلاً لتحقق القسوة والغلظة والأمن من مكر الله كما نشاهده في كثيرٍ من المخدوعين.

---

[٣١] هذا الكلام يكرره الشيرازي في أكثر من كتاب من كتبه، ففي الأسفار الأربعة، ج٢، ص٣٥٠: «كان في العصر الأول مطلقا على علم طريق معرفة الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفس ومفسدات الأعمال وقسوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الأبرار، واستيلاء الخوف على القلب كما يدلك قوله تعالى ﴿يَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا﴾، وما به الانذار والتخويف هم هذا العلم دون تعريفات واللعبان والسلم والإجارة، فذلك لا يحصل به انذار وتخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب، وينزع الخشية منه كما يشاهد من المتجردين له، وقال تعالى ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾وأراد به معاني الآيات دون الفتاوى، وقال رسول الله: «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس ويتأمل ذات الله ويرى للقرآن وجوها كثيرة»».

وهذا الكلام في أصله للإمام الغزالي ورد بمعناه في مقدمة «إحياء علوم الدين»، دار الأرقم، ط١، ١٩٩٨م، ١٤١٩ هـ.ق، ج١ص٦، ويقول الغزالي: «فأما طريق علم الآخرة ومادرج عليه السلف الصالح، مما سماه الله سبحانه وتعالى في كتابه، فقها وحكمة وضياء ونورا وهداية ورشدا، فقد أصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا».

[٣٢] المناسخة التي وردت باللغة العربية هي عبارة عن موت بعض الورثة قبل تقسيم الميراث.

[٣٣] العقوبة والقصاص.

[٣٤] سورة فاطر: الآية ٢٨.

[٣٥] سورة التوبة: الآية ١٢٢.

هذه الفئة التي هي جديدة الوصول

اشترتهم خدعة الجاه والذهب

همهم الجنائن والهوى والأرض

يهتمون بالشرع والعقل والدين

كلهم أرباب علم السامري[٣٦]

هم من الخارج موسى ومن الباطن ثعبان

ارتدوا عن طريق الشرع والشرط

وغدوا كل منهم في عطش لدم الآخر

فأطلقوا من هوى النفس قرقرة

إن فلاناً هذا ملحد وفلان ذاك كافر

كلهم قبيحون وللمرآة أعداء

كلهم خفافيش

ومفتحوا العيون

لا اعتاد هنا للعقل

إلا إن الموت أفضل مع هؤلاء الأعداء موت[٣٧]

١١٦- روى الكليني عن الإمام جعفر الصادقعليه السلام أنه قال: «أوحى الله إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق

---

[٣٦] السامري هو الذي صنع عجلاً من الذهب ودعا الناس إلى عبادته في زمن غياب موسى عن قومه.

[٣٧] أصل الأبيات باللغة الفارسية:

عشوهء جاه و زر خريدستند ... اين گروهي كه نو رسيدستند

كى سر شرع وعقل ودين دارند ... سر باغ ودل و زمين دارند

از برون موسى از درون مارند ... همه در علم سامري دارند

تشنه خون يكدگر گشته ... از ره شرع وشرط برگشته

كين فلان ملحد اين فلان كافر ... پس راون كرده از هوا قرقر

همه خفاش جشمه روشن ... همه زشتان آينه دشمن

مرگ به، يا جنين حريفان، مرگ ... نيست اينجا چو مر خرد را برگ

محبتي، فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريدين ، إن أدنى ما أنا صانع بهم أنَّ أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم»[٣٨]. إنَّ لذة المناجاة والمكالمة الحقيقية،_ التي هي عبارة عن إفاضة المعارف من الله_، تُنْزَع من قلوبهم؛ لأنَّ وجوه قلوبهم انصرفت وانحرفت عن جانب القدس ومنبع الفيض إلى جانب الخلق وشغل الدنيا ومعدن الجهل والإخفاق؛ لذلك هم يقعون في ويل عذاب جهنم وهوى الشقاء الأبدي والهلاك السرمدي، لا جرم، إنْ كان فيهم استعداد في وقت ما، لدرك العلوم الحقيقية، فإنهم حالياً بسبب مزاولة أعمال الدنيا وأغراض النفس والهوى قد انسلخوا ومسخوا منه، ونُكِّسوا من سماء الفطرة الملكية الأصلية، وسقطوا في بئرِ الجهالة والمذلة البهيميتين والسبعيتين، وصار وصف حالهم **﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ الله وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾**[٣٩].

---

[٣٨] الشيخ الكليني، الكافي، ج ١، ص ٤٦ :

أوحى الله إلى داود (عليه السلام) : لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي ، فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريدين ، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم .

[٣٩] سورة آل عمران: الآية ٧٧.

الباب التاسع

خطاب إلى العالم المنكر

للعلم الحقيقي والعرفان الربوبي

الباب التاسع

الفصل التاسع

خطاب الى العالم المنكر للعلم الحقيقي والعرفان الربوبي (*)

١١٧- يا عديم الحس والإنصاف، ويا أيها المغرور الكثير الجور والتعسف. ألا لماذا تنكر العلم الذي تُعلَم به الأسرار الصمدية والحقائق الإلهية، وبه تعرف المعارف الربوبية، وكذا معرفة أسرار الإيمان مثل علم الوحي والإلهام، ومعنى الرسالة والنبوة والإمامة، وعلم كتب الله وصحائف الملكوت ولوح الرب وقلمه وكتابته، وكذا الأرقام والأقلام والملائكة وصحف الأنبياء، وسجلات الكرام الكاتبين. ومعنى الجفر الجامع ومصحف فاطمة، وكيفية نزول الشياطين على قلوب الأشرار بالوسواس، ونزول الملائكة على قلوب الأخيار بإلهام العلوم والأسرار. وعلم النفس والسعادة والشقاوة ودرجاتها ومقاماتها، ومعرفة الدنيا والآخرة، والجنة والنار، والقبر والسؤال، والحساب والكتاب والميزان، والحور والرضوان، وكل ما هو من هذا القبيل، فإن كل واحدة منها بحر من المكاشفة، فلماذا تنكر كل ذلك وتعد معرفته سهلاً وعبثاً؟ وتعظم العلوم الأخرى التي يمكن فهمها في ستة أشهر أو أقل وتعد صاحبها من علماء الدين؟

١١٨- يا عديم المروءة، لماذا تنكر وتجحد العلم الذي اتخذه السالكون الجادون بحرارة من رؤوسهم وعيونهم، من أجل السير إلى الله تعالى؟ فهم وفدوا وأحرقوا أرواحهم وأبدانهم في تحصيله، وتركوا الناموس والجاه والعزة ولم يلتفتوا إلى العار الذي اتهموا به، وتعرضوا للخصومة، و قمعوا أماني النفس ورضوا بالذل والانكسار والتزموا بذلك حتى استقر هذا العلم في قلوبهم، وتحملوا الطعن

---

* العنوان من وضع المترجم.

والإهانات من قبل كثيرين من الجهلة والمساكين، الذين ينظرون إلى الظاهر، مثلك، ألم تسمع ما أخبر عنه رسول اللهﷺ، وقوله: «إن من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغِرَّة بالله»[1].

١١٩- ألا تتفكر أنَّ المغتر بالله يمكن أن يكون شخصاً مثلك لو كان علم مثل الذي عُلِمت وإذا كان العلم يجب أن يأخذ عن طريق النقل والمشيخة، فلم ذمّ الحق تعالى في مواضع عدة من القرآن معشراً اعتمدوا في الاعتقادات على تقليد مشايخهم وآبائهم، وعوّلوا في أصول الدين على ذلك؟ لو كان يجب أن يسمعوا كل علم من أستاذ بالطريق المتعارف، فمن أي معلّم بشري تلقى أمير المؤمنين ، هذا العلم الذي أخبر عنه، وقال: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكاتب»[2].

١٢٠- وكذلك نقل عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين: «إني لأكتم من علمي جواهره»[3] إلى آخر الأبيات المنسوبة إليه. فأي علم مراده، وأي علم ذاك الذي يخفى لبعده في الشرف والعزة لبعده عن الإفهام والذي كان يعده كثير من المسلمين كفراً ـ نعوذ بالله ـ ويرون قائله عابد وثنٍ وكافراً يستوجب القتل[4]؟! ومثل ذلك ما نقلٍ عن ابن عباس ، أنه قال: «لو ذكرت لكم ما أعلم من تفسير قوله تعالى: **﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾**[5]

---

[1] حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٧٦ :

في الحديث: إن من العلم كهينة المكنون لا يعرفها إلا العلماء بالله تعالى، فإذا نطقوا لا ينكره إلا أهل الغرة.

[2] مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ١، ص ٣٢٢ : قال علي (ع) : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا في تفسير فاتحة الكتاب.- عوالي اللئالي - ابن أبي جمهور الأحسائي ج ٤، ص ١٠٢: ولفظ الحديث : (لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير فاتحة الكتاب)؛ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٠ ص ١٥٧ : قال علي (عليه السلام) لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا في تفسير فاتحة الكتاب ، ولما وجد المفسرون قوله لا يأخذون إلا به .

[3] الشيخ الماحوزي، كتاب الأربعين، ص ٣٤٥ : ينسب إلى مولانا زين العابدين (عليه السلام) هذه الأبيات:

اني لأكتم من علمي جواهره	كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن	إلى الحسين ووصّى قبله الحسنا
يا رب جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا

[4] هذا الكلام يحيل إلى القصيدة السابقة، ولاسيما البيت الرابع.

[5] سورة الطلاق: الآية ١٢.

لرجمتموني» وفي رواية: «لقلتم إنه كافر»[٦]. لماذا لم يشاركه في ذلك العلم سائر الصحابة والتابعين؟.

١٢١- وذلك العلم العزيز الشريف، وذلك المعنى الغامض اللطيف، الذي أخفاه عن الآخرين لبعد شرفه ودقته، والذي لم يكن يمسه أحد منهم، وكان يبدو لعدة أشخاص من الصحابة والتابعين كفراً_ فكيف بك وبمرافقيك_ أي نوع من العلم كان المراد منه؟ أكان المراد منه خلافات الفقه أو علم المعاني والبيان، أو الكلام أو اللغة أو النحو والصرف، أو الطب والنجوم والفلسفة، أو الهندسة والأعداد[٧]، أو الهيئة والطبيعة؟. واضح أنه ليس لكل هذه العلوم تلك المرتبة، بل هذا العلم منحصر بعلم القرآن والحديث، لا ظاهر ما يصل إليه فهم كل إنسان. وما كان الزمخشري وأمثاله يفهمونه من القرآن، ليس في الحقيقة علم القرآن، بل هو شيء يعود إلى علم اللغة والنحو والمعاني والكلام. وعلم القرآن غير تلك العلوم، كما أن جلد الإنسان وبشرته ليسا الإنسان بالحقيقة بل بالمجاز.

١٢٢- ولذلك، عندما نظر أحد أصحاب القلوب في الكشاف[٨]، قال لصاحبه: «أنت من علماء القشور»[٩]. وإن علم القرآن هو كما قال الحق تعالى **﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَ الْمُطَهَّرُونَ﴾**[١٠]، وهو علم لا يمسه إلا أهل الطهارة والتقديس، وأهل التجرد والتنزيه؛ لأن المراد بهذه الطهارة ليس هذا الغسل للوجه واللحية وتنظيف

---

[٦] ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج ٨٢ الحديث ٢٦٦٤٤، ص١٩٥: حدثنا عمرو بن علي، قال: حدثنا وكيع. قال: حدثنا الأعمش، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله ﴿سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾ قال: لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها؛ جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج ٨٢، ص ١٩٥ : حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القمي الأشعري، عن جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي، عن سعيد بن جبير، قال : قال رجل لابن عباس: الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ... الآية، فقال ابن عباس : ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر. ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٤١١: قال رجل لابن عباس « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن» الآية، فقال ابن عباس ما يؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر - فتح القدير - الشوكاني ج ٥ ص ٢٤٨: **﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾** إلى آخر السورة، فقال أبن عباس ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر؛ طبقات المحدثين بأصبهان، عبد الله بن حبان، ج ١، ص ٤٢٩ : عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى بن عباس فسأله عن قول الله، الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن» ما هو فسكت عنه بن عباس حتى إذا وقف الناس قال له الرجل ما يمنعك أن تجيبني قال وما يؤمنك أن لو أخبرتك أن تكفر .

[٧] يستعمل ملا صدرا كلمة الأعداد بمعنى علم الحساب.

[٨] الكشاف هو تفسير الزمخشري للقرآن الكريم.

[٩] وردت هذه العبارة باللغة العربية.

[١٠] سورة الواقعة: الآية ٧٩.

الثوب والجسد، بل المراد تطهير القلب من لوث الشهوة والغضب وتجريده من العقائد الفاسدة ونجاسات الكفر والتشبيه والتجسيم والتعطيل والحلول ووحدة الوجود[11] وإنكار المعاد وحشر الأرواح والأجساد وغير ذلك. وهذه الأمور لا تنتج كما هو معلوم من تهذيب الباطن وتجريد القلب من غشاوات الطبع والهوى، إنَّما تتأتَّى من حب الجاه والرئاسة وتمني القضاء والحكومة والرغبة في الصيت والشهرة والحسد للنظراء والترفع على الأقران.

١٢٣- يا عديم الإنصاف، لو افترضنا أنَّك لم تسمع القرآن، وأنَّك تعرف حقيقته عن طريق تقليد الآخرين، ثم أتى إليك أحدهم، وقرأ عليك هذه الآيات: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[12]، و﴿أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[13]، و﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[14]، و﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[15]، ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[16]، و﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[17]، و﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[18]، و﴿مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾[19] ومثل ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[20] و﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾[21] و﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾[22] و ﴿وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾[23] وغيرها من الآيات التي يصعب حصرها؛ وكذلك ما ورد من الأحاديث الشريفة مثل: «ما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في قبض روح عبدي المؤمن، وأنا عند المنكسرة

---

[11] يتهم الكثير من الباحثين الملا صدرا بالقول بوحدة الوجود، وهذا الأمر نجده عند محمد إقبال وعبد القادر محمود، حيث قال الأول: «وحتى القرن السابع عشر لا نكاد نصادف بين القوم مفكرا بارزا حتى يطالعنا «الملا صدرا» أو مولانا صدر الدين الشيرازي ذلك الحاذق بنظامه الفلسفي المؤيد بمنطقه القوي المؤثر، وعنده أن بسيط الحقيقة هو كل الأشياء، ولكنها ليست تتمثل في أي شيء واحد منها على حياله، والمعرفة الحقة تتمثل في وحدة الذات والموضوع». محمد إقبال: « تطور الفكر الفلسفي في ايران» ترجمة حسن الشافعي ومحمد جمال الدين، الدار الفنية، القاهرة، ص١٢٨.

[12] سورة الشورى: الآية ١١.

[13] سورة البقرة: الآية ١١٥.

[14] المجادلة٧.

[15] سورة الحديد: الآية ٤.

[16] سورة طه: الآية٤.

[17] سورة الفتح: الآية ١٠.

[18] سورة الفجر: الآية٢٢.

[19] سورة الزمر: الآية ٥٦.

[20] سورة البقرة: الآية ١٥.

[21] سورة آل عمران: الآية ٥٤.

[22] سورة الأحزاب: الآية ٥٧.

[23] سورة الحديد: الآية ١٨.

قلوبهم»[٢٤]، ومثل: «كنت سمعه وبصره ويده ورجله»[٢٥]، ومثل: «من رآني فقد رأى الحق»[٢٦]، و: «إن الله خلق آدم على صورته»[٢٧].إذا سمعت هذه الآيات والأحاديث. ألن تقول إن ذلك الشخص المتلفظ بهذه الأقوال زنديق أو عابد صنم، أو من أصحاب مذهب الحلول أو المشبهة، أو المجسمة؟

١٢٤- والآن، إما أن تسلِّم بهذه الكلمات كلِّها، وتعتقد فيها أنها كلمات حق وصدق، فتفتح طريق التأويل لكلام الله والرسول ﷺ، فتبعد اللفظ عن ظاهره، أو أن تأخذ الكلام على سبيل التقليد للآخرين، وهو ليس مراد الله ورسوله، بل مراد المتكلم، الذي يزن الكلام بميزان علم الكلام، الذي لا ينتج إلا الجدل.

وهذا الأمر دون شك يدفع إلى القول، إن الإيمان الإجمالي للمقلد، أفضل ألف مرة من أن تزن القرآن بميزان المتكلم؛ لذلك أيها المتكلم: أدرِك أنَّ كل ما جاء في الكتاب والحديث هو حق وصدق من غير تأويل، فلم تنكر الأمر على الناس وتنسب إليهم الكفر والتجسيم والتشبيه، ولا تنسب الجهل إلى نفسك، ولا تحتمل أنَّ ثمة جماعة، يعرفون لسان القرآن ويفهمون منطق الطيور المقدسة، بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[٢٨]، ومؤدى قوله: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾[٢٩].

ماذا تعلم أنت من لسان الطيور
وأنت لم تر سليمان ليلة؟
لي كلام ولا أقدر على ذكره

---

[٢٤] الشهيد الأول: «القواعد الفوائد» تحقيق السيد عبد الهادي حكيم، مكتبة المفيد، قم، ج٢، ص٢٨٢. والشهيد الثاني: « منية المريد...» م.س، ص١٢٢.

[٢٥] المجلسي: « بحار الأنوار » م.س، ج٥ص٢٠٧.

[٢٦] م.ن، ج٥٨، ص١٢٤.

[٢٧] الكليني، «الكافي» م.س، ج١، ص١٤٤.

[٢٨] سورة آل عمران: الآية ٧.

[٢٩] سورة النساء: الآية ٨٣.

واصـــرخـــاه عـــلـى أنـي لا أقدر على الصراخ[٣٠]

١٢٥- أيُها العزيز، لو كان العلم الذي تعرفه والذي تسمية علم الشريعة والحديث، وكان ما لا تعرفه ولا تقدر على معرفته غير صحيح، فكم ستكون قامة العلم قصيرة، وكم ستكون عرصة القلب مظلمة سوداء، وكم ستكون ساحة ميدان المعركة ومجال العلم ضيقين، وكم ستكون رجل العقل واهية عرجاء. أيها العزيز، لا تجعل الكمال وقفاً عليك، واقرأ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٣١]، واخرج من تلك الحجب والكدورات والالتواءات المذكورة في مثال المرآة، وطهر نفسك: «لتعلم كم خبايا في الزوايا»[٣٢].

---

[٣٠] الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

تـوچـه دانـى زبـان مـرغـان را — كـه نـديـدى شـبـى سـلـيـمان را

دارم سـخـن ويـاد نـمـى آرم كرد — فـريـاد كـه فـريـاد نـمـى آرم كرد

[٣١] سورة يوسف: الآية ٧٦.

[٣٢] ورد هذا القول في كتاب «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان» لمحمد بن أبي أيوب الزرعي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، ط٢، ١٩٧٥، وهو عجز أحد الأبيات الشعرية للحطينة، وتقول هذه الأبيات:

فـسـل ذا خـبـرة يـنـبـيـك عـنـه — لتعـلـم كـم خبـايـا في الـزوايا

وحـائر إن شـغـفـت بـه سـهـامـا — كـريشـة بـأهـداب الـمـنـايـا

إذا مـا خـالـطـت قـلبا كـئـيـبـا — تـمـزّق بـيـن أطـبـاق الـرزايـا

ويصـبـح بـعـد أن قـد كـان حـرا — عـفـيـف الـفـرج : عبـدا للـصبايا

الباب العاشر

في بيان الإيمان الحقيقي

وحال معانديه

الباب العاشر

الفصل العاشر

في بيان الايمان الحقيقي وبيان معانديه (*)

١٢٦-إذا علمت أنَّ الإيمان الحقيقي هو نور يشع من رب العالم على قلب العبد، فاعلم أنَّ من يصرّ على إنكار هذا النور، ويسعى إلى إطفائه، أو يستهزىء بالمؤمن المتصف به، هو في الحقيقة معادٍ لله والملائكة والكتب والرسل والأئمة(ع)، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾[1] ويثبت دعوانا هذه قوله: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[2]، وهذه الآيات تُظْهِر أن بعض الناس بلاؤهم هو علمهم.

مـــن جـعل سـراج الدين في رأسه

أحـــرق شـــاريـــه المـــزهـــو كله[3]

١٢٧- ويُستفاد هذا المعنى من الآيات الشريفة، ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[4]، وتدل هذه الآية على؛ آن مثل هؤلاء سيحشرون عمياناً وصُمّاً نتيجة الغرور والسكر بالذات. وفي المقابل نجد أن الآيات القرآنية والسنة شواهد أكثر من أن تحصى تدل

(*) العنوان من وضع المترجم.

(1) سورة الصف: الآية ٨.

(2) سورة هود: الآية ٨.شسشسشس

(3) أصل البيت باللغة الفارسية، وهو لشاعر غير معروف:

آنكه در سر چراغ دين أفروخت سبلت پف كنانش پاك بسوخت

(4) سورة البقرة: الآية ١٥.

على تكريم الله للعلماء، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٥]، وفي الحديث النبوي، على قائله وآله الصلاة والسلام: «من أكرم عالما فقد أكرمني»[٦]، وجاء في الحديث القدسي: «من بارز وليي فقد بارزني»[٧].

كل من يصارع الأسد والنمر

فالأفضل له أن يتجنب سهم الفقر

فعد همة الرجال كمبرد

إذ لا يقطع في شحذ القاطع

كم من منكر جاء والسنان في قبضته

لم يخلف جرحاً وأطفأ شمعته[٨]

١٢٨- وهذا هو النور الذي يطوي المؤمن طريق الآخرة على شعاعه، ومن لم يكتسب هذا النور اليوم، أو لم يطع صاحبه ولم يَنْقَد له، فالعالم على سعته وضيائه سيكون عليه في ذلك اليوم ضيقاً ومظلماً، وستنسد بوجهه طريق الآخرة، ويستحيل عليه أن يخطو خطوة واحدة. وسيعلم، يوم ذلك غير مجد، أن اقتباس هذا النور كان واجباً عليه.لا ينفع العلم أنه كان يجب عليه اقتباس ذلك النور في الدنيا. ويعلم من هذه الآية ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[٩].

١٢٩- أيها المتظاهر بالصلاح والفضيلة، المفتخر بالجاه والشهرة، إن

---

[٥] سورة البقرة: الآية٥٧.

[٦] المتقي الهندي، كنز العمال في الأفعال والأقوال، الباب الثالث في لواحق كتاب الإيمان باب الهمزة.

[٧] المتقي الهندي، كنز العمال في الأفعال والأقوال، الباب الثالث في لواحق كتاب الإيمان، باب الهمزة.

[٨] الشعر للشاعر نظامي كنجوي والأصل الفارسي هو:

با شير وپلنك هر كه آويز كند — آن به كه زتير فقر پرهيز كند

اين همت مردان توچو سوهان ميدان — كرخود نبرد بلاده را تيز كند

بسا منكر كه آمد تيغ در مشت — نزد زخمى وشمع خويش راكشت

[٩] سورة الحديد: الآية ١٣.

تعمقت في تفسير هذه الآية الكريمة وتأويلها ساعة، وأدعوك إلى مطالعة ليل الدنيا المظلم على ضوء هذه الشمعة، وأحضك على النظر إلى ذاتك وأمثالك في صفاء هذه المرآة العقلية، ولو أنك تستجيب الدعوة لاكتشفت وخامة الفضيحة لك ولأمثالك من المغرورين بالجاه والعز والعلم وغيره من المظاهر.

أنت في عينيك صبيح الوجه جدا لكن تريث

حتى تظهر أمام وجهك يد الموت تحمل المرآة [10]

١٣٠- وستعلم وقتها ما معنى ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾[11]، وسيتضح لك مفاد قوله تعالى: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾[12] وتدرك ما مغزى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾[13]، وأي سور وسد وحجاب ذلك الحاجز بين الجنة والجحيم، وعندها سوف تعرف حقيقة الباب الذي ظاهره الرحمة وباطنه العذاب واللعنات. هذا الباب المستور في الدنيا والذي سوف ينكشف يوم: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾[14]، ولهذا قيل في شأنه.

ظـــاهره كـــثير الحـــلل مثل قبر الكـــافر

وبـــاطنه فـيـــه غـضــب الله عـــز وجـــل[15]

١٣١- واعلم وأيقن أن ملك العالم جلّ شأنه، إذا أراد بعبده خيراً وسعادةً، وأراد له الإتصاف بقربه، أشرق على روحه نور التوحيد ومنحه ذوق التجريد. فلا جرم تصبح الحرمة والتعظيم صفتاه، وتصير المحافظة على آداب صحبة الحق عادته، ويزيده في كل لحظة راحةً وأنساً بعالم الملكوت والقدس، وألفة بمواطن المقربين، وعندها يستمرئ لذة المناجاة والمكالمة الحقيقية، يُقبل حظه

---

[10] البيت لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

تو بچشم خويشتن بس خوبروئى ليك باش تا شود در پيش رويت دست مرگ آينه دار

[11] سورة الحديد: الآية ١٣.

[12] سورة الحديد: الآية ١٣.

[13] سورة الحديدة : الآية١٣.

[14] سورة النازعات: الآية ٣٦.

[15] البيت لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

ظاهرش چون گور كافر پرحلل واز درون قهر خدا عز وجل

حتى يسمع من كل خشبة وحجر ذكر الحق، ويتناهى إلى أذن عقله التسبيح من كل حجر ومدر.

١٣٢-وكلّ تعاسة تصيب المبعدين، إنما تصيبهم لعدم نعمة الحق، ولاغترارهم بقليل من العلم والصلاح الظاهريّ، وانحرفهم عن طريق الهدى وخوضهم في طلب الرئاسة والجاه والشهرة، ووقفوهم موقف الجحود والإنكار مع أهل القلب، وإنكارهم علم المكاشفة حتى أنهم انسلخوا عن إدراك الأوليات ومسّ البديهيات، ووجهوا قلوبهم نحو قساوة القلب والزندقة والإلحاد، واعتقدوا مسلك الإباحة وسقوط المحرمات ، كما يقول تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[١٦]، وقال أيضا ﴿وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[١٧] .

١٣٣- وانظروا تأمل الفرق بين من يرى الخجر والمدر.

جميـــع ذرات الـــعـــالم عـــنـــد الـــعـــارف

هي في التسبيح كالمـــلائـــكـــة في كـــل آن

إن قبضـــة من التـــراب عـــلـــى وجـــه الأرض

هـــي عـــنـــد الـــعـــارف كـــتـــاب مـــبين

في أي مكان، حـــبة في البستان وفي الـــحـــقل

جـــوف لـــبـــهـا ســـراج مـــنـــيـــر

يخـــرج مـــن الـــقوة إلى الفـــعل كلّ آن

من كـــل تـــراب واحـــد ذو عقـــل وروح

إن غيـــر الـــمحارم عمي القلـــوب والعيون

وإلا فـــمـــا مـــن ذرة بـــلا نـــور

ألا فـــاقـــرأ آيـــة ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ﴾[١٨]

---

[١٦] سورة البقرة: الآية ٧٤.

[١٧] سورة الحديد: الآية ١٦.

[١٨] سورة النور: الآية٣٥.

فتـــجد الـــذرات جميعاً كالشمس

حتى تعـــلم أن في كل ذرة من التراب

نـــوراً مـــستنيراً مـــن ذاك الطاهر[19]

ذاك شتان وبين ذاك ومن يحول القلوب بقسوته إلى حجاة مظلمة لا حياة منها المسلك الذي يحيل القلوب قاسية سوداء كالحجارة والحديد، ويجعلها غليظة قاسية.

١٣٤- أيها العزيز، والله إنَّ عداوة الدراويش ومخالفة ذوي القلوب تجعلان القلب حجراً، وإنَّ مصادقتهم ومتابعتهم تجعلان الحجر قلبا منيراً بالتسبيح لله.

القلـــب هـــو الذي في أحلك الأوقات

لا يـــكون فـــيـــه قـــط غـــيـــر الله

القـــلـــب لـــيس أصـــل الهزل والمجاز

القـــلب ليس جحيم الحرص والطمع

هذا الـــذي ســـمـــيـــتـــه بالمجاز قلباً

اذهـــب فارمـــه للكـــلاب في الـــزقـــاق[20].

---

(19) الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

بـــر عـــارف هـــمـــه ذرّات عـــالـــم	مـــلائـــك وار در تـــســبـــيـــح هـــر دم
كـــف خـــاكـــى كـــه در روى زمـــينست	بـــر عـــارف كـــتـــاب مستـــبـــيـــنـــست
بهـــر جـــا دانـــه اى در باغ وراغيست	درون مـــغـــز او روشـــن چـــراغـــيست
بفـــعـــل آيـــد زقـــوّت هـــر زمـــانـــى	زهـــر خـــاكـــى يـــكـــى عـــقـــلى وجانى
بود نامـــحـــرمـــان را چشـــم ودل كـــور	وگـــرنـــه هيـــچ ذرّه نـــيـــست بـــى نـــور
بـــخـــوان تو آيـــهء نـــور السّـــمـــوات	كـــه جـــون خـــورشيد يابى جمله ذرّات
كه تـــا دانـــى كـــه در هـــر ذرهء خـــاك	يكـــى نـــوريـــســـت تابان كشته زان باك

(20) الشعر لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

آنـــچنان دل كـــه وقت پيچا پيـــچ	انـــدرو جـــز خـــدا نباشد هيـــچ
اصـــل هزل ومجاز دل نـــبـــود	دوزخ حـــرص وآز دل نـــبـــود
اينـــكه دل نام كرده اى بمـــجـــاز	روبـــه پـــيـــش ســـكـــان كـــو انداز

الباب الحادي عشر

القلب ومرآته والموانع الواقعة بينها وبين الإيمان الحقيقي

الباب الحادي عشر

الفصل الحادي عشر

القلب ومرآته والموانع الواقعة بينها وبين الايمان الحقيقي(*)

١٣٥-قد اتضح مما سبق أنّ الإيمان الحقيقي في عرف الصوفية، هو كما يتجلّى في قوله تعالى ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[1]، وهو يدل على النور الإلهي الذي يشع من الله على قلب المؤمن، فيفسح له هذا القرب طريقاً إلى قربه، ما يفسح المجال له لتغيير جوهره إلى جنس جواهر العقول والملائكة المقربين.

١٣٦- واعلم أنَّ القلب قبل أن يفيض عليه هذا النور، يجب أن يصفى ويجلى من صدأ المعاصي والعلائق، كالمرآة التي يجب أن تُصَفّى من الشوائب؛ لأن القلوب، بحسب أصل الفطرة، مرايا بالقوة، وهي تخرج من القوة إلى الفعل بواسطة الأعمال، والأفعال الصالحة، والقيام بالتكاليف والرياضات الشرعية، لذا لا تجد البعض طريقها إلى الخروج من القوة إلى الفعل بسبب الأعمال القبيحة والاعتقادات الخاطئة، التي تؤدي إلى فقدان تلك القابلية المودعة فيها بالفطرة. وهذا هو معنى نسخ الباطن، الذي هو حق في مذهبنا، كما تقدمت الإشارة إليه.

١٣٧- وما يقوله الحق تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾[2]، فيه إشارة إلى

(*) العنوان من وضع المترجم.

[1] سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

[2] سورة الأعراف: الآية ١٧٦.

المسخ الحيواني، وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾[٣]، فيه إشارة إلى تحول الباطن باتجاه الطبيعة الجمادية، وهو ما يسميه البعض نسخاً. وليس هنا موضع تحقيق هذه المسألة؛ خشية الوقوع في الإطناب.

١٣٨- وإنما نشرح من ذلك ما هدف هذه الرسالة فقط فنقول:

كما أن في المرآة المحسوسة خمسة أشياء من الممكن أن تمنع انعكاس صورة المرء، وهي:

الحجاب الأول: النقصان الجوهري كما لو كانت حديداً أو زجاجاً غير مذاب أو مصقول.

الحجاب الثاني: هو الصدأ والكدر الذي يحدث فيها بعد صنعها وصقلها.

الحجاب الثالث: عدم مواجهتها للصورة التي يراد رؤيتها فيها كما لو وقف أحدهم خلف المرآة.

الحجاب الرابع: وجود حاجز بين المرآة والصورة المراد انعكاسها.

الحجاب الخامس: عدم تحديد الجهة التي فيها الصورة، كي توضع المرآة مواجهة ومحاذية لها.

كذلك مرآة القلب مستعدة لتجلي حقيقة الحق وحقيقة جميع الأشياء كما هي. كما طلب سيد الكائنات عليه أفضل الصلوات من رب العالمين في الدعاء لنفسه ولخواص أمته: «رب أرنا الأشياء كما هي»[٤]، ولا يخلو من العلوم الحقة إلا بأحد الأسباب والموانع الخمسة.

١٣٩- **المانع الأول:** النقصان الجوهري للقلب الذي يُسَمَّى النفس الناطقة، كنفس الأطفال الذين لم تخرج بعد مرآة روحهم من قصر التراب وماء البدن، وكما أن الحديد مخفي في المنجم، والزجاج في البحر، والسمن في المخض،

---

[٣] سورة البقرة: الآية ٧٤.

[٤] أبو الفرج بن علي الجوزية، صيد الخاطر، فصل الحكمة الإلهية وجهل العقول.

والزيت في الزيتونة، كذلك نفوس هؤلاء مغمورة بالكدر المحجوبة بغلاف الأبدان.

وجوهرُ الصدق مخفـي مــن الـكــذبِ

كالشمس إذ كان في متن المخيفي خفـي

فالصـدق ذاك الـذي في الروح من فلـك

وكذلك البـدن المـخـلـوق مــن تـربِ

حتـى إذا أرسـل الحـقُّ الرسـول الذي

يُـحـركُ اللـبن المـخـوض للطـلب[5]

١٤٠- **المانع الثاني**: الكدر والصدأ. كما في قوله تعالى **﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾**[6]، مثل كدورة المعاصي وخبث النفس اللذان يتولدان في النفس بسبب كثرة الشهوات والفسوق، ويمنعان من صفاء القلب وجلاء الروح، ويمنعان بمقدار كثرة الكدورة وتراكم الظلمة، تجلي الحق وانعكاس ذلك النور الذي ترى الأشياء به في القلب، وليس ثمة ذنب وخطأ لا تترك كدورتهما أثراً في القلب **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه﴾**[7]، فإذا كثرت المعاصي، ورسخت الكدورة والظلمة، تفعل في القلب فعلاً لا يبقى معه أثر من قابلية انكشاف العلوم فيه، وتزول قوته **﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾**[8].

---

(5) الشعر للشاعر جلال الدين الرومي مع تصرف جزئي في عجز البيت الأول، والأصل الفارسي:

جوهر صدق خفى شد در دروغ   همچنانكه روغن اندر متن دوغ

آن دروغت اين تن خاكى بود   راستت آن جان افلاكى بود

تا فرستد حق رسولي بنده اى   دوغ را در خمره جنبانيده اى

تا بجنبانت بهنجار وبفن   تا بدانم من كه بنهان «بود من»

الترجمة: جوهرك الصادق مستور في جوهر كاذب، كما السمن في متن المخيض، كذبك ذلك هو هذا الجسم الترابي، صدقك هو ذلك الروح الأفلاكي، إلى أن يرسل الحق رسله ليحركوا اللبن برفق وفن ليعلم كل منا ذاته الحقيقية.

(6) سورة يس: الآية ٩٠.

(7) سورة الزلزال: الآية ٧.

(8) سورة التو[illegible] [illegible]لآية ٨٧.

١٤١- **المانع الثالث:** وهو الانحراف عن الوجهة المطلوبة، كما يحصل في قلب بعض العادلين والصالحين، فهو وإن كان صافياً من غش المعاصي وكدورة الشهوات، ولوح ضميره طاهر من صور الغير، ومهيأ لانتقاش العلوم، لكن نور المعرفة لا يقع فيه. وسبب ذلك أن همته مصروفة إلى طلب الحق، ومرآة ضميره لم تحاذ الكعبة المقصودة، ولم يوجِّه وجه باطنه إلى الطرف الذي منه ينبثق أصل العلوم وحقائق المعارف. كما حكى الله تعالى عن الخليل (عليه السلام) **﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[٩].

١٤٢- ولطالما انصرف كل فكره في تحصيل تفاصيل الطاعات والعبادات البدنية، وتطهير الثوب والبدن، والجلوس في الصوامع، ومراقبة أوقات الصلاة ونوافل العبادات وغيرها، وتهيئة أسباب المعيشة الدنيوية، واستغرق فكره في هذه المقاصد استغراقاً جعل ضميره لا يتوجَّه قط إلى التأمل في الحضرة الإلهية، وحقائق علم الجبروت والأسماء والصفات وأفعال الملك والملكوت، ولم يتحرَّك ذوق تفكره بعد في خلق السماوات والأرض وفي دقائق معرفة هذه الموجودات، كما ورد الأمر به في مواضع عدَّة من الكتاب الكريم مثل: **﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾**[١٠]، ونظائرها من الآيات مثل: **﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾**[١١]؛ وذلك لأنه لا يرتسم في مرآة القلب، إلا ما كان توجُّهه مصروفاً إليه **﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾**[١٢]. فانظر أيها العزيز، إذا كان تقيّد القلب وصرف الهمَّة في الأعمال والطاعات مانعاً من انكشاف الحقائق وتجلّي الحق، فكيف بقلب يكون أبداً منصرفاً لتحصيل المرادات الدنيوية واللذات الحيوانية.

١٤٣- **المانع الرابع:** الحجاب والسّد: **﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾**[١٣]. وذلك من اعتقادات المقلّدين ومتعصِّبي المذاهب، التي نشأت لديهم في

---

[٩] سورة الأنعام: الآية٧٩.

[١٠] سورة الأعراف: الآية ١٨٥.

[١١] سورة يوسف: الآية ١٠٥.

[١٢] سورة الزمر: الآية ٦.

[١٣] سورة يس: الآية:٩.

أوائل حالهم وحالت دون أن تظهر في مرآة القلب صورة الحق وأن يشرق فيها نور اليقين. وإنَّ أكثر الناس قد تمسكوا بكل ما سمعوه في بداية حياتهم من الأب أو الأستاذ، وغدا سداً في طريق سلوكهم، يتعذر عليهم الخروج منه: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾[14]. وصار كل واحد من تلك المعتقدات بمنزلة غل في أعناق نفوسهم، فلا يدعهم يحرِّكون رؤوسهم من مكانها :﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إلى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾[15].

كل من قيده التقليد

صار على قلبه مثل الغلة والسلسلة

هؤلاء المشايخ الذين هم عصي الطريق

يغدون أحياناً سداً لطريق كل ضال

إذا لم تَدَعْ أنت تقليد الآباء

فأنت كافر لن تستفيد قط من الدين[16]

١٤٤- **المانع الخامس:** الجهل بتلك الجهة التي فيها المطلوب، لأن ما هو مطلوب في الحقيقة لا ينعكس في مرآة الضمير إلا بعد ظهور صور عديدة فيها تتناسب مع المطلوب الأصلي. مثلا: إن أراد أحد أن يرى ما خلفه وأن يظهر في المرآة المواجهة لبصره، فإنه يحتاج إلى مرآتين. هكذا أيضا كل طالب علم فإنَّه لا يمكنه أن يسلك الطريق إلى ذلك المطلوب الذي لم يتوفَّر له إلا بواسطة ملاحظة عدَّة معلومات مناسبة في متناوله، وترتيبها على وجه يؤدي إلى ذلك المطلوب، بل إن تحقق كل علم من العلوم النظرية يحتاج إلى عالمين آخرين على الأقل.

١٤٥- ويحتاج هذا المعنى إلى شرح موجز، وهو أن نفس كل إنسان هي

---

(١٤) سورة البقرة: الآية ١٤٥.

(١٥) سورة يس: الآية ٨.

(١٦) الأصل الفارسي هو:

هركه را تقليد دا من گير شد	بردل أو چون غل وزنجير شد
اين مشايخ كه عصاي ره شوند	گاه سدّ راه هر گمره شوند
تا تو از تقليد آبا بگذرى	كافرم گر هرگزاز دين برخورى

بمثابة مرآة كروية تحاذي من كل الجوانب الصور الواقعة في اللوح المحفوظ وهذه المرآة. قبل أن تصقل وجوهها وجوانبها بالرياضة تنعكس فيها أشياء قريبة كالمحسوسات والبديهيات والقضايا العامة مثل: الكل أعظم من الجزء»[17] و: «النقيضان لا يجتمعان»[18]، ونظائر هذه المعاني تتوفر للجميع بدون الفكر والرياضة.

١٤٦- وأما الأشياء البعيدة التي يسمُّونها «النظريات»، فانعكاسها يحتاج إلى مصقولة قد تجلت فيها وانعكست صور مختلفة. وتلك النظريات إن كانت أبعد من هذه النشأة البشرية، وأقرب إلى عالم القدس الإلهي، فهي تحتاج إلى مرايا أكثر، وهذه المرايا وإن كانت في بدء الأمر متعددة ومتكثرة للغاية، إلا أنَّها جميعاً أجزاء النفس، وستتوحَّد كلها في النهاية، وعند ذلك يسمونها النفس الكلية، وتلك الصور ستصبح أيضاً واحدة تسمى العقل الكلي؛ لأن النفس -كما مر- هي بمنزلة المرآة الكروية الكبيرة ومرآة كل علم مطلوب قوس منها مواجه لجهة من جهات اللوح المحفوظ، الذي هو مكتوب بقلم الرب[19]، وكل قوس ينجلي منه من غشاوة الحواس، تتجلى أو تتولد فيه من اللوح المحفوظ الصورة المواجهة له.

حبيـــبي الـــمقصود لــــه مـــائة ألف مرآة

إلـــى أي مـــــرآة يـلتفت تظهر فيها الروح[20]

إلى أن تظهر فيه جميع الكمالات، ويتحقق الفرق بين الحصول والتجلي عند أولي الأبصار

فضولاً في هـــذا الـــــمقـــــال يـــــقـــول

من لم يميـــــز بـــين الـــتجلي والحلول[21]

---

[17] هذه العبارة وردت باللغة العربية.

[18] هذه العبارة وردت باللغة العربية.

[19] الله.

[20] البيت لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

صد هزار آئينة دارد شاهد مقصود من　　روبهر آئينة كارد جان در آن بيدا شود

[21] البيت لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

گويد آن كس درين مقام فضول　　كه تجلى نداند او ز حلول

١٤٧- وقد ذهب بعض علماء الحكمة، مثل فرفوريوس تلميذ آرسطو الذي هو مقدم طائفة المشائين، إلى آنَّ نفس الإنسان حين تخرج من القوة إلى الفعل، تتحد بإدراك المعقولات مع العقل الفعال الذي هو قلم الله. و قد بيَّنَا هذه المسألة في كتبنا على وجه لا مزيد عليه، وليس هنا موضع ذكرها.

إذاً، فبناء على هذه المقدمات، نقول: لما كانت النفس في بدء كونها مقبلة إلى جانب طبيعة البدن، وأدارت ظهرها إلى عالم القدس، فهي في مطالعة[٢٢] المطالب الحقة تحتاج إلى مرايا متعددة، كالذي يريد أن ينظر إلى صورة وراء ظهره فينظر إليها في مرآتين. فالقريبة إنما هي بمثابة المقدمة الصغرى، والبعيدة بمثابة المقدمة الكبرى، وذلك المطلوب الذي يُرَى من النظرة إلى هذه المرآة بمنزلة النتيجة.

١٤٨- وأيضاً لو شاء أن ينظر إلى صورة أخرى، تقع في الصورة المعاكسة لصورة تلك النتيجة، فإنه يحتاج أيضاً إلى عدة مرايا أخرى. وهكذا فإن لمرآة النفس الإنسانية في طريق المطلوب الحقيقي مهاوٍ وحفر وانحناءات لولبية، لا تتأتَّى ملاحظتها للإنسان في بدء الأمر، إلا عن طريق ترتيب المقدمات التي هي في الحقيقة مرايا روحانية.

المقصود من وجود الجن والأنس هو المرآة

وغاية النظر في الكونين هي المرآة

القلب هو مرآة الجمال الملكي

وهذان العالمان هما غلاف هذه المرآة[٢٣]

١٤٩- وهذا هو معنى سير سالكي سبيل الحقيقة؛ لأن السالك ينتقل

---

[٢٢] مشاهدة.

[٢٣] أصل الأبيات باللغة الفارسية هو:

مقصود وجود انس وجان آئينه است — منظور نظر در دو جهان آئينه است

در آئينه جمال شاهنشاهيست — وين هر دوجهان غلاف آن آئينه است

نظره في كل لحظة من مرآة إلى مرآة إلى أن يدرك المقصد الحقيقي ويضع القدم في وادي القدس، ويصل إلى سمع وعيه[24] نداء: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾[25]. بعدئذ تتعطل كل المرايا، وتنخلع النعلان الكبرى والصغرى[26]، وتحدث المكالمة الحقيقية من غير واسطة ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[27]، بل يصبح علمه عينا[28]، وخبره معاينة، وليس الخبر كالمعاينة[29].

الألـــم الـــــذي سمـــعـــــناه أسطورة من الغير

جــاء من الــعلم إلى العين ومــن السمع إلى الحضــن[30].

١٥٠- وهذا هو المقام الذي يرسلون فيه مفتاح: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾[31] من عند حضرة ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[32] ويرفعون قفل البشرية ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[33]، ويفتحون أمام الروح خزائن الملكوت ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾[34]، يسمحون للإنسان بالدخول إلى مكان عالم الملكوت: «قد تبين لكم حيث لا أين»[35]

إن لــنـــا زمـــانـــاً آخـــر غـــير هـــذا الزمان

وثمة مكان آخر غير الــجحيم والـــــفـــردوس[36]

---

[24] عقله وإدراكه.

[25] سورة طه: الآية١٢.

[26] إشارة إلى المقدمتين الكبرى والصغرى في المقطع السابق رقم ١٤٧.

[27] سورة النساء: الآية ١١٣.

[28] عين اليقين.

[29] وردت العبارة باللغة العربية.

[30] البيت لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

دردى كه با فسانه شنيديم هم از غير از علم بعين آمد از كوش بآغوش

[31] سورة النصر: الآية ١.

[32] سورة الأنعام: الآية ٥٩.

[33] سورة محمد: الآية ٢٤.

[34] سورة الحجر: الآية٢١.

[35] وردت العبارة باللغة العربية، وهذا الكلام للحلاج.

[36] الشعر لمولوي والأصل الفارسي هو:

مارا بجز اين زمان زمانى دكرست جز دوزخ مكانى دكرست

١٥١- ويدخل أهل الملكوت للسلام عليه من كل باب ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[٣٧]، ولأن روح كل شيء هناك، وروح الجميع تظهر من ذلك العالم ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[٣٨]

لما جاوزنا ظلمات الماء والطين

فنحن الخضر ونحن ماء الحياة معا[٣٩]

١٥٢- هذا هو السير إلى الله ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[٤٠]، وبعد ذلك يكون «السير في الله ومن الله وبالله» ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[٤١].

أنا عيسى ومعجزتي هذه النفخة

فكل قلب سمع هذه النفخة صار حيا[٤٢]

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[٤٣]

لقد جعلوني خلف المرآة مثل الببغاء

ألا فكل ما قال أستاذ الأزل قل أقوله

نظف لوح القلب من الوسخ

كي يكتب المنتسخ الحق فيه

صف لوحك من نقش الخطأ

---

[٣٧] سورة الرعد: الآيتان ٢٣- ٢٤.

[٣٨] سورة الأنعام: الآية ٧٥.

[٣٩] أصل الأبيات باللغة الفارسية:

جون از ظلمات آب وكل بكذ شتيم … هم خضر وهم آب زندكاني مائيم .

[٤٠] سورة يوسف: الآية ١٠٨.

[٤١] سورة الأعراف: الآية ١٨١.

[٤٢] أصل البيت باللغة الفارسية هو:

عيسى منم ومعجز من اين نفس است … هر دل كه شنيد اين نفس زنده شود

[٤٣] سورة الأحزاب: الآية ٤.

كي يحظى من الخط الإلهي بالبقــاء[44]

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾[45]

لمـــا أرســـلـــنـــا آدم إلى الخــارج[46]

وضـــعـــنا جمالنـــا في الصحراء[47]

---

[44] الشعر لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي:

دربس آينة طوطي صفتم داشته اند آنچه استاد ازل كفت بكو مى گويم

لوح دل را پاك كردان از وسَخ تا حق اندر وى نويسد منتسخ

صاف گردان لوحت از نقش خطا تا زخط ايزدى يابد بقا

[45] سورة المجادلة: الآية ٦ .

[46] إخراج آدم من الجنة إلى الأرض.

[47] الشعر للعارف فريد الدين العطار، والأصل الفارسي هو:

جو آدم فرستاديم بيرون جمال خويش بر صحرا نهاديم

الباب الثاني عشر

علم التوحيد

وعلم الآفاق والأنفس

الباب الثاني عشر

الفصل الثاني عشر

علم التوحيد وعلم الآفاق والأنفس (*)

١٥٣- والآن، فاعلم أنّ السالك يجعل أحيانا الخلق المرآة المصورة للحق، واسطة لملاحظة الصفات والأسماء، ويجعل الحق أحياناً أخرى مرآة لملاحظة الأشياء والمرآة العاكسة للعالم، والأول هو: «السير من الخلق إلى الحق»[1] كما يشير تعالى في قوله ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2].

اذهب واحصل على البصر فإنَّ كل ذرَّة من التراب

هي إذا نظرت إليها كأس عاكسة للعالم[3]

والثاني هو السير: «من الحق إلى الخلق»[4]، كما يشير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[5].

إن من رأى من المعرفة نور الصفاء

رأى الله أول ما رأى من كل شيء[6]

(*) العنوان من وضع المترجم.

(1) أنظر الأسفار الأربعة الجزء الأول، طبعة بيروت.

(2) سورة فصلت: الآية ٥٣.

(3) الشعر لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

رو ديده بدست آركه هر ذره خاك　　جاميست جهان نماى چون در نگرى

(4) أنظر الأسفار الأربعة، الطبعة اللبنانية.

(5) سورة فصلت: الآية ٥٣.

(6) الشعر لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

كسى كز معرفت نور صفا ديد　　ز هر چيزى كه ديد اول خدا ديد

١٥٤- «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله»[٧]، إن العلمين كليهما هما من العلوم الحقيقية، الأول في عرف الصوفية يسمى علم التوحيد، وفي عرف العلماء المتألهين يسمى العلم الإلهي والعلم الكلي. والثاني في عرف الصوفية يسمى علم الآفاق والأنفس. وفي عرف الحكماء الطبيعيين ينقسم هذا العلم إلى قسمين أحدهما علم السماء والعالم، والثاني علم النفس، وكل منهما- تبعاً للغاية والنتيجة -يدور حول علم التوحيد.

١٥٥- أيها العزيز، ليس عند الناس في هذا العصر خبر عن علم التوحيد والعلم الإلهي. وأنا العبد لم أر خلال العمر كله أحداً يُسْتَشَمُّ منه هذا العلم، وليس من العلم الثاني، -وهو علم الآفاق والأنفس- شيء يعتد به علماء هذا الزمان، فكيف بسواهم. وأكثر الناس لا يؤمنون بشيء من غير(عالم) المحسوسات: ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾[٨]، فقد غفلوا عن الآيات الإلهية وملكوت السماوات والأرضين وأعرضوا عن التدبر والتأمل فيها: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾[٩].

يا من فرحت دفعة واحدة

بالاعتلاف كالحمار والثور

غافلاً عن هذه الدائرة اللازوردية

فارغاً عن هذا المركز لمدار الشمس

الأمر منوط بأصحاب النظر

ليس ما يهم الجهلة من الدهر[١٠]

---

[٧] العاملي، بهاء الدين: «مشرق الشمسين» مكتبة بصيرتي، قم، ١٣٩٧هـ، ص٤٠٢.

[٨] سورة الروم: الآية٧.

[٩] يوسف: الآية ١٠٥.

[١٠] الشعر للشاعر نظامي كنجوي، والأصل الفارسي هو :

اى شده خشنود به يكبارگى — چون خر وگاوى بعلف خوارگى

غافل ازين دائره لاجورد — فارغ ازين مركز خورشيد گرد

از پي صاحب نظرانست كار — بي خبران راچه غم از روزگار

١٥٦- إن ما يراه ويعرفه الناظرون بهذه العين ليس بأكثر من أن يرى ويعلم أحد بهذه العين، التي يشترك فيها الحمار والبقر، سقفاً وفرشاً **﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾**[١١]. أيها العالم العزيز، إن الأفلاك التي تعرفها كسقف وتعدها من الجمادات والتي أعرضت عن آياتها، وتحسب معرفتها بدعة، أنظر كيف أن الله جلّ ذكره، يذكر اسمها بالتعظيم ويقسم بها في عدة مواضع **﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُوم * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾**[١٢]، ويسميها البيت المعمور والسقف المرفوع[١٣]، ويذكرها العرش الأعظم محل استواء الرحمن.

---

[١١] سورة الأنبياء: الآية ٣٢.

[١٢] سورة الواقعة: الآيتان ٧٥-٧٦.

[١٣] إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ (الطور ٤-٥).

الباب الثالث عشر

خطاب إلى العالم المتشرع المغرور

الباب الثالث عشر

الفصل الثالث عشر

خطاب الى العالم المتشرع المغرور (*)

١٥٧- والآن أيها المتشرع العادل، وأيها العابد القاسي القلب، لو أن شخصاً أثبت لك أنك لا تعرف شيئاً من أركان الإيمان. وليس لديك خبر من علم هو فرض عين عليك، وإنك تصرف عمرك في الفروض الكفائية وسواها من الفروع الأخرى التي لا تحتاج إليها في العمر كله، ماذا ترد في الجواب إلا أن تسلك طريق الجحود والعناد، وتشرع في التشنيع واللجاج، وتقف موقف الخصومة والعداوة مع ذلك الشخص، أو تقول: لم يوجبوا على أحد ولم يكلفوه أكثر من هذه المرتبة التي كانت لجميع المسلمين في أوائل الأمر، وإلا فما يكون حال العامة والناقصين[1]؛ إذ لو وجب على الجميع معرفة حقائق الدين ومعارف أهل اليقين للزم الحرج.

١٥٨- أيها المغرور، المفتون بالجاه والعزة، وأيها الممكور بالاستدراج والنخوة، ما علمت أن التكليف يكون بقدر العقل؟! وكثيراً ما يكون الشيء الواجب على بعض العقلاء غير واجب على سواهم. أما قرأت قوله تعالى: **﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى﴾**[2]، أولم تسمع قوله تعالى: **﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾**[3]، أما فهمت قوله تعالى: **﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾**[4]، وذلك العامي المسكين الذي

(*) العنوان من وضع المترجم.

[1] الناقص في العقل.

[2] سورة التوبة: الآية ٩١.

[3] سورة التوبة: الآية ١٠٢.

[4] سورة التوبة: الآية ١٠٦.

لم يهتدِ إلى أي مقصد، ولم يخط خطوة في طريق أي منزل، والذي لا يتولد منه لا شر ولا خير ماذا سيحل به إلا أن يدخل تحت ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٥].

١٥٩- إعلم أيها العالم: «أكثر أهل الجنة بله»[٦]، والحساب إنما يكون مع من هو مثلك، الذي يشبه الطير الذي يهبط من السماء بالحيلة والمكر، ويصيد السمك من قعر البحر، فإنك تستخرج الجواهر واللآلي والدر والمرجان من البحار والمناجم، وتسابق الشيطان في كياسة الدنيا وحيل النفس الخادعة. فليتك كنت أنت أيضاً وسائر المجادلين السذّج في جملة البله: لأن: «البلاهة أدنى إلى الخلاص من فطانة بتراء»[٧]. الشيطان إنما صار ملعوناً بسبب الفطانة.

العـقـل الـجـزئـي شـوَّه سـمـعـة الـعـقـل

لـــــذة الدنــــيا حـــرمـــت المــرء اللذة[٨]

١٦٠- أيها المعجب بنفسه، وأيها الفطن الغافل! أسألك: هل اشتُرط على كل مؤمن بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ﴾[٩]. وبمؤدى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[١٠]، أن يعلم هذه المعارف التي هي عبارة عن المعرفة الربوبية وعلم التوحيد وعلم المفارقات والملائكة، وعلم الوحي والرسالة، وعلم الكتب الإلهية والشريعة ومعرفة يوم القيامة وسر معاد النفوس والأجساد، وكذا معرفة أحوال البرازخ وعذاب القبر: «وبعث من في القبور وتحصيل ما في الصدور»[١١]، ونشر الصحف وكتب الأعمال يوم النشور، والميزان والحساب والجنة والنعيم، والكوثر والتسنيم[١٢]

---

[٥] سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

[٦] ابن إدريس الحلي: «السرائر» مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المحققين، قم، ط٢، ص٥٦٦.

[٧] لم يرد هذا الحديث إلا عند الفيض الكاشاني في مخطوط له في آستانة قدس.

[٨] أصل البيت باللغة الفارسية، وهو لشاعر غير معروف:

عقل جزئي عقل را بدنام كرد　　كام دنيا مرد را ناكام كرد

[٩] سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

[١٠] سورة النساء: الآية ١٣٦.

[١١] وردت هذه العبارة باللغة العربية.

[١٢] ماء في الجنة.

والنار والحميم والزقوم، أم لم ليس يشترط على المؤمن معرفة هذه الأصول والأركان ولم تُعَدَّ من شروط الإيمان، ولوازمه فتعال قل: أياً من هذه المعارف تعلم وتعرف؟

١٦١- حقاً، إن كثيرا من المتكلمين الذين يتكلمون عن طريق البحث والحوار وعلى سبيل المجازفة والمباحثة في ذات الحق وصفاته وأفعاله وكتبه ورسله، يثبتون لمعبودهم بضع صفات، لو يصفون بها قرية لتألم، كما أن جماعة تصوروا ذات الحق على وجه أقل شوقاً من جوهر النفس، الذي هو أدنى جواهر عالم الملكوت، بل إن الطبيعة التي هي جوهرٌ سارٍ في جميع الأجسام، هي أقرب إلى البساطة والشرف ممَّا حسبوه معبودا لهم، وكذا تصوروا التوحيد على وجه يشبه أن ينفي أحد عن الطباخ والخباز والنجار والبنَّاء وجود شريك له، وتعقلوا ملائكة الله كما يتصور الناس الطيور الطائرة. وهكذا لم يحسبوا نبي الله في معرفة الكتاب والوحي أكثر ممن يتعلَّم المعاني من آخَرَ على وجه التقليد. والفرق عندهم، هو أنه عليه وآله السلام مقلد لجبريل عليه السلام والآخرون مقلدون للبشر، ولم يعلموا أن التقليد لا يدخل في العلم. وأنَّ العلم الحقيقي هو نورٌ من الله ينزل على كل عبد يشاء. وظنهم أن النبي حفظ القرآن عنه بالطريق المعهود، وكذلك أئمة الهدى وأولياء الله عليهم السلام كل منهم سمع من الآخر عن طريق النقل والرواية، لا لأنه بمقتضى: **﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾**[١٣]، قد فاض من الحق تعالى على قلبهم النوراني بسبب الاتصال الروحاني بعالم الغيب، وأنه انتقل بعد ذلك عن طريق القلب إلى اللسان وظهر من جانب الغيب إلى جانب الشهود.

إذهب وامسح وجه صفحة القلب

كي يتخذ الملك عندك منزلا

حصل منه علم الوراثة

واحرث من أجل آخرتك[١٤]

---

[١٣] سورة الكهف: الآية٦٥.

[١٤] الشعر للعارف محمود شبستري والأصل الفارسي هو:

برو بزداى روى صفحهء دل كه تا سازد ملك پيش تو منزل

ازو تحصيل كن علم وراثت زبهر آخرت ميكن حراثت

١٦٢- إن علم الوراثة، هو على عكس علم الدراسة: لأن الأنبياء عليهم السلام يتعقلون الأشياء، وبعد ذلك يتخيلون، ثم بعد ذلك يحسون عين ما تعقلوه. وعلماء أهل النظر الذين يدعون الحكماء يدركون الأشياء بالحس أولاً، ثم ينتزعون منها صورة بالخيال، ثم ينزعون منها بالتعقل صورة عقلية، ويدركون الإدراك الكلي، وطريق الأولياء عليهم السلام وسط طريق الأنبياء وطريق الحكماء.

١٦٣- وأما طريق غيرهم فلا تصل إلى ما يمكن أن يطلق عليه اسم العلم، وهكذا فإن هؤلاء ما كان لهم نصيب من الإيمان بالآخرة، وإثبات النشأة الثانية ويوم القيامة وأحواله_ وهو الذي يساوي خمسين ألف سنة من الدنيا_ إلا بمقدار أن يقول أحد: غداً يوم من نوع الأيام الماضية سيقرأ كذا وكذا، كما أن يقتص سلاطين الدنيا من جماعة لم يسمعوا أقوالهم ولم يأتمروا بأوامرهم، ويمنحون جماعة أخرى جاهاً ومنصباً. هيهات، إن هذه المعتقدات تناسب الصبيان والنساء والجهلة: لأنها داعية إلى أعمال الخير وأداء الأمانات.

ماذا رأيت أنت من دين العجائز هذا

إذ تجوز لنفسك الجهل

قعدت كالنسوان في زقاق الإدبار

لا تحس من جهلك بالعار

النساء لأنهن ناقصات العقل والدين

فلم يأخذ الرجال الدين منهن[١٥]

١٦٤- اصبر إلى يوم يحل وعد: ﴿**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[١٦]، وتطالع صحيفة: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً**﴾[١٧]، ويكشف حجاب جمال: «يحشر

---

[١٥] الشعر للعارف محمود شبستري، والأصل الفارسي هو:

جه ديدى تو ازين دين العجائز — كه برخود جهل مى دارى تو جايز

نشستى جون زنان در كوى ادبار — نمى دارى زجهل خويشتن عار

زنان جون ناقصان عقل و دينند — جرا مردان ز ايشان دين گزينند

[١٦] سورة المؤمنون: الآية ١٠٠.

[١٧] سورة آل عمران: الآية ٣٠.

الناس يوم القيامة على نياتهم»، ويكشف وجه حكم: ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ❁ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[١٨].

إن كنت تحمل علماً من علم هذا الزمان

فـإنك أيضاً ترتدي شعاراً[١٩] من الجهل

مـــا يـــكـــون الـــيـــوم شـــعاراً لك

ذلـــك يـــصـــبـــح دثـــار الـحشـــر[٢٠]

وتقول لك الواقعة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ❁ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾[٢١]، كيف تذوب أجسام الدنيا كالثلج في شمس القيامة.

هذه الضجـة مـــن الـــزهـــو والهوس

هي رفيقتك حتى عتبـة اليـــوم فقط[٢٢]

١٦٥- وكيف يجتمع جميع الغابرين في الزمان الماضي والآتين في الزمان المستقبل في وقت وزمان واحد بمقتضى: ﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ❁ لَمَجْمُوعُونَ إِلى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[٢٣]، وكذلك كيف تقف جميع الكائنات السابقة واللاحقة في مكان واحد بمقتضى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾[٢٤]، وأي معنى لقوله تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٢٥]، حتى يتضح حينئذ كيف يكون: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾[٢٦].

[١٨] سورة الشعراء: الآيتان ٨٨-٨٩.

[١٩] الشعار ما تحت الدثار من اللباس، وهو ما يلي شعر البدن.

[٢٠] الشعر لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

گر زعلم اين زمان علـم دارى   زيـرپـوشي ز جـهل هـم دارى

آنچـه امروز زيـرپـوش بـود   آن زبـر پـوش حشر خوا هد شـد

[٢١] سورة الحاقة: الآيتان ١٥-١٦.

[٢٢] البيت لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

بـا تـو ايـن طمطراق لاف وهـوس   تـادم مردنـست هـمره وبس

[٢٣] سورة الواقعة: الآيتان ٤٩-٥٠.

[٢٤] سورة النازعات: الآية ١٤.

[٢٥] سورة إبراهيم: الآية ٤٨.

[٢٦] سورة البقرة: الآية ١٦.

أليس قبيحاً أن يكون الروح القدسي منتظراً وأنت

حينئذ في غرور الجاه والمــال جلــيس الشيــطان[٢٧].

وهذا ما يبرزه الحديث القدسي: «يا ابن آدم ما أدنى همتك وما آخس نفسك، طلبتك فتهرب مني ويطلبك غيري فتأتي»[٢٨]

طوال عمري كــله ذات لــيلة وقـــت الصلاة

أطــــل عــــلي خـــيـــال الـــمعــــشوقـــة

كشفت النقاب عن الوجـه وقالت همساً وسرّاً ســرا

ألا فـــانــظر أي جـــمـــال قـــد فـــاتــك[٢٩]

١٦٦- أيها الفتى، إن نفوس الناس في الابتداء ليست مبتلاة بأي علة أو مرض، وليس فيهم من علة سوى نقصان البشرية والضعف: ﴿**وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً**﴾[٣٠]، ولكنهم بعد مدة بسبب الخطوط العاجلة والخيالات الدنيوية الباطلة التي يسكبها الشيطان، بواسطة أفيون الغفلة والغرور، ضمن شراب الأماني والآمال في خلق الخلق، وتتلاقى(من ذلك)[٣١] في النفوس عدة أمراض وآفات: ﴿**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً**﴾[٣٢]، لا ينتج لهم في النهاية شيء قط سوى (أن يكونوا قد)[٣٣] انقطعوا عن الفطرة الأصلية والرجوع إليها ثانية ليس بممكن، حيث يتمنون: ﴿**فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً**﴾[٣٤]، وهو تمني أمر محال.

---

[٢٧] أصل البيت باللغة الفارسية ، وهو لشاعر غير معروف:

زشت نبود روح قـدسي منتظر وآنگـاه تو　　در غرور جاه ومـالي هـمنشين اهـرمن

[٢٨] هذه العبارة وردت في اللغة العربية.

[٢٩] أصل الأبيات باللغة الفارسية، وهي لشاعر غير معروف:

انــدر هـمـه عـمـر مـن شبي وقت نماز　آمـد بـــر مـن خـيــال مـعـشوقه فراز

بـگشاد زرخ نـقـاب ومـــي گـفــت بـراز　بــاري بـنـگر كـه از كه مي مـانــي بــاز

[٣٠] سورة النساء: الآية ٢٨.

[٣١] لم ترد في النص.

[٣٢] سورة النساء: الآية١٢٠.

[٣٣] لم ترد العبارة في النص.

[٣٤] سورة السجدة: الآية١٢.

لو أنت رقدت مع المحبوب طوال العمر

وذقت لذات العالم طوال العمر

فثمة موت في آخر الأمر وحينئذ

ستكون رؤيا رأيتها طوال العمر[٣٥]

---

[٣٥] الشعر للعارف أبو سعيد أبو الخير، والأصل الفارسي هو:

با يار گر آرميده باشى همه عمر   لذات جهان چشيدة باشى همه عمر

هم آخر مرگ باشد وآنگه   خوابى با شد كه ديده باشى همه عمر

الباب الرابع عشر

في معرفة العمل الصالح والعلم النافع

الباب الرابع عشر

الفصل الثامن

في معرفة العمل الصالح والعلم النافع (*)

١٦٧- أيها المتشرع العادل، وأيها العادل، وأيها المدقق الغافل، إن تتأمل لحظة في هذه الآية: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[1]، يتضح لك أنه بهذه العلوم البدنية، والعلوم الظاهرية والإسلام اللساني، والصلاة الأركانية، والصوم الفمي، والزكاة الخبزية، والحج اللساني، بدون تصفية الباطن من غش الاعتقادات الرديئة والبدع والأهواء، ومن تنوير القلب عن الرياء وأغراض الدنيا الفاسدة ودواعي النفس والهوى، لا يمكن الوصول إلى طريق منزل السلامة ونجاة الآخرة: «طاحت العبارات وفنيت الإشارات وما نفعتنا إلا ركيعات ركعناها في جوف الليل»[2].

١٦٨- إعلم، أنَّ علماً بلا نفع، وعملاً بلا علم عدمهما أفضل من وجودهما. وقد ورد في الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ: «نعوذ بالله من علم لا ينفع ومن دعاء لا يسمع»[3]؛ لأنه يتولد من كل واحد من هذين مائة فتنة وغرور. واحد منها يكفي لإجابة دعوة الشيطان وقبول وسوسة إبليس اللعين. وقد نُقل عن بعض أصحاب القلوب: «فتنة الحديث أشد من فتنة المال والأهل والولد، وكيف لا

(*) العنوان من وضع المترجم.

(1) سورة البينة: الآية ٥.

(2) الغزالي، أبو حامد: «رسالة أيها الولد»، الأونيسكو، ١٩٥٧، ورد في الكتاب: «روي أن أحد الصالحين (رحمه الله تعالى) روي في المنام بعد موته، فقيل له: يا فلان ما الخبر؟ قال «طاحت تلك العبارات، وفنيت تلك الإشارات، وما نفعنا إلا ركيعات ركعناها في جوف الليل».

(3) الكراجكي، ابن الفتح محمد، كنز الفوائد، مكتبة المصطفوي، قم، ١٤١٠، ج٢، ص١٨١.

يُخاف، وقد قيل لسيد البشر ﷺ ﴿وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾[4] [5]، وقال آخر: «إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا»[6]، والمراد طلب الأسانيد العالية أو طلب حديث لا يحتاج إليه في طريق الآخرة. وقال آخر: «أدركت الشيوخ وهم يتعوذون الله من الفاجر العالم بالسُّنَّة»[7]، وروي عن عيسى‏ عليه السلام، أنه قال: «كيف يكون من أهل العلم من يكون مسيره إلى الآخرة وهو مقبل على دنياه، وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به»[8]. ونقل عن النبيﷺ، أنه قال: «أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: قل للذين يتفقهون لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، ويلبسون للناس لباس مسوك الكباش، وقلوبهم كالذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، إياي يخادعون وبي يستهزؤن. لأتيحن لهم فتنة تذر الحكيم حيرانا»[9].

١٦٩- وروى محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله في كتاب الكافي عن

---

[4] سورة الإسراء: الآية ٧٤.

[5] الخطيب: «شرف أصحاب الحديث»، تحقيق محمد سعيد خطيب أوغلي، الطبعة الأولى، نشر دار إحياء السنة النبوية رقم (٢٧٧) وهو منقول على لسان سفيان الثوري. وورد هذا الحديث أيضا في كتاب «إحياء علوم الدين للغزالي" ج١، الباب السادس: «في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء»: «قال الثوري»: «فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد وكيف لا تُخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم..» .

[6] هذا الحديث أيضا من كتاب «إحياء علوم الدين للغزالي» ج١، الباب السادس: «في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء»، حيث ورد: «قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا».

[7] هذا الحديث أيضا من كتاب «إحياء علوم الدين للغزالي» ج١، الباب السادس: « في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء»، حيث ورد: «قال صالح بن كيسان البصري: أدركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة».

[8] هذا الحديث أيضا من كتاب «إحياء علوم الدين للغزالي» ج١، الباب السادس: «في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء»، حيث ورد: «وقال عيسى عليه السلام: كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى أخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به» .

[9] ورد هذا الحديث في بحر الأنوار، ج١، ص٢٢٥، الباب السابع «طلب العلم وأحكامه»، حيث ورد: «عن النبي صلى الله عليه وآله قال : أوحى الله إلى بعض أنبيائه قل : للذين يتفقهون لغير الدين ، ويتعلمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا لغير الآخرة ، يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل وأعمالهم أمر من الصبر : اياي يخادعون ؟ وبي يستهزؤون ؟ لأتيحن لهم فتنة تذر الحكيم حيرانا .

أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنه روي عن النبي ﷺ قال: «العلماء رجلان، رجل عالم أخذ بعلمه فهو ناج، وعالم تارك لعلمه وهذا هالك، وإن أهل النار يتأذن من ريح العالم التارك لعلمه»[10]، وروي في الكافي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً أنه قال: «أيها الناس إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون، إن العالم العامل بغير بصيرة كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل قد رأيت الحجة عليه أعظم، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ عن علمه، منها على الجاهل والمتحيّر في جهله وكلاهما حائر بائر»[11].

١٧٠- وروي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «إن من أراد الحديث لمنفعة الدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة»[12]، وروي عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، أنه قال: «من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه، فليتبوأ مقعده من النار»[13].

١٧١- والآيات القرآنية والأحاديث والأخبار في هذا الباب لا تعد ولا تحصى، ونقلها في هذا الموجز متعذر، لكن ليعلم الأصحاب أن ما سبق من ذم العلم بلا عمل، إنما المراد به علم الظاهر دون علم المكاشفة؛ لأنك عرفت: أن المعارف الإلهية مبرأة من هذه النواقص والعيوب وخالية من جميع الآفات. وعلمه عين المقصود، وكلما علم أكثر من حيث الكمية فهو أكثر.

١٧٢- وأما العلم المتعلق بالعمل، والذي هو من علوم المعاملات لا من علم المكاشفات، فإن معرفته بقدر العمل هو واجب كفائي وما زاد عن العمل فمعرفته وبال في الآخرة، وهذا المعنى قد اتضح عند العارفين، ودلائله وشواهده كثيرة، وإذا بدأنا بذكرها فسيطول الكلام، وتكفي الإشارة

---

[10] الكافي - الشيخ الكليني ج ١، ص ٤٤ (باب استعمال العلم) ، حيث ورد عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن حماد بن عيسى، عن عمر بن أذينة، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يحدث عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال في كلام له : العلماء رجلان : رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك ، وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه .

[11] الشيخ الكليني، الكافي، ج ١، ص ٤٥ (باب استعمال العلم).

[12] الشيخ الكليني، الكافي، ج ١، ص ٤٦(باب استعمال العلم).

[13] الكليي، الكافي،ج١، ص ٤٧ (باب المستأكل بعلمه والمباهي به).

للآذان الصاغية[١٤] .

١٧٣- أيها العزيز، لو كنت منصفاً وكان عقلك في محله، فانظر ماذا يقول الشيخ زين الدين عليه الرحمة[١٥] في كتابه «آداب المتعلمين»: «قال بعض المحققين: العلماء ثلاثة: عالم بالله، فهو عبد استولت المعرفة الإلهية على قلبه، فصار مستغرقاً بمشاهدة نور الجلالة والكبرياء، ولا يتفرغ لتعلم علم الأحكام إلا ما لا بد منه، وعالم بأمر الله غير عالم بالله، وهو يعرف الحلال والحرام ودقائق الأحكام، لكنه لا يعرف أسرار جلال الله. وعالم بالله وبأمر الله، فهو جالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات، فهو يأتي تارة مع الله بالحب له، وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة، فإذا رجع من ربه إلى الخلق صار معهم كواحد منهم، كأنه لا يعرف الله، وإذا خلا بربه، مشتغلا بذكره وخدمته فكأنه لا يعرف الخلق، فهذا سبيل المرسلين والصديقين، وهو المراد بقوله ﷺ: سائل العلماء، وخالط العلماء، وجالس الكبراء»[١٦]، والمراد بقوله: «سائل العلماء» العلماء بأمر الله غير العالمين بأمر الله، فأمر بمساءلتهم عند الحاجة إلى الاستفتاء. أما الحكماء فهم العالمون بالله الذين لا يعلمون أوامر الله، فأمر بمخالطتهم، وأما الكبراء، فهم العالمون بهما، فأمر بمجالستهما؛ لأن في مجالستهم خير الدنيا والآخرة، ولكل واحد من الثلاثة ثلاث علامات، فالعالم بأمر الله الذاكر باللسان دون القلب، والخوف من الخلق دون الرب، والاستحياء من الناس في الظاهر ولا يستحي من الله في السر، والعالم بالله ذاكر خائف مستح. وأما الذكر فذكر القلب لا اللسان، والخوف خوف الرجاء لا خوف المعصية، والحياء حياء ما يخطر على القلب لا حياء الظاهر، وأما العالم بالله وبأمره فله ستة أشياء: الثلاثة المذكورة للعالم بالله فقط، مع ثلاثة أخرى، كونه جالسا على الحد المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وكونه جالساً على الحد المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وكونه

---

[١٤] هذه العبارة، وردت في اللغة العربية.

[١٥] هو زين الدين بن محمد بن أبي الحسن زين الدين الشهيد الثاني الجبعي العاملي، تلقى علومه على والده والشيخ بهاء الدين محمد العاملي، ومحمد أمين الإسترآبادي.

[١٦] في هذه العبارة، إشارة إلى قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الإمام جعفر الصادق(ع): «سائلوا العلماء وخالطوا الحكماء وجالسوا الفقراء» والتي وردت في كتاب نوادر الراوندي.

معلماً للمسلمين، وكونه بحيث يحتاج إليه الفريقان وهو مستغن عنهما، فمثل العالم بالله وبأمر الله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص، ومثل العالم بالله فقط، كمثل القمر، يكمل تارة وينقص أخرى، ومثل العالم بأمر الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء غيره»[١٧].

١٧٤- فإياك أن تُفتَن وتغتر بالعلم بالظاهر أو بالصلاح دون بصيرة: لأن كل شقاء لحق المردودين إنما لحقتهم بسبب اغترارهم بالعلم الظاهر وبالعمل على غير هدى، وأن ما قرأته في قصص الأنبياء أو سمعته من أحوال الشهداء والأولياء من المصائب والمحن التي أصابت آل بيت النبوة والولاية. أهل بيت العصمة والطهارة، إنها جميعا كانت بسبب نفاق أهل الكيد والرياء والغدر ومكائدهم، وبسبب حيل المتشددين بأهل العلم والتقوى.

لم يسقط علي المرتضى عليه السلام أرضا بضربة ابن ملجم، بل نهل كأس الشهادة ممزوجاً صلح أبي موسى الأشعري، وخَلٍّ نفاق عمرو بن العاص، ولم يسقط الإمام الحسين عليه السلام بخنجر شمر بن ذي الجوشن، بل اختلط دمه

---

[١٧] هذه الفكرة للشهيد الثاني، وهي من كتاب «منية المريد في أدب المفيد والمستفيد»، ولعله هو نفس الكتاب الذي أشار إليه الملا صدر «آداب المتعلمين»، وهو من تحقيق رضا مختاري، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩، يقول الشيخ زين الدين: «قال بعض المحققين: العلماء ثلاثة: عالم بالله غير عالم بأمر الله، فهو عبد استولت المعرفة الإلهية على قلبه فصار مستغرقاً بمشاهدة نور الجلال والكبرياء، فلا يتفرغ لتعلم علم الأحكام إلا ما لابد منه، وعالم بأمر الله غير ما لم بالله، وهو الذي عرف الحلال والحرام ودقائق الأحكام، لكنه لا يعرف أسرار جلال الله، وعالم بالله وبأمر الله، فهو جالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات، وعالم المحسوسات، فهو تارة مع الله بالحب له، وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة، فإذا رجع من ربه إلى الخلق صار معهم كواحد منهم، كأنه لا يعرف الله، وإذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته، فكأنه لا يعرف الخلق، فهذا سبيل المرسلين والصديقين، وهو المراد بقوله صلى الله عليه وآله: سائل العلماء، وخالط الحكماء، وجالس الكبراء. فالمراد بقوله صلى الله عليه وآله «سائل العلماء» العلماء بأمر الله تعالى غير العالمين بالله، فأمر بمسائلتهم عند الحاجة إلى الاستفتاء، وأما الحكماء فهم العالمون بالله الذين لا يعلمون أوامر الله، فأمر بمخالطتهم، وأما الكبراء، فهم العالمون بهما، فأمر بمجالستهم، لأن في مجالستهم خير الدنيا والآخرة، ولكل واحد من الثلاثة ثلاث علامات: فللعالم بأمر الله: الذكر باللسان دون القلب، والخوف من الخلق دون الرب، والاستحياء من الناس في الظاهر ولا يستحيي من الله في السر. والعالم بالله ذاكر خائف مستحي، أما الذكر فذكر القلب لا اللسان، والخوف خوف الرجاء لا خوف المعصية، والحياء حياء ما يخطر على القلب لإحياء الظاهر. والعالم بالله وامرأة له ستة أشياء: الثلاثة المذكورة للعالم بالله فقط، مع ثلاثة أخرى: كونه جالساً على الحد المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وكونه معلماً للمسلمين، وكونه بحيث يحتاج الفريقان الأوّلان إليه، وهو مستغن عنهما. فمثل العالم بالله وبأمر الله كمثل الشمس لا تزيد ولا تنقص، ومثل العالم بالله فقط، كمثل القمر يكمل تارة وينقص أخرى، ومثل العالم بأمر الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضئ لغيره» صص ٢٢٤-٢٢٥.

بتراب كربلاء بواسطة المعجون الخليط السام من أفيون المكر والخداع، والترياق* لاتفاق أهل النفاق، فقد: «قتل الحسين يوم السقيفة»[18]، وهكذا انتشرت على أرض المحنة قطع كبد الحسن المجتبى(عليه السلام) من كيد معاوية وغدره الخفي.

وعلى هذا القياس... وكل ما أصاب سائر الأئمة (عليهم السلام) ناتج عن قوة تزوير الأعداء ومكر أرباب الزيف والرياء وتلبيسهم، ورغم كل هذا الظلم والجور والفتنة والفساد التي صدرت منهم، لم ينقص مثقال ذرة من قدر أهل الولاية والحقيقة وجاههم ومنزلتهم، وكانوا وسيظلون معززين مكرمين في الدنيا والآخرة، بل إن هؤلاء الأعداء قد فضحوا أنفسهم في الدين والدنيا، وبلوا أنفسهم بالعذاب السرمدي والسخط الإلهي المؤبد.

جميع الذين اختاروا طريق الحبيب

استراحوا في حي الشهادة

الفتح في معركة الكونين هو من الحب

مع أن جميع جنوده شهداء[19]

وهم بناء على ذلك: ﴿**وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ**﴾[20]، قد انقلبت عليهم أعمالهم وأصيبوا بجزاء: ﴿**وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾[21]

كل من يصارع الأسد والنمر

فالأفضل له أن يتجنب سهم الفقر

فعد همة الرجال كمبرد

---

* الترياق مادة مخدّرة كانت متداولة بين الناس في بعض الفترات من تاريخ ايران.

(18) وردت العبارة باللغة العربية.

(19) أصل الرباعية باللغة الفارسية، هذان البيتان نسبهما رضا قليخان هدايت إلى الملا صدرا:

آنان كه ره دوست گزيدند همه — در كوى شهادت آرميدند همه

در معركهء دو كون فتح از عشقست — با آنكه سپاه أو شهيدند همه

(20) سورة الفاطر: الآية ٤٣.

(21) سورة هود: الآية ٤٨.

إذ لا يـقــطع فــيــشحــذ الــقــاطـــع[٢٢]

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٢٣]

مـــن أشــعل ســراج الدين في رأســـه

أحـــرق شــاربـــه المــزهــو كــلــــه[٢٤]

١٧٥- أيها العزيز: إن اتخاذ العمى اليوم شعاراً، والنوم في منام الغرور، وتصريف العمل على المجاز، وطلب المقام، ليس عملا كافياً، فغداً: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٢٥] سيقول لك في أي عمل كنت.

عنـــدما تظهـــر ســـدة الحقيقة غداً

سيخجل الســالـــك الذي عـــمل بالـمجاز[٢٦]

١٧٦- لو فتحت عينيك لحظة، ووضعت سبل الهوى جانباً، وطرحت غشاوة الطبع وعمى الغرور؛ لوجدت كل آية من آيات القرآن مرآة كاشفة للوجه، تستطيع أن ترى فيها حقيقة باطنك؛ إن أسود مظلماً أو أبيض نيراً. إن مشاهدة ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[٢٧] هي نقد وقت العارفين[٢٨].

ومن الممكن اليوم، أن تنظر بعين البصيرة إلى الكتاب والحديث، فترى من خلال الميزان الناقد للحقيقة كل علم وعمل، وتستخرج حساب النفس

---

(٢٢) الشعر لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

بــا شـــــيــر و پـلــنـگ هـركـه آويـز كـنـد آن بـه كـه زتـيـر فـقـر پـرهـيـز كند

ايـن هـمـت مـردان تـو چـو سـوهـان مـى دان گـرخـود نـبـرد بـرنـده را تـيـز كند

(٢٣) سورة الصف: الآية ٨.

(٢٤) البيت لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

هركـه در سـر چـراغ ديـن افروخت سبـلـت پـف كنـانش پـاك بسوخت

(٢٥) سورة ق: الآية٢٢.

(٢٦) البيت لحافظ الشيرازي والأصل الفارسي هو:

فـردا كه پيش گـاه حقيقت شـود بـديـد شرمـنـده ره روى كه عـمـل بر مـجاز كـرد

(٢٧) سورة الأعراف: الآية ١٩٥.

(٢٨) المعنى [illegible] مشادة ذلك ال[illegible] تكون بمثابة النقود الموجودة عند العارفين في هذه الدنيا والتي يعرفونها [illegible]يل التزود بز[illegible]رة.

﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[٢٩]، _هذا إذا كان المرء صاحب بصيرة_، فهذا هو: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»[٣٠]. ولكن متى يسمح غرور النفس المهتمة بالظاهر، وتسويلات إبليس اللعين للحق والحساب بالوصول إليها.

أيــــن عــــين كــــي تــــرى نفس أنواره

أين أذن كــــي تســــمع أسرار اللــــحظة[٣١]

١٧٧- ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[٣٢]، بل إن كل قلب من قلوب أهل اليقين المبصرين بالحقائق هو مرآة للدنيا يمكن فيها رؤية الأحوال الماضية والآتية؛ إذ: «المؤمن مرآة المؤمن» [٣٣].

إن المــــرآة تعــــكس كل شيء إلا الروح

وهــــذه المــــرآة لا تــــعــــكــــس إلا الــــروح[٣٤] (*)

١٧٨- لو استكشفت من مرآة ضمير أهل البصيرة المنير، كيفيات عواقب الأمور، ونتائج لذات الدنيا والفتنة والغرور، لتبين لك في أي عمل أنت وإذا ما تعاميت وتدثرت بلحاف الغرور، وهبطت في بئر الدنيا وويل جهنم بحب المكر وتلبيس النفس، وفتنة المال والجاه، ففي الغد، حين تتكشف غشاوة الجسم ويرتفع غطاء الطبيعة من أمام العين بمقتضى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾[٣٥] وحين يزول عثار البدن وغبار الدنيا _ وتغدو عين النفس بمقتضى ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٣٦] دقيق الرؤيا، وعندما تدار مرآة الروح _ التي هي المقلوبة

---

[٢٩] سورة الحديد: الآية ٢٥.

[٣٠] نهج البلاغة، خطبة رقم: ٩٠

[٣١] الشعر لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

كــو چشم كــه بيند نفــس انــوارش   كــو گــوش كــه بــشنــود دمــى اسرارش

[٣٢] سورة الأعراف: الآية ١٩٤.

[٣٣] أنظر: «كنز العمال ١٩٥ بالأفعال والأقوال» للمتقي الهندي، الفصل السابع في صفات المؤمنين،كتاب الهمزة.

[٣٤] البيت لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

آئينه همــه چيــز نــمــايــد بــجز از جــان   ويــن آئــينــه جز صــورت جــان مى ننمايد

* لم يرمم السيد حسين نصر هذه الفقرة، فانتقل مباشرة من ٢٧٦ إلى ١٧٨، ولعل هذا نابع من خطأ مطبعي.

[٣٥] سورة ق: الآية ٢٢.

[٣٦] سورة ق: الآية ٢٢.

ظهرا لوجه، سترى كيف هي حال الباطن، وكيف يكون لقاء الآخرة.

إذا يقلب الروح المغرور

فكم يرتفع الويل من أهل الدين[٣٧]

حينما يقعد غبار هذه الدنيا

يرى كل شخص أمام قدميه

حينئذ يصبح لك واضحا

أحماراً ركبت أم فرسا

مع أنك ههنا قباد وبرويز

فتقوم من الطين كلبا لأنك ظالم

إذا أنت قائم في الزهد لكنك حمار

فأنت حطب الجحيم لكنك رطب

إذا أنت فقيه لكنك مفسد

ستقوم يوم البعث شيطانا[٣٨]

١٧٩- يا ابن آدم العزيز، إنني مازلت مصمماً على متابعة الحوار معك، وأن لا أترك حق النصيحة وخلوص الطوية وتوخي الصلاح وطلب الدولة، إن تكن لك سابقة[٣٩]، وإن بقي فيك أثر من الإنسانية، فاسمع الصدق_ وأظنك لا تسمع_ لأنك حتى اليوم، لم يكن من عمل تكون لك فيه قيمة، أن تكون

---

[٣٧] هذا البيت لمولوي والأصل الفارسي هو:

چون كند جان و از گونه پوستين   بس كه و اويلا بر آيد ز اهل دين

[٣٨] الشعر لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

كرد اين نشأه چونكه بنشيند   هركسى پيش پاى خود بيند

آن زمان مي نمايدت روشن   أحمارا ركبت أم فرسا

گرچه اينجا قباد وپرويزي   چون عوانى زگل سگى خيزى

گر تونى زهدورز ليكن خر   هيزم دوزخى وليكن تر

ور فيقهى وليك شور انگيز   ديو خيزى بروز رستاخيز

[٣٩] سوابق في التقوى كما هي إشارة إلى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الحج: ١٠١).

لك أذن، تلك الأذن التي للإنسان، لا أذن التي هي كثيرة في الدواب والأنعام وتدخل هذا الكلام في سمعك، وتشرب دواء النصيحة المر، فستعلم الأذن أي عمل عليك بعد هذا اليوم، وتعرف أنك لم تكن حتى اليوم في عمل يجديك في الآخرة. إن هذا الجاه والمنصب اللذين تفتخر بهما، يتولد منهما ألف وبال، هذا العمل والعلم اللذين أنت مغرور بهما لا يساوي عرّامٌ منه حبة شعير: «رب تال للقرآن والقرآن يلعنه»[٤٠]

غـدا الــذي يطــلبون فيه عاملين كل فن

يطالبون حسن العــمل من الشيخ والبرهمن

لا يأخذون كل مــا حــصدته بــحبة شعير

مــا لــم تــزرعـــه يــطــالــبون عــرمـــاً[٤١]

١٨٠- وإذا كنت لا تسمع، فلا تجعله درَّة في أذنك، وتصور أن مدرة نقصت من حديقة الأمير، أو اقعد كغراب على مدرة عدة أيام، وغرِّد لهوى النفس الأمارة: ﴿إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[٤٢]

أي شيء هو الجسم، بلا روح؟ إنه قبــضة مــن الغبار

أي شيء هو القلــب بلا عــلــم؟ إنه ريــح بــاردة[٤٣]

❖❖❖❖❖❖❖❖

كـل قـلـب ليس حيا بالعشق في هذه الدار

فبفتــواي: صـلــوا عــلــيه قــبل الموت[٤٤]

---

[٤٠] هذا الكلام ورد باللغة العربية، وهو من كتاب «إحياء علوم الدين للغزالي» ج١، من باب «كتاب آداب تلاوة القرآن» وورد فيه: « قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ثلاث في ذم تلاوة الغافلين قال أنس بن مالك: رب تال للقرآن والقرآن يلعنه».

[٤١] الرباعية، وهي للشيخ البهائي والأصل الفارسي:

فـردا كـه مـعاملان هرفن طلبند حسن عمل از شيخ وبرهمن طلـبند

آنـهاكـه دروده اى جـوى نستانند آنـها كـه نكشتـه اى بخـرمن طلبند

[٤٢] سورة العنكبوت: الآية ٦.

[٤٣] البيت لشاعر غير معروف والأصل الفارسي هو:

تـن بـى روح چـيست مـشتى گـرد دل بـى علم چيست بـادى سرد

[٤٤] البيت وهو لشاعر غير معروف، والأصل الفارسي هو:

هـر آن دلى كـه دريـن خـانه زنده نيسـت بعشق بـرو نـمرده بفتواي مـن نـمازكنيد

١٨١- مضى زمن الحداد عليك **﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾**[٤٥]، وكتب في الأزل على شاهد قبرك: **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾**[٤٦]، وطبع على حجر قبرك الأسود **﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾**[٤٧] وتلا حفاظ كلام الملك العلام على الصدور التي هي قبور للقلوب الميتة **﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾**[٤٨]: «وليس لهم حتى النشور نشور»[٤٩]

١٨٢- فيا أيها الوجيه الملتذ، صاحب الجاه المشهور الملقب بالمتقي الأتقى، إذا تشاء أن تعرف معنى المتقي، فاقرأ هذه الآية: **﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾**[٥٠].

وإذا أردت أن تعلم من هو المستحق لعذاب جهنم، والجدير بلعن الله والملائكة والمصطفين من الله، فاقرأ هذه الآية: **﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[٥١].

وإذا أردت أن تعلم الإيمان والصلاح، وتعرف حقيقة المؤمن والصالح، إقرأ هذه الآية **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[٥٢]

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين [٥٣].

---

[٤٥] سورة النحل: الآية ٢١.

[٤٦] سورة القصص: الآية ٥٦.

[٤٧] سورة البقرة: الآية ٧٤.

[٤٨] سورة الأنفال: الآية ٢٣.

[٤٩] أورد ملا صدرا العبارة بالعربية، وهي عجز لبيت شعري، ورد في كتاب «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان محمد بن أبي بكر محمد ألزرعي»»، ويقول البيت:

وفـي الجهل قبل الموت موت لأهله — وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم — وليس لهم حتى النشور نشور

[٥٠] سورة يونس: الآية ٦.

[٥١] سورة يونس: الآيتان ٧- ٨.

[٥٢] سورة يونس: الآيتان ٩- ١٠.

[٥٣] بهذه العبارة تنتهي رسالة الأصول الثلاثة التي ترجمت من الفارسية إلى العربية.



فهارس المحتويات

فهرس

آيات القرآن الكريم

«أ»

«ب»

«ف»

«ق»

«ك»

«ل»

«م»

فهرس

الأحاديث

«آ»

«ب»

«ك»

«ل»

«م»

«ن»

«و»

«ي»

فهرس

الأعلام

«أهل البيت عليهم السلام»

«ب»

«خ»

«د»

«ر»

«ز»

«س»

«ش»

«ص»

«ط»

«ع»

«ف»

«ق»

«ك»

«ل»

«م»

فهرس

الأشعار العربية

فهرس

الأشعار الفارسية

او عمل مر علم باشد دور — مثل این مهندس ومز دور ١٩٨

أو لب هستي تو وآنكه تو قشر آن — زين قشر ناكذ شته كجا بيني آن لباب ١٢٨

او نبيند جزكه اسطبل دواب — غافل او اديشهء يوم الحساب ١٣٧

آي آنكة ز آتش درون ميسوري — ازنار جحيم خشم تون ميسوزي ١٥٤

أي بي خير أز جهان معنى — با توجه كنم بيان معنى ١٦٦

اي دوست حديث عشق ديكر كونست — وزكفت وشنيد اين سخن بيرونست ١٧٧

أي شده خشنود به يكبا ركي — جون خرو كاوى بعلف خواركي ٢٣٦

اي فرومانده زار وخوار وخجل — در جحيم تن وجهنم دل ١٠٧

اي مقيم از دو ديو ديوانه — شهوت حيز وخشم مردانه ١٣٩

اين خرمن دا نش كه تو اندوخته اي — سرماية مرد خوشه جيني به ازاوست ١٨٤

اين كروهي كه نورسيد ستند — عشوهء جاه وزر خريد ستند ٢٠٣

اين مشايخ كه عصاي ره شوند — كاه سد راه هر كمرد شوند ٢٢٧

اين همت مردان توجو سوهان مى دان — كر خود بنرد برنده رايتزكند ٢١٦_٢٥٧

اين هوسنا كان ز قرآن وخبر — غير حرف وصوتشان نبود نظر ٢٠١

اينكه دل نام كرده اي بمجاز — رويه بيش سكان كوانداز ٢١٩

با تواين طمطراق لاف وهوس — تادم مرد نست همره وبس ٢٤٥

با هر كه نشتي ودلت جمع نشد — كه هر سا عتس قبله ديكر است ١٢٣

با يار كر باشي همه عمر — لذات جهان جشيدة باشي همه عمر ٢٤٧

بار ديكر از ملك قربان شوم — انجه اندر وهم نايد آن شوم ١٩٥

بار ديكر هم بميرم از بشر — تا بر آرم از ملائك بال ويسر ١٩٥

بارها كفته و بار دكر مى كويم — كه من دلشده اين ره نه بخود ميبويم ١٠٨

باشير ويلنك هركه آويز كند — آن به كه زتير فقر برهيز كند ٢١٦_٢٥٧ ـ

ببينم دوزخي را من نكون سر — فتاده آتش اندرجان ودر بر ١٧٢

بخوان تو آية نور السماوات — كه جون خورشيد تابان كشته زان ياك ٢١٩

بر عارف همه درات عالم — ملائك وار در تسبيح هردم ٢١٩

برو بز داي روى صفحهء دل — كه تا سازد ييش تو منزل ٢٤٣

برو بفروش اين جشمي كه داري — كه در ديدن ندارد استواري ٢٤٣

برون آرد زهر محسوس جاني — بسا زد خود از جانها جهاني ١٨٩

برين دلهاى همجون آهن وسنت — بشد راه زمين وآسمان تنك ١٠٥

برين يأجوج طبعان بد آيين — كشيدى از جهالت سد رويين ١٠٥

بس براون كرده از هوا قرقر — كين فلان ملحد اين فلان كافر ٢٠٣

بس عدم كردم عدم جون ارغنون — كو يدم كانا اليه راجعون ١٩٥

بسان روضة باشد جان احرار — كه باشد حفرة جان نتك اشرار ١٥٤

بعادت حالها باخوي كردد — بمدت ميوه ها خوش ها خوش بوي كردد ١٦٤

بفعل آيد ز قوت هر زماني — زهر خاكي يكي عقلي وجاني ٢١٩

بكشاد زرخ نقاب وميكفت براز — بارى بنكر كه ازكه مي ماني باز ٢٤٦

بلكه جون آب وكل وآدم كده — نور از آهك بارها تابان شده ١٥٦

بنور الحق توان را يقين رفت — او اينجا تا بملك داد ودين رفت ١٨٩

بهر جا دانه اي در باغ ورافيست — درون مغزا وروشن جرا غيست ٢١٩

بهردم مي فتد برقي بسويش — از آن برق آتشي افتد برويش ١٧٢

بود از هر تنى بيش تو جاني — از آن دريسته با تو ريسماني ١٩٧

بود نا محرمان را جشم ودل كور — وكرنه هيج ذرة نيست بي نور ٢١٩

بیکدم طی کند هر دو جهان را	زمین بگذارد وهم آسمان را	۱۸۹
بیندازد بهر وقتی یکی بوست	بیفتد هردم از جشمش یکي دوست	۱۷۲
تا بجنبانت بهنجار بفن	تا بدانم من که ینهان بود» من»	۲۲۵
تا تواز آبا نکذ ري	کافرم، کر هر کزا زدین برخوري	۲۲۷
تا تواز خشم وآرزو مستي	بخداي ارتو آدمي هستي	۱۳۸
تا فرستد حق رسولي بنده اي	دوغ را در خمره جنبا ننده أی	۲۲۵
تاشب روز هستي زاد	آفتابي جنان ندارد یاد	۱۰۶
ترا این بند بس در هرد وعالم	که برناید زجانت بي خدا دم	۱۲۱
تو بقوت خلیفة ای زخدا	قوت خویش را بیار بجا	۱۹٦
تو بودی عکس معبود ملائک	از آن کشتی تو مسجود ملائک	۱۹۷
تو جه داني زبان مرغان را	که ندیدي شبي سلیمان را	۲۱۲
توان باك کردن ز زنك آینة	ولیکن نیاید زسنک آینة	۱۳٦
توای محجوب ازان نورای سیه دل	ازان ما ندی بدنیا باي درکل	۱۸۹
توب جشم خویشتن بس خوبروئي لیک باش	تا شود در بیش رویت دست مرك آئینة دار	۲۱۷
توجه داني بهشت یزدان جیست	توجه داني که جنت جان جیست	۱۵۹
تودر آن فکری همیشة با شتاب	که نباشد فرق با تواز دواب	۱۱۰
تي بي روح جیست مشتی کرد	دل بي علم جیست بادی سرد	۲٦۰
جان شهوت دوست از دانش تهیست	هنجو حیوان یاز علف در فربهیست	۱۳۷
جان یا کان کتاب مسطور أست	رق منشور وبیت معمور آست	۱۰۳
جسد از روح وروح أز علم برپاست	حیات جملة أز قیوم دا ناست	۱۵۵
جنان بعالم صورت دلش بر آشفته است	که کر بعالم معنی رسد صوریا بد	۱۲۲

جنان محبوس این محسوس کشتي　　که از عقل وخرد مأیوس کشتي ۱۸۹

جنان مکن که اکر راه حس فرو بندند　　تو خویش راهمة یکباره کور وکر یابي ۱۲۱

جنان مکن که اکر راه حس فرو بندند　　تو خویشتن را یکباره کور وکر یابي ۱۳۷

جه خوش کفت از الهی نامة عطار　　که جانم بند تحقیق آن یار ۱۷۲

جه دیدی تو ازین دین العجائز　　که بر خود جهل من داری تو جایز ۲٤٤

جهد برقي درو هردم ز کلخن　　بسوزد ز آتش جان در دمش تن ۱۷۲

جو بشت آینه باشد مکدر　　نما ید روی شخص از عکس دیکر ۱۹۷

جو جشم کور باشد کور کافر　　سیاه ونتک وتاریک ومکدر ۱۵۳

جون از ظلمات آب وکل بکذ شتیم　　هم خضر وهم آب زندکاني مائیم ۲۳۱

جون کند جان وازکونه بوستین　　بس که واویلا بر آید زا هل دین ۲۵۷

جوهر صدق خفی شد در دروغ　　همجنا نکه روغن اندر متن دوغ ۲۲۵

حرتیصي بر سرت کرده فساری　　ترا حرص است واشتر را مهاري ۱۷۲

حق همي کوید دیوار بهشت　　نیست جون دیوارها بي جان وزشت ۱۵٦

حقائق را بدو بیونید ازا نست　　که جانش سایهء خورسشید جانست ۱۸۹

خاطرت کی رقم فیض بزیرد هیهات　　مکراز نقش برا کنده ورق ساده کني ۱۸۵

خداوندا عجب رسمي نهادي　　که دیوان را به بالا ره ندادي ۱۰۵

خوی خوش تو بهشت وباغ توبس أست　　تسلیم ورضا جشم وجراغ توبس أست ۱٦۵

دل او جشمهء آب حیات است　　که در وی زند کی کائنا تست ۱۸۹

دائم از سجین کند کسب علوم　　از حواس خود که فجارند وشوم ۱۰۵

دارم سخن ویاد نمي آرم کرد　　فریاد که فریاد نمي آرم کرد ۲۱۲

دد ودام را رد بمعراج نیست　　سر خوك شایسته تاج نیست ۱۱۱

در أئينــة جـمـال شاهنشاهـيـست	ويـن هـر دوجـهـان غلاف آن آيئنة است ٢٢٩
در بس آينه طوطى صفتـم داشته اند	آنجه استاد ازل كـفـت بـكـو ميـكـويـم ١٠٨
در بيابان فنـا از بـي تـحصيـل بـقـا	خـوش زيـر قـدم آوردم وآسـان ديـدم ١٩٥
در معركـهء دو كـون فـتـح از عشقـت	بـا آنـكـه سباه او شهـيدند همه ٢٥٦
دربس آينة طوطي صـفـتـم داشته انـد	آنجه استاد ازل كفت بكو مى كويم ٢٣١
دردى كـه بـا فـسـانه شنيديم هم از غير	از عـلـم بـعـين آمـدا زكوش بآغوش ٢٣٠
درونـت آتشـي شـد بـر شـراره	كـه مـيسوزد زوى نـاس وحـجـارة ١٧٣
دكـر بـاره بـوفـق عـالـم خـاص	شـود اخـلاق تـو اجسام واشخاص ١٦٤
دل بـي عـلـم او بـنـود حـضـوري	جـراغ مـرده را كـي هست نـوري ١٥٣
دل راكـه مـهـين خزانهء معرفـتـست	بـا زيـكه نـقشهاي طفـلان كردي ١٨٥
دل كـه بـا مـال وجـاه دارد كـار	دل جـوسـك دان وآن دو جـون مـردار ١٣٨
دير شد تا هيجكس را از عـزيزان نا مدست	بي زوال ملك صورت ملك معنى در كنار ١٥٧
دير شد تا هيجكس را از عـزيـزان نا مدست	بي زوال ملك صورت ملك معنى در كنار ١٧٤
را تـوحـيـد را بـعـقـل مـجـو	ديـدهء را بـخـار مـخـار ١٧٩
رو ديده بـدست آركـه هـر ذره خـاك	جـامـيست جهـان نـمـاي جـون در نكرى ٢٣٥
روح از دون بـفـاقـة وتـن أزيـرون بعيش	ديـو لـعـين بـهـيـضة وجمشـيـد نا شتا ١٣٦
روح را زا حـلـة حـسـن كـردي عـرى	كـى روا بـاشد بـعـالـم شاه عريان داشتن ١٣٦
زنـفـس آتـش فـتـاده در جـهـنـم	زوى سـوزد هـمـي ابـلـيـس وآدم ١٧٣
زانـكـه از قـرآن بسـي كـمـره شـدند	زان رسـن قـومـي درون جـه شـدنـد ١٧٥
زانـكـه كـرده است قـهـر الا الله	روح را بـر دوشـاخ «لا» بـر دار ١٧٩

زانکه هر جند کرد بر کردی — زین دو هرروزتیره تر کردی ١٤٧

زاهد ار راه به رندی نبرد معذور است — عشق کاریست که موقوف هدایت باشد ١٤٦

زاهد بنمازوروزه خرسند مباش — کین بشه بروزکار عنقا نشود ١٤٦

زبینندکان آفر ینندە را — نبیني مرنجان دو بیننده را ١٧٦

زتو هر فعل کاول کشت ظاهر — بران کردي بیاري جند قادر ١٦٤

زحق بباید که جندان یادآري — که کم کردی کرا یادشتر کذاري ١٢٠

زشت نبود روح قدسي منتظر وآنکاه تو — در غرور جاه ومالي همنشين اهر من ٢٤٦

زماء وطين به عليين علم زد — همه افلاك را زير قدم زد ١٠٧

زماء وطين به عليين علم زد — همه افلاك را زير قدم زد ١٠٧

زمين برودە ای از خاك زاده — بدوش هفت كردون يا نهاده ١٠٧

زمين برورده اي از خاك زادة — بدوش هفت كردون يا نهاده ١٠٧

زنان جون ناقصان عقل ودينند — جرا مردان ز ايشان دين كزينند ٢٤٤

سخنم شد بلند ومي ترسم — كه مرا جيزى از زبان بجهد ١٥٤

كي سر شرع وعقل ودين دارند — سرباغ ودل وزمين دارند ٢٠٣

ستک ديوانه داری اندر دل — جون نصيحت بذيري اي جاهل؟ ١٣٩

سنتش آن دار است هين برخيز — در رداى محمدى آويز ١٠٧

شرم نايد مر تراشة زادة ملك بقا — در سراي تن اسير بند وزندان داشتن ١٣٦

شكم كز تو بروآرد آتش ودود — از اين دوزخ بدان دوزخ رسي زود ١٧٢

شمع دلشان نشانده بيوست — آن باد كه در ماغشان هست ١٨٦

صاف كردان لوحت از نقش خطأ — تا خط ايزدي يابد بقا ٢٣٢

صد هزار آينة دارد شاهد مقصود من — رويهر آئينة كارد جان در آن بيدا شود ٢٢٨

ضميرش هست جون صحراى محشر　　　که صورت هر حقيقت راجو كورست ١٩٠

ظاهرش جون كور كافر بر خلل　　　وان درون قهر خدا عز وجل ٢١٧

ظلومي وجهولي ضد نورند　　　ولــيكن مظهر عين ظهورند ١٩٧

عالم حس وهم وفكر وخيال　　　همه بازيجة اندوما أطفال ١٧٦

عقل جزئي عقل را بد نام كرد　　　كام دنيا مرد راناكام كرد ٢٤٢

علم بالست مرغ جانت را　　　بر سيهر أو برد روانت را ١٩٨

علم جان از بهر روز دين بود　　　علم تن ازبهر مهروكين بود ١٩٩

علم جزئي نيست جز بهر عمل　　　جون عمل نبود نباشد جز دغل ١٩٩

علم وحكمت كمال انسانت　　　خشم وشهوت جمال حيوانيست ١٣٨

عمارت با سراي ديكر انداز　　　كه دنيا را اساسي نيست محكم ١٢٤

عمل كان از سرير حال باشد　　　بسى بهتزر علم قال باشد ١٩٩

عهدش وفاى وقولش صواب حرف　　　فعلش كمال خاص ووضعش حياة ناب ١٢٩

عيسى منم ومعجز من اين نفس است　　　هردل كه شنيد اين نفس زنده شود ٢٣١

غازيان طفل خويش را بيوست　　　تيغ جوبين از آن داهند بدست ١٧٦

غافل آزين دائرهء لا جورد　　　فارغ أزاين مركز خورشيد كرد ٢٣٦

فردا كه بيشكاه حقيقت شود بديد　　　شرمنده رهروى كه عمل بر مجاز كرد ١٧٥

فردا كه بيشكاه حقيقت شود بديد　　　شرمنده ره روى كه عمل بر مجاز كرد ٢٥٧

فردا كه معاملان هرفن طلبند　　　حسن عمل از شيخ وبرهمن طلبند ٢٦٠

قدر من كم عدو كه كه　　　جون دبيران ز نقش بسم الله ١٨٦

كر آدمي صفتى از فرشته در كذرى　　　كه سجده كاه ملك خاك آدميز ادست ١٩٦

كرتوئي زهد ورز ليكن خر　　　هيزم دوزخي وليكن تر ٢٥٩

كرجه اينجا قباد وپرويزي   جون عواني زكل سكي خيزى ٢٥٩

كرد اين نشأة جونكه بنشيند   هركسي بيش باي خود بيند ٢٥٩

كرديدهء دل باز كشاني نفسي   معلوم شود كه اين حكاية جونست ١٧٧

كرز علم اين زمان علم داری   زير يوشي ز جهل هم داری ٢٤٥

كرزانكه نمونه اي زد وزخ طلبي   بنكر بدرون خود كه جون مى سوزى ١٥٤

كسي از مرده علم آموخت   هركز زخاكستر جراغ افروخت هركز ١٢٤

كسي كز معرفت نور صفا ديد   زهر جيزي كه ديد آول خدا ديد ٢٣٥

كشيدى بهر ابليسان يكي سد   كه كس ننهد برون كامي از آن حد ١٠٥

كغرور مشو باين رفيقان كايشان   يك يك در راه از تو وا ميكردند ١٢١

كف خاكي كه در روى زمينست   برعارف كتاب مستبينست ٢١٩

كه جون اين طفل مرد كار شود   تيغ جوبينش ذو الفقار شود ١٧٦

كو جشم كه بيند نفس انوارش   كو كوش كه بشنود دمي اسرارش ٢٥٨

كوئي كه عقل ما وا دل ما وجان ما   اين ما ومن كه كفت بمن بازده جواب ١٢٨

كوش خر بفروش وديكر كوش خير   كين سخنها را نبايد كوش خير ١٥٢

كويد آن كس در اين مقام فضول   كه تجلي نداند او زحلول ٢٢٨

كي شود ز آفت دبير وقلم   قدر بسم الله أز دو بدرهء كم ١٨٦

أى نوس لبان جو زهر نابي برمن   وى راحت ديكران عذابي بر من ١٢٠

لوح حس سوزد در آتش همجو خس   از جيني لوحي جو خواهد علم كس ١٠٥

لوح دل جون صاف كشت از شك وريب   مى فتد در وى زحق ارقام غيب ١٠٤

لوح دل راباك كردان از وسخ   تا حق اندر وى نويسد منتسخ ٢٣٢

ليك آن علمي كه وصف كبريا ست   به بود از هر عمل كز تن بخاست ١٩٨

ما را بجز این زمان زماني دكرست   جز دوزخ وفردوس دكرست ٢٣٠

ماهيت علم را مجوئيد   از بو قلمون سخن مكوئيد ١٢٧

مر رسن را نيست جرمى اي عنود   جون ورا سوداى سربالا نبود ١٧٥

مردم از حيوانى وآدم شدم   تابر آدم از ملاك بال ويسر ١٩٥

مزد آن كم زمز داين زانست   كوبتن كرد واين بجان دانست ١٩٨

مصطفى از كناره‌ء برزخ   درى آوبخته أست در دوزخ ١٠٧

مقصود وجود انس وجان أينة است   منظور نظر در دوجهان آينة است ٢٢٩

مكر كز تنعم شكيبا شوى   وكرنة ضرورت بدرها شوى ١٢٣

مكر كز تنعم شكيبا شوى   وكرنه ضرورت بدرها شوى ١٢٣

مكن طاعت نفس شهوت برست   كه هر ساعتش قبلة ديكرا ست ١٢٣

من جون تو هزار عاشق از غم كشتم   وزخون كس آلودة نشد انكشتم ١٧٩

ميان جسم وجان بنكر جه فرقست   كه اين را غرب كيري وآن جو شرقست ١٩٩

نبوت را زآب وكل عيان كرد   زمين را سوى عليين روان كرد ١٠٧

نبوت را زآب وكل عيان كرد   زمين را سوى عليين روان كرد ١٠٧

نرد بان پاية به ز علم وعمل   نبود سوى آسمان ازل ١٩٧

نسيت علم وعمل با يكد كر   همجو جان وتن بود اي بي خبر ١٩٩

نشستى جون زنان در كوى   نمى داري ز جهل خويشتن عار ٢٤٤

نشوى بر نهاد خود سالار   به نماز وبه روزء بسيار ١٤٧

نفس ازردرها است اوكحي خفتة است   ازغم بي آلتي افسرده است ١١٥

نفس را نهصد سراست و هر سرى   ازفراز جرخ تا تحت الثرى ١١٥

وانـــكــــه جــنـت را نه زآلت بسته اند   بلــكـــه از اعــمــــال ونـيـت بـسته انـد ١٥٦

وجـــودي در جـهـان جـــون آدمي نـيـست   جـــز او كــس را با يزد هــمـدمي نيست ١٨٩

آنــكـة نـعـوذ بـالله اين وصف تو نيست   مــحرومي اين صفات داغ تـــو بـس است ١٦٥

ورفـيــــقـــهــي ولـيــك شـور انـكيز   ديـــو خـيـــزي بـــروز رستــــاخـيـز ٢٥٩

وكــــر خـــود بسندي شكم طبله كن   در خـــانــــه ايـــن وآن قـبـلـه كـن ١٢٣

وكــر خـــود بسنـدي شـكم طبله كن   در خـانـــه ايـــن وآن قـــبـــلــه كـــن ١٢٣

ولــــي كــاري كـــه از آب وكـل آيد   نــه جـــون عــلـمـست كان كار دل آيد ١٨٩

وهـم وحس وآنـجـتت كه قوى ميكردند   كـامـــي دو سه بـا تـو آشنا مى كـردنـد ١٢١

يـستم سازي جـــو دســـــت يـابي برمن   خورشــيـــد جـــهـــانـــي ونتـابـي بر من ١٢٠

يكــى جشــمـي دكر بي غشر وبي عيب   بـــــدست آور بـــــراي ديـــــــدن غيــب ١٥٢

يكـــي نـــورست از حــــق بـــرتـوا فكن   زمـيـــن وآسمــــان زان كشـتــه روشـــن ١٨٩

فهرس

الصفات

فهرس

المصطلحات والتعابير

«أ»

«ب»

«ت»

«خ»

«د»

«ذ»

«ر»

«ز»

«س»

«ش»

«ص»

«ض»

«ط»

«غ»

«ف»

«ل»

«م»

فهرس

الكتب

القرآن الكريم

الإمام علي: «نهج البلاغة، تحقيق محمد عبدة، دار المعرفة، بيروت.

ابن أبي جمهور الأحسائي: «عوالي اللئالي» تحقيق السيد المرعشي ومجتبى العراقي. مطبعة سيد الشهداء، قم، ١٩٨٣.

ابن حجر العسقلاني: «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» دار المعرفة، بيروت.

ابن حنبل، أحمد: «مسند أحمد بن حنبل»، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

آل ياسين: جعفر: «الفيلسوف الشيرازي ومكانته في تجديد الفكر الفلسفي»، بيروت، دار عويدات، ط ١٩٧٨.

البهادلي، د. أحمد: «ملامح من فلسفة صدر الدين الشيرازي، بيروت، مجلة العرفان. العددان ٥و ٦ المجلد٧٩عام١٩٩٥.

التميمي، علي: نظرية الحركة الجوهرية والابداع الفلسفي، دمشق، مجلة الثقافة الإسلامية، المستشارية الإيرانية، عدد٢٧، عام١٩٩٣.

جرداق، جورج: «روائع نهج البلاغة» ط٢،مركز الغدير للدراسات، قم، ١٤١٧، ص٢١٦.

جمعة، بديع: «الشاه عباس الكبير» دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠.

حاجي خليفة: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» داؤر إحياء التراث العربي، بيروت.

الحلي: «إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان» تحقيق فارس الحسون، جامعة المدرسين. قم، ١٤١٠هـ.

الحلي: «المعتبر في شرح المختصر» تحقيق ناصر مكارم، مؤسسة سيد الشهداء، ١٣٦٤هـ ش.

حمود، كامل: «صدر الدين الشيرازي وإشكالية الرؤية»، بيروت، مجلة دراسات عربية. عدد ٣، كانون الثاني، شباط ١٩٩٠.

ديك الجن الحمصي: «ديوان ديك الجن الحمصي».

الزرعي، محمد بن أبي أيوب الزرعي «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان» تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، ط٢، ١٩٧٥.

شريعتي، علي: «التشيع العلوي والتشيع الصفوي»، ط١، ترجمة حيدر مجيد، تقديم ابراهيم دسوقي شتا، دار الأمير. بيروت ، ٢٠٠٢.

الشهرستاني: «كتاب الملل والنحل» مؤسسة ناصر، بيروت، ١٩٨١.

الشهيد الأول: «القواعد الفوائد» تحقيق السيد عبد الهادي حكيم، مكتبة المفيد. قم

الشهيد الثاني «الاقتصاد والعدالة» للشهيد الثاني. تحقيق مهدي الرجائي. مكتبة آية الله العظمى المرعشي العامة.

الشهيد الثاني: «منية المريد في أداب المفيد والمستفيد»، دار الحوراء، بيروت، ٢٠٠٠.

الشيرازي، صدر الدين «سه أصل» تحقيق سيد حسين نصر، بنياد حكمت اسلامى صدرا، تهران. ٢٠٠٠.

الشيرازي، صدر الدين: «الأسفار الأربعة»، ط١، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ١٩٨١.

الشيرازي، صدر الدين: «رسالة ألاصول الثلاثة»، رسالة ماجستير في الجامعة اللبنانية تحقيق علي أصغر نيستاني.

الشيرازي، محمد: «الشواهد الربوبية» مركز انتشارات دانشكاهي، طهران عام ١٣٦٠هـ.ق.

الشيرازي، محمد: «المبدأ والمعاد» تحقيق سيد حسين نصر، دون ناشر، طهران، ١٩٧٦م.

الشيرازي، محمد: «مفاتيح الغيب»، ط ١، اعتنت به فاتن اللبون، مؤسسة التاريخ العربي، عام ١٩٩٩.

الطباطبائي، محمد حسين: «إطلالة على حياة صدر الدين»، قم، مجلة الفجر، عدد ٢سنة ١٩٩٠.

الطبرسي: «تفسير مجمع البيان» تحقيق مجموعة من العلماء والمحققين. مؤسسة الأعلمي للطبعة والنشر، بيروت، ١٤١٥.

طرابيشي، جورج: «المعجم الفلسفي»، بيروت، دار الطليعة، ط ١تاريخ١٩٨١.

الطهراني، آغا برزك: «الذريعة إلى تصانيف الشيعة»، بيروت، دار الأضواء. دون طبعة، دون تاريخ.

العطار، فريد الدين: «الهي نامة او الرسالة الالهية»، حققها وقدم لها الدكتور فؤاد روحاني (طهران. ١٩٦٠)كما ترجمها إلى الفرنسية وقدم لها لوي ماسينيون ١٩٥٩.

العلوي، هادي: «نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي»، بيروت، دار الطليعة. ط أولى، عام١٩٨٣ .

علي، زيعور: «الموسوعة الفلسفية العربية»، الحكمة، ، بيروت، معهد الانماء العربي.

الغزالي، أبو حامد «إحياء علوم الدين»، دار الأرقم، ط١، ١٩٩٨م، ١٤١٩ هـ.ق.

فارس، محمد: «موسوعة العلماء العرب والمسلمين»، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١عام ١٩٩٣.

فخري، د.ماجد: «تاريخ الفلسفة الاسلامية»، ترجمة كمال اليازجي، بيروت، الدار المتحدة للنشر، ط ١عام ١٩٧٤.

فلسفي، نصر الله: «حياة الشاه عباس الأول» جامعة طهران.

الكليني: «الكافي» علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، الآخوندي.

كوربان، هنري «مقام ملا صدرا في الفلسفة الايرانية» دراسات أدبية، الجامعة اللبنانية عدد١-٢عام ١٩٦٥.

كوربان، هنري: «الشيعة الاثنا عشرية»، ترجمة ذوقان قرقوط، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط ١عام١٩٩٣.

كوربان، هنري: «تاريخ الفلسفة الإسلامية» ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي، ط٣، منشورات عويدات . بيروت،١٩٨٣.

اللواتي، محمد رضا: «المعرفة والنفس والألوهية في الفلسفة الاسلامية»، بيروت، دار الساقي، ط ١عام ١٩٩٤.

ماجد، أحمد: «المصطلحات الفلسفية عند صدر الدين الشيرازي» رسالة ماجستير في الجامعة اللبنانية.

محمود، عبد القادر: «الفلسفة الصوفية في الإسلام»، القاهرة، دار الفكر العربي، ط ١ عام ١٩٦٦

المناوي، محمحد عبد الرؤوف: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» تحقيق احمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

الموسوي، موسى: «من السهروردي إلى الشيرازي»، بيروت، دار المسيرة، ط ١عام ١٩٩٧.

النراقي، محمد مهدي: «جامع السعادات» تحقيق محمد كلانتر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

النشار، علي سامي: «تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام»، القاهرة، دار المعارف، ط ٥عام ١٩٨٥.

نصر، سيد حسين: «دراسات إسلامية، بيروت»، الدار المتحدة للنشر، ط أولى، عام ١٩٧٥.

نعمة، عبدالله: «فلاسفة الشيعة» ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٨٧.

النقوي، السيد حامد «خلاصة عبقات الأنوار» تحقيق مؤسسة البعثة، قم، ١٤٠٦هـ.

الهيثمي، نور الدين: «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١.

Nasr. Seyyed Hossein «Islamic Studies» Beirut. Librairie du liban. first published1976.

Henri courbon: (Le livre de penetration metaphisique) Tehran Gi.1964.

رسالة الأصول الثلاثة

هذه الرسالة على صغر حجمها، تشكِّل مدخلاً لفهم العصر، فالملا لم يكن هاويًا للانتقاد، وهو لم يشتغل بالسياسة بشكل مباشر، إلا أنه في هذه الرسالة حاول أن يكون مصلحًا لها، فهو دعا إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية، والتخلص من الظروف المعيقة لتطور المجتمع، وسعى إلى تنوير واقعي، يقوم على وعي «العالم» و«المتدين» لظروف مجتمعه، وفهم متطور للمنظومة الدينيّة.